

T
112A

لؤلؤ موسى اسكندر المعلى

(١٨٩٩ — ١٩٣٠ م)

سيرته ، ادبه ، فننه

مسؤول مسئول الشهد

اطروحة مقدمة للدائرة العربية بالجامعة
الاميركية لنيل شهادة العاجستير

أيار ١٩٦٢

لا بد من كلمة عابرة اعرض فيها للخطوات التي اتبعتها في دراستي لسيرة الشاعر فوزي المعلوف وانتاجه الادبي . فالشاعر فوزي المعلوف ، بالرغم مما كتب عنه ، لم يحظ بالعناية العلمية الكافية من جل دراسيه والمعنئين بالنقد الادبي ، اذ قصروا مباحثهم ، في الغلب ، على شعره كما تجلى في كتابه " على بساط الريح " لما اعتبروه بأنه ذروة انتاجه . ولم نلق دراسة علمية عنيت به ككل غير الاطروحة التي قدمها الدكتور فايز عون لنيل شهادة الدكتوراه الجامعية في الادب العربي من جامعة باريس عام ١٩٣٩ . ولقد افدت كثيرا من هذه الاطروحة ، في بعض النواحي ، كصدر اولي اعتمدت عليه ولا سيما فيما يتعلق بنص بعض القصائد والزمن الذي نظمت فيه .

ثم بدا لي ، حفاظا على السياق العلمي في البحث ، ان اعتمد المخطط التالي : افردت فصلا لسيرة الشاعر ، وفيه عرضت للأسرة المعلوفية واسهام نفر من اعلامها في الحياة الاجتماعية والادبية ، ثم تطرقت الى عائلة فوزي المعلوف حصرا ، وقد هيات لفوزي مناخا ادبيا ترعرع فيه ونهل منه ثقافته . ثم عطفنا بعد ذلك على سيرة فوزي متوقفا عند ثقافته والمؤثرات الفاعلة فيها ، وانتاجه المبكر في الوطن وما قام به من اعمال في ربيع سوريا ثم هجرته الى البرازيل وما اصاب من نجم في حقلي الادب والتجارة ، وموته . وقصرنا الفصل الثاني على نتاج فوزي النثري ، فألمحنا الى اعماله المبكرة التي لم تصلنا منها شيء مطبوع . ثم عرضنا لمسرحيته " ابن حامد " نقدا وتحليلا ، وحاولنا ان نميدها الى منابعها الاصلية والمؤثرات التي تأثر بها .

اما الفصل الثالث فقد عنيت به بشعر فوزي واعتمدت في ذلك على ثلاثة مصادر هي : ديوان فوزي المعلوف ، والملحق الذي جمعته من مصادر مختلفة لمتفرقات من قصائده ، وملحمة على بساط الريح . وبعد ان افردت قطعا لاستعراض موضوعي وصفي لهذا الانتاج ، قممت بدراسة تحليلية على اساس الموضوع من حيث هو موقف فكري شعوري ، اذ تراءى لي ان البحث في الديوان والملحق على حدة ثم الخطوة مفردة لا يفي بالمطلوب نظرا لوجود ترابط بالافكار والموضوعات العامة ، ترابطا موزعا ما بين شعره ومطولته ، فلجأت الى افضل السبل ، ولعلي بذلك اكسون قد انجزت شيئا اصبو اليه .

ويجمل ان يسترعي النظر ههنا الى ان بعض شعر فوزي قد طرأ عليه التفسير ، اما بداعي المعاودة وتفتيح الشاعر لبعض منظومه ، واما بداعي الثغرات التي تركها رياض المعلوف ، اخو الشاعر الشاعر ، عندما عمد الى جمع شعر فوزي في ديوانه ، فاسقط ما اسقطه . ولعله يكون قد بدل في الفاظ بعض الابيات ايضا . واكثر ما يبرز هذا التفسير في قصائده " الشاعر المنتحر " و " امانني مهاجر " والفردوس المستعاد " .

واود ان اشير هنا ايضا الى انني تابعت السابقين في اطلاق تسمية ملحمة علي * على
بساط الريح * تجوزا بعد ان شاع امر هذه التسمية . وعلى هذا تكون التسمية الواردة هنا
من قبيل التجوز فحسب .

ثم اني اتقدم بخالص شكرى الى استاذى الكريم الدكتور انطوان غطاس كرم ، الذى اشرف
على هذه الاطروحة ، وقدم لي غالي النصح والارشاد ، ولولا ما اغدقه علي من تشجيع ومعونسة
وتوجيه لما قدر لهذه الاطروحة ان تخرج الى حيز الوجود . كذلك اود ان اشكر جميع
اساتذتي في الدائرة العربية لما اسدوه من المعونة في بيان مرجع ، او ابداء رأى ، او توجيه ،
فلهم مني جميعا خالص الشكر .

كما اشكر جميع الذين اسهموا بتزويدي ببعض المعلومات التي دعت اليها الحاجة ، والتي
ساعدتني على كشف جوانب غامضة كنت اجهلها من حياة الشاعر ، وبالاخص الاستاذ شفيق المعلوف
شقيق الشاعر والاب عبده رئيس الكلية الشرقية في زحلة ، فلهم جميعا انا مدين بالكثير .

بيروت في ٢٢ / ٥ / ١٩٦٢

الفصل الأول

سيرة

فوزي المعلوف

الفصل الأول

سيرته :

أ - لمحة عامة عن الاسرة المعلوفية :

أرخ عيسى اسكندر المعلوف والد الشاعر فوزي للأسرة المعلوفية متتبعا منشأها منذ بواكير تكوينها ، وتطرق الى فروعها واماكن سكناها وحطها وترحالها . غير ان هذه الدراسة التاريخية للأسرة المعلوفية عامة لا تعنينا هنا الا بقدر ما لها من علاقة مباشرة بفوزي وبيئته الخاصة التي فيها نشأ وترعرع .

فيبين من كلام عيسى المعلوف ان الاسرة المعلوفية اسهمت في الحركة الادبية والاجتماعية في لبنان ولا سيما في المناطق التي كانت تقطنها ، فأسست في زحلة الجمعية الخيرية المعلوفية في ١٥ نيسان سنة ١٨٨٦ (١) ، وكان اعضاءها يتألفون من تسعة الى اثني عشر عضواً من المعلوفيين ينتخبون منهم امين صندوق وكاتباً لمدة سنة . وكانوا يجتمعون مساءً كل سبت لدراسة المشاريع المتوفرة لديهم ، وكان جل اهتمامهم محصوراً " بالفقراء " وتوزيع الاحسان عليهم وزيارة مرضاهم وتطبيبهم ودفع نفقات سفرهم ودفن موتاهم واعالة ايتامهم وتعليمهم في المدارس (٢) . وكان لهذه الجمعية دستور مؤلف من خمس عشرة مادة (٣) . وفي عام ١٩٠٥ اسس شبان " كفرعقاب " مسقط رأس عيسى اسكندر المعلوف الجمعية الخيرية الارثوذكسية وغايتها " ترمي الى تأسيس مدرستين للذكور والاناث " (٤) ، وقد نجحوا في تأسيس مدرسة للذكور . وكذلك قام شباب " دون البترون " بتأسيس الجمعية الخيرية المعلوفية (٥) " بعناية احدهم قبلان افندي ناضر منشي " المدرسة الوطنية في بلدته سنة ١٨٩٥ " (٦) ، وخصص قسماً منها داخلياً وكانت دروسها التركية والعربية وبعض اللغات الاخرى والعلوم " (٧) .

(١) المعلوف، عيسى اسكندر - دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف : ٦٧٩ - (١٩٠٧ - ١٩٠٨)

(٢) المصدر السابق : ٦٧٩ - ٦٨٠ .

(٣) المصدر السابق : ٦٧٩ .

(٤) المصدر السابق : ٦٨٠ .

(٥) المصدر السابق : ٦٨١ .

(٦) المصدر السابق : ٦٨١ .

(٧) المصدر السابق : ٣٤١ .

ويذكر عيسى المعلوف في اماكن متفرقة في تاريخه الشيء الكثير عن نشاطات هذه الاسرة في الميدانين الاجتماعي والثقافي بحيث لا يتسع المجال لذكرها في هذه الدراسة، فنحيل القارئ الى الكتاب نفسه .

غير ان الجدير بالملاحظة هو ان هذه الاسرة كانت تحاول ان تسير ركب الحضارة بقدر الامكان في ظروف كانت معها البلاد تترزح تحت نير الحكم التركي كما ~~يضاهيها في المفاصل~~ الاول ، ومع هذا فان التفتح على الحياة والتطلع نحو مجتمع افضل كانا من اهداف هذه الاسرة نظرا للمشاريع التي كانت تقوم بها والاهداف التي كانت تسعى اليها .

اما في الميدان العلمي والادبي فاننا نجد من اقرباء الشاعر العلماء ناصيف بن الياس منعم المعلوف الذي وضع بعض المؤلفات باللغات التي اتقنها وذاع شهرة " بتضلعه بالشرقية منها " (١) . وكان عضوا في جمعية الاثنيوم البريطانية سنة ١٨٥٧ ، وفي جمعية العلوم والاداب التركية انجمن دأ نش (٢) ، وفي الجمعيتين الاسيويتين الفرنسية والبريطانية .

وا تقن عدة لغات كالتركية والفارسية والانكليزية والايطالية واليونانية " والف في جميعها " (٣) . فبلغت مؤلفاته حوالي ثمانية وعشرين مؤلفا عدا مؤلفات اخرى لم يعثر عليها * .

ب — عائلة فوزي المعلوف :

ولكن حين نحصر الحديث في اسرة فوزي نعثر على جوانب اخرى من الحياة الادبية التي وفرت لفوزي واخوته مناخا ادبيا رائعا . فجد فوزي اسكندر المعلوف درس في مدرسة دير النبي الياس الارثوذكسية في " شوبا " فاطلع على " مبادئ العربية واليونانية والحساب والموسيقى الكنسية ٠٠٠٠ ثم طمح الى درس الفقه الاسلامي فأكب على مطالعة كتبه وذلك نحو سنة ١٨٨٠ ، ثم سار الى دمشق الشام محاميا ٠٠٠ فاتصل ببعض فقهاء الاعلام وصرف هناك خمس سنوات بالمطالعة والمدافعة والتخرج حتى تمكن من التحصيل فعاد الى مسقط رأسه كفر عقاب سنة ١٨٨٦ حيث جمع مكتبة فقهية يعز وجود مثلها " (٤) .

(١) المعلوف ، عيسى اسكندر ، دواني القطوف : ٣١٦ .

(٢) المصدر السابق : ٣١٧ .

(٣) المصدر السابق : ٣١٧ .

(٤) المصدر السابق : ٣١١ .

* انظر حياته ومؤلفاته وعلاقاته مع الادباء الغربيين وما كتبت عنه الصحف في المصدر

السابق : ٣١٦ — ٣٢٠ .

ولقد ورث والد الشاعر هذا الميل نحو الدراسة الادبية والتاريخية فأسهم اسهاما فعالا في التأليف والنشر ، و اضاف الى مكتبة والده المئات من الكتب في مختلف المواضيع ، وكأنه بذلك يهيئ الجو العلائم للشاعر حيث يتروعرع في وسط ادبي وفكري . وكان على اتصال وثيق بالحركة الفكرية والادبية في العالم العربي ، فبعد ان قام بالتدريس في الكلية الشرقية في زحلة ذهب الى دمشق حيث كان عضوا في المجمع العلمي العربي وقاما على الاثار العربية^(١) . ولم يقتصر الامر على والده فقد كان لفوزي اخوال مارسوا صناعة الشعر والنثر كقيصر المعلوف^(٢) صاحب ديوان تذكار المهاجر ، وشاهين المعلوف^(٣) ، فدعا المعلوف^(٤) ، وميشيل المعلوف^(٥) ، وجميل المعلوف^(٦) وجميع هؤلاء تركوا اثارا ادبية ما بين شعر ومنثور مبشرة في صفحات الكتب والمجلات او دواوين ومؤلفات مطبوعة .

- (١) للتوسع في سيرة عيسى اسكندر المعلوف انظر : " العلامة المرحوم عيسى اسكندر المعلوف " من منشورات مجلة الرسالة المخلصة (١٩٦١) ، ٥ - ٩ .
- (٢) قيصر المعلوف (١٨٧٤ - ١٩٦١) هاجر الى البرازيل واصدر جريدة البرازيل اولى صحف المهجر الجنوبي العربية . شغل منصب قنصل لبنان في سان باولو . من مؤلفاته تذكار المهاجر ، القارة السورية في البلاد الاميوكية ، وديوان قيصر المعلوف . . .
- (٣) شاهين المعلوف (١٨٩٠ - ١٩٤٥) من مواليد زحلة ، هاجر الى البرازيل وكان ينظم الشعر من حين الى حين . شغل منصب رئيس بلدية زحلة . انظر شعراء المعالفة : ٣٢ .
- (٤) فدعا المعلوف ، ولد في زحلة سنة ١٨٩٩ ، كان ينظم الشعر احيانا وهو مقل للغاية (انظر شعراء المعالفة : ٣٩ وانظر الذكرى : ٢٣١) .
- (٥) ميشيل المعلوف (١٨٩٩ - ١٩٤٢) ولد في زحلة وهاجر الى البرازيل ، تولى رئاسة العصبة الاندلسية وكان احد مؤسسيها . عاد الى لبنان سنة ١٩٣٨ . من مؤلفاته : سجين الظلم ، وهناك كتاب هيكل الذكرى وفيه مجموعة ما قيل عنه بعد موته . (انظر شعراء المعالفة : ٥١ ، والذكرى : ٢٤٧) .
- (٦) جميل المعلوف (١٨٧٩ - ١٩٥١) ولد في زحلة وتلقى علومه فيها ثم تابع تحصيله في مدرسة الحكمة في بيروت . هاجر الى نيويورك حيث اصدر مع عمه نعمان المعلوف جريدة الايام سنة ١٨٩٧ . ثم ارتحل الى البرازيل سنة ١٩٠٨ ، وعاد منها الى لبنان سنة ١٩٠٩ . من مؤلفاته : تركيا الجديدة ، وحقوق الانسان ، ووصية فؤاد باشا ، وكيف تنور الام ، ورواية عقلية اغا ، وقانون الصحافة العثمانية وغيرها . (انظر شعراء المعالفة : ٢١) .

ج - فوزى المعلوف :

ولد فوزى في مدينة زحلة في الحادى والعشرين من ايار سنة الف وثمانى مئة وتسع وتسعين ، فكان بكر اخوته اسكندر وشفيق ورياض وادمون وشقيقتيه افلين واوديت . وقد قال فوزى عن يوم مولده :

فوق حضان الربيع - في مثل هذا اليوم - بعد العشرين من لواره
خلعت ردة على الارض عنها كمها والدجى صريع احتضاره (١)

وكان مولد فوزى في اسرة توفر لها مناخ ادبي واجتماعي لم يتوفر الا لعدد ضئيل من ابناء لبنان في ظروف قاسية كانت تمر بها البلاد . فوالده عيسى اسكندر المعلوف كان يتمتع بشهرة واسعة في الاوساط الادبية والعلمية ، ووالدته غنيمة ابنة ابراهيم باشا المعلوف الذى نال حظوة كبيرة لدى الحكومة التركية حتى ان السلطان انعم عليه بفرمان برتبة ميرالامراء سنة ١٩٠٦ (٢) ، وقد طارت له شهرة في بلاد الشام . وبذلك يكون فوزى قد ابصر النور في بيت يتمتع بقسط وافر من الغنى المعنوى والادبي .

د - دراسته في زحلة :

ولم يكد يبلغ الثالثة من عمره حتى تعلم القراءة واحسنها في الخامسة . وفي الثامنة من عمره راح يرسل والده الذى انتقل الى دمشق ليكون قیما على الاثار العربية (٣) . ويصف فوزى نفسه في هذه الفترة فيقول في مذكراته عن حداثته :

" وما اذكر عن حداثتي انني كنت كثير الطاعة لوالدى ، لين العريكة ، سريع الانفعال . . . وكنت كثير الحياء ، بسيط القلب ، طاهره ، اتجنب غالبا رفاقي واجنح الى العزلة غير ميال الى الالعاب ، تتكاثر السويداء في افكارى ، فابعد عن المجتمعات . لا احب اسرحرتي . . . " (٤) .

والى جانب ذلك فأنه يلقي اضرأ اخرى على حياته المدرسية في الكلية الشرقية بزحلة ، فيقول : " وكنت في المدرسة حاضر الذهن قوى الذاكرة مفضوليا في معرفة الصحيح ، اميل الى اللغة العربية عموما ، والشعر العربي خصوصا " (٥) .

(١) ديوان فوزى المعلوف : ١٢٧ .

(٢) المعلوف ، عيسى اسكندر - دواني القطوف : ٣٩٤ - ٤٠٣ .

(٣) ذكرى فوزى المعلوف : ٨ .

(٤) المصدر السابق : ٨ .

(٥) المصدر السابق : ٨ .

ولا يتركنا فوزى نتخبط في ديجور التساؤل عن الزمن الذي ابتدأ يقرض فيه الشعر ، فهو ينوه بما نصه : " ان اول نظمي على ما اذكر كان في منتصف عام ١٩١٣ في الكلية الشرقية بزحلة ، فقد شطرت بيتين من قصيدة للاختل الصغير اورد هما على علاتهما من قبيل الذكرى :

" زحزح لثامك عن جبينك " وابرز كليث من عرينك
وانفت بشهدك في الحشا " وابعث بسحرك من عيونك "
" واسكب شعاعك في قلسو " ب تهتدى بسنا جبينك
وانضد بدرك في رقبا " ب لم تدن الا بدينك " (١)

ولقد تعهد والده فوجهه ، فكان يطلب منه بعد ذلك نظم تهاني للكهنة في اعيادهم ، ويفرض عليه بعض الموضوعات يكتب فيها (٢) . وهكذا اتجه شاعرنا اتجاه ادبيبا انطلق منه فيما بعد نحو صناعة الشعر .

وفي سنة ١٩١٣ وقف فوزى لاول مرة خطيبا في جمعية النهضة العلمية (١٩٠٣ - ١٩٢١) التي كان قد اسسها والده في الكلية الشرقية (٣) ، فكانت هذه الخطوة بداية عهده بالخطابة . والقي من على منبر هذه الجمعية عدة خطب منها : " رقي البلاد " ، " والمعارف " ، " والشرق والغرب " ، " والغني والفقير " ، والفتاة العربية " * . وفي احدى خطبه المدرسية يرسم لنا صورة فقير يموت على قارعة الطريق ويلون هذه الصورة بالوان قاتمة تبعث على الاسى ، وتعبر عن شعور سوداوى كثيب مبكر في نفس الشاعر . قال :

" ضباب تبدده عواصف الريح ، ندى تمتصه شفاء الصباح ، ظلام تقشعه قبلات الغزالة ، ورقة ناضرة تقصفها الارياح وتحملها الى حيث لا تدري ولا تريد . تلك هي الحياة وهذا هو الموت . كما ينطفئ سراج فرغ زيته هكذا تنطفئ حياة الانسان .

الموت ، الموت ، كلمة رهيبة مكتوبة في كل مكان ، على اديم الغمام على صفحة الارض ، على متن الرياح ، على كم الزهرة ، على جذع الارزة ، على جبهة الانسان " (٤) .
وصورة الموت هذه لازمة طيلة حياته واضفت على تفكيره الوانا مجللة بالسواد ، بل انها تعود الى حس دفين قديم في اعماقه ، ان يكتب في مذكراته عن ايام حداشته :

(١) ذكرى فوزى المعلوم : ٨ .

(٢) المصدر السابق : ٨ .

(٣) المصدر السابق : ٨ .

(٤) المصدر السابق : ٩ . وتلمس ايضا في هذا المقطع من بواكير انتاجه النفس الجبراني الذي اخذ يهب على المشرق ، في الريح والموت والظلام ، والسراج الذي فرغ زيته ، وما

" الحداثة هي الربيع من فصول الحياة وأنا اغبط ذاك الذى يشهد الربيع ويذهب ، فلا يستقبل شمس الشباب المحرقة الا في ظلمات القبر والهدف نفسي على ايام الحداثة ، تلك الايام السعيدة عندما كنت خليا باسم ، انظر الى الحياة من وجهها الضاحك وانظر الى المستقبل بعين الامل " (١) .

واكثر من ذلك فأن فوزى ، قبيل هجرته ، يخط على احدى مفكراته بعضا من شعوره بعد ان طلب اليه ان يقول شيئا في ولادته ، فكتب :

= فيها من شعور مبكر بالياس القاتم . ولعلنا نلمس فيه اثرا من مناخ سفر الجامعة ولا سيما في الفصول الاولى منه حيث لا يجد مؤلفه في الدنيا غير الشقاء .

* هذه الخطب موجودة في سجل النهضة العلمية . نعثرفي سجل عام ١٩١٢ - ١٩١٣ على خطبه : رقي البلاد : ٧٢ - ٧٦ ، وخطبة المعارف : ١٢٧ - ١٣١ . اما خطبة الفتاة العربية والغني والفقير فهما منشورتان في سجل عام ١٩١٣ - ١٩١٤ ، الا ان هذا السجل مفقود من المدرسة ، وقد عرفت بوجودهما من الصفحات الاولى لسجل عام ١٩١٤ ان وردت عناوين الخطب التي القيت في العام السابق في ذلك التاريخ مع ذكر اسماء الخطباء . فسي خطبة رقي البلاد يتحدث فوزى المعروف عن اربعة اوجه من وجوه رقي البلاد وهي : الحكومة ، والزراعة ، والصناعة ، والتجارة . الحكومة يجب ان يكون " شعارها المساواة والانصاف بين السيد والعبد والظالم والمظلوم " (٧٣) والزراعة هي " المورد الاول للرزق الذى يستثمره الانسان بكده واجتهاده لهذا يجب تنمية الزراعة وتطويرها " (٧٤) . والصناعة هي " المورد الثاني بل السبب الوحيد الذى يلتجئ اليه الانسان عند فراغ جيبه ويعمل قصارى جهده في اعداد الادوات اللازمة لبني آدم اخوانه " (٧٥) . اما التجارة فهي " المتمم لهذا المثلث وهي تدور على محورى الزراعة والصناعة وهي ركن مشير من اركان تقدم العمران وبلا تجارة يهجر الناس البلاد " (٧٦) .

اما خطبة المعارف فيتحدث فيها عن المدارس والمنتديات والصحافة . فالمدارس " هي منبت العلوم والاداب ومنبع الفضيلة والبر تنوع على الطلاب حنوا لام على طفلهم " (١٢٧) . والمنتديات ويعني بها " الجمعيات الادبية والعلمية والخيرية والدينية والسياسية التي تكون مشيدة على اسس الخير التي تجمع افراد الامة بجامع الاخاء " (١٢٨) . والصحافة هي " اس العمران وركن تقدم الاوطان بل هي فؤاد للوطن ونور للشعب يستضي به فسي ظلمات الجهل بل منار يهديه سوا السبيل ودليل يقود الى الطريق المستقيم " (١٣٠) .

ان هذين المقالين ان دلا على شيء فأنما يدلان على بعد نظر بواحماس عميق منذ الفتوة المبكرة بالعوامل الفاعلة في الامة بصرف النظر عن المستوى الادبي من حيث الاشراق في البيان والعمق في الفكرة على اعتبارها من صنع فتى لم يتجاوز الرابعة عشرة . ولا مرا ان فوزى منذ صغره ادرك حقيقة القوى التي تبني المجتمعات بتأثير من مطالعته الخاصة وتأمله الفردى وتوجيه والده .

(١) ذكرى فوزى المعلوف : ٧ .

" خلقت في ايار في حضان الربيع والارض بما فيها زاهية باسمة وانا فوقها منقبض
النفس مقطب الجبين ، وما امر العبوسة في محيط الابتسامات .

لذلك اتنى ان يطرحني الدهر عند موتي في حضان الخريف بين اصفرار الاوراق
وذبول الزهور وبكاء السماء .

حينذاك قد ابسم عند عتبة الموت غير آسف لفراق حياة قطعنها في خريف صامت
ذاو وتركتها في خريف صامت ذاو " (١) .

فهل كان فوزى يحس احساسا خفيا بأن عمره لن يطول ؟

وفي سنة ١٩١١ انشأ عيسى اسكندر المعلوف مجلة الاثار الشهرية فقام فوزى بتعريب

عدد من الاقصوصات عن الافرنية التي اتقنها منها رواية الودعة الصغيرة (٢) ورواية نكبات الحروب (٣)

وهو لم يتجاوز الرابعة عشرة من العمر بعد . ومن مترجماته في هذه الفترة ايضا جزء من قصة

العصفور الابيض لافردى موسى ، كما انه حين بلغ الخامسة عشرة من العمر ابتداء بترجمة ما

يعتقد انه كتاب جيرمينال لاميل زولا (٤) . وكان لهذه المطالعات تأثير عميق على مخيلته

(١) ذكرى فوزى المعلوف ، ١٢ .

(٢) مجلة الاثار - المجلد الثاني (١٩١٢ - ١٩١٣) : ١٩٦ . وهي قصة مترجمة عن الافرنية
عن فتاة تدعى كاترين ابنة لقائد افرنسي فقدتها حين نشبت الحرب بين الافرنيين والنمساويين
وتلعب المصادفات دورها ان يلتقي الاب بابنته في كوخ امرأة المانية فقيرة كانت قد اعتنقت
بكاترين حين حملها اليها احد الجنود الافرنيين . ففرح الوالد بلقاء ابنته وحملها الى
زوجته التي كانت دائمة البكاء على طفلتها المفقودة ، وكافأ المربية ان اخذها معه الى بيته
ولم يفرق بينها وبين ربيبتها التي احبها كل الحب .

(٣) مجلة الاثار - المجلد الثالث (١٩١٣ - ١٩١٤) : ٣٣٥ ، ٣٨٢ . وهي قصة مترجمة عن
الافرنية عن فتاة تدعى مرسيل وحيدة تعيش عند امرأة عجوز وتعمل في احد المعامل وتحب
شابا يدعى لوسيان كان قد انتقدها من اللصوص . وكان هو ايضا يتيمًا مثلها ولكن احب
الاعنياس . اراد ان يزوجه من ابنة شريكه الغنية ، وكان قد تبناه ، فغالبه الطمع وهجر
مرسيل التي ارسلت اليه رسالة بعد ان عزمته على الانتحار ، فاسرع للقاءها وتأثر بحالها
وعزم ان ينتحر معها وحينما نفذ الامر دخل والداها الى الحجرة وهما الكونت مونزال وزوجته
وكانا قد فقدوا ولديهما في اثناء الحرب السبعينية بين الاتحاد الالماني والافرنيين ، ولم
يعثر لهما على اثر الا في اللحظات الاخيرة التي انتحرا فيها ، وبذلك يكشف لنا المؤلف ان
الفتى لوسيان ليس سوى شقيق مرسيل .

من الملاحظ ان هاتين القصتين دارت حوادثهما في اثناء حروب ومعارك وكأنا فوزى ،
منذ حداثة يقف موقفًا ناقما على الحروب لما تحدثه من ويلات ومآس تنعم حياة الانسان
بالقلق والموت . وسرى آثار الحرب تمسح شعر فوزى بمسحة الكآبة والتشاوم من مصير الانسان .
هذا بالاضافة الى النفس الرومنطيقى الذى يشوب القصتين ويتجاوب مع اصداخ خوالج فوزى ومشاعره

(٤)

ووسعت من رؤياه التي كانت ما تزال مبكرا وعمقت من تأملاته .

هـ - فسي بيروت :

في عام ١٩١٤ انتقل فوزى الى بيروت حيث التحق

بمدرسة الفرير الكبرى ، وقد اشتهر امره بين رفاقه وظهر فيه الميل الشعري . ويورد في مذكراته من حوادث ذلك العام " ان لجنة ادبية قوامها الشيخ اسكندر العازار (١) ، والدكتور سليم الجلج (٢) ، وبشاره الخورى (٣) ، قدمالى المدرسة لامتحان التلامذة فسي نهاية السنة . فاقترح عليّ بشاره - وكان قد اعجب باحدى قصائدى - ان اشطر بيتين من الشعر فكتبتهما على اللوح وشطرتهما ، وهاك ما قلت (٤) :

" صبرا على الايام في بلواتها "	فالصبراولى لاتقا آفاتها
واذا تجنت اورمت سهم الشقا	" لا بد ان تأتي على عاداتها "
" ان كان عندك يا زمان مكيدة "	مكشوفة فأنا لقا فتكاتهما
او كان عندك آفة محجوبة	" مما تكيد بها الرجال فهاتها "

وحين وقعت كارثة الطيارين التركيين محمد فتحي وسليم صادق اللذين تحطمت طائرتهما عند قرية سمخ قرب بحيرة طبرية وقتلا ، وهما اول طيارين عثمانيين ، واهتزت البلاد للمأساة حينذاك (٥) ، اقترح استاذ فوزى ، الخورى بطرس البستاني على الطلاب ان ينظموا قصيدة في رثاء الطيارين ففاضت قرية فوزى بقصيدة " كارثة سمخ " (٦) وكان مطلعها :

يا " سمخ " لا سحب سقتك عهداها فلقد اسلت من العيون عهداها

- (١) اسكندرعازار (١٨٥٥ - ١٩١٦) . اديب لبناني من مؤلفاته حرب البسوس ومجاعة رومية ، وحواضر البيوت . للتوسع انظر مجلة العرفان ٢ : ١٣٧ و مجلة الشرق ٢٥ : ٦٦ .
- (٢) سليم الجلج (١٩١٠ - ١٩٠٠) . دكتور في الطب سكن بيروت ، من اثاره مرشد الضال في تربية الاطفال . انظر معجم المؤلفين لكحالة ، مجلد ٤ : ٢٤٥ .
- (٣) بشاره الخورى ، المعروف بالاخطل الصغير والملقب بامير الشعراء . من دواوينه الهوى والشباب . انظر كتاب الاخطل الصغير لعبد اللطيف شرارة وشاعر الهوى والشباب لفؤاد نعمان .
- (٤) ذكرى فوزى المعلوف : ٩ .
- (٥) وقعت مأساة الطيارين في ١٤ شباط عام ١٩١٤ .
- (٦) ديوان فوزى المعلوف : ٢٣ - ط ١ (١٩٥٧) .

فهل كانت قريحة فوزى المعلوف تتمخض منذ ذلك الحين بملحمته "على بساط الريح" التي قظمها في السنوات الاخيرة من عمره ٢

وفي السنة نفسها اصدر فوزى مجلة مدرسية دعاها "مجلة الادب" (١) وهي مجلة مخطوطة كان يكتبها بخط يده وقد نشر فيها قصيدة من بواكير انتاجه هي قصيدة "قلب موجع" جاء فيها :

عجبا عيونك وهي تحت البرقع	جرحت فؤادي وهو بين الاضلع
وجمال وجهك بعد اول نظرة	لم يبق لهوى سوى من موضع
حب كتمت عن العيون وجسود	ولوانها علمت به لم تهجس
ما زلت اخفيه ويفضحه الضنى	ابدا فأطفئه بماء الادمع
والقلب مشتعل الجوانب خافق	يحيا الحياة بأنة المتوجع

وتدل هذه المحاولة لاصدار مجلة مخطوطة وهو لم يكد يتجاوز الخامسة عشرة على ولع عميق بالادب والحياة الادبية وحيوية ناشطة تسعى ابدا للعمل والخلق تحفزها مشاعر رومانطيقية مراهقة تنير في وجدانه حركة ورؤى هي وليدة حس رهيف وخيال مبدع يستعذب الالم . هذا ، مع العلم انه كان في نية فوزى ان يتخصص بفرع من فروع العلم (٢) وكأنه بذلك يولد توازنا بين اتجاهه الادبي ورغبته في العلوم . ونحن نجد انما بعد ، كيف جمع فوزى ما بين الحياة التجارية والحياة الادبية واصاب نجحا فيهما جميعا .

و - العودة الى زحلة :

وحين دارت رحى الحرب في عام ١٩١٤ ، اغلقت مدرسة الفرير ابوابها (٣) ، وكان على فوزى ان يعود الى زحلة حيث وزع اوقاته ما بين التجارة والادب اذ تعاطى تجارة الحبوب مع عمه في المريجات ورياق وزحلة (٤) . وفي زحلة اعتكف على المطالعة والدرس ووجد " في الخزانة المعلوفية " من الكتب ما كانت تصبوا اليه نفسه من الوثائق التاريخية ودواوين شعراء الجاهليين والامويين والعباسيين والانديلسيين والمعاصرين (٥) ، ووجد من والده

(١) لقد رأيت العدد الوحيد عند شقيقه رياض المعلوف في زحلة حين قمت بزيارته بتاريخ

١٥ / ٩ / ١٩٦٦ . وقد صدر هذا العدد في شهر كانون الثاني سنة ١٩١٤ .

(٢) البدوي المثلث : شاعر الطيارة : ١٦ . وانظر ايضا كتاب فوزى المعلوف للخوري جبرائيل ابي سعدى : ٧ . ولعل البدوي المثلث اخذ عن ابي سعدى وذلك لصدور كتابه متأخرا عنه ولم نعر على اى مصدر آخر يؤيد هذا القول .

(٣) احرق الجنود الاتراك مكتبة مدرسة الفرير في الحرب حسب ما اخبرني مديرها .

(٤) الاسود ، ابراهيم - تنوير الازدهان في تاريخ لبنان - ج ٣ : ٤٠٢ .

(٥) AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF: 31 .

البحاثه خيرا ب واسع الاطلاع يعينه في مطالعته وابحاثه . فيما بعد ، يذكر فوزى في رسالة بتاريخ ١٧ نوفمبر سنة ١٩٢٩ انه " كان دائما يشجعه ويحثه على طلب الكمال وحبه " (١) . كما انه بعد ان انتهى من نظم ملحنته على بساط الريج اطلع والده عليها وطلب منه رأييه الذى كان يجله (٢) .

غير ان فترة الحرب هذه كان لها اثر كبير على حياة الشاعر ، ان انطبعت في مخيلته مشاهد الجوع والفاقة ورأى البؤس يخيم على القرى والمدن بحيث اضحت الحياة من اثر الحرب لا تكاد تطاق ، فراح " يفكر بانانية البشر وتكالب الاقوياء وجشع الاغنياء وسخرية القدر ، ورأى الموت يمر حوله مرارا يحمل العنجل الى كل بقعة . . . فتألم وحزن " (٣) . وقد اتاحت له قرية المريجيات التي كان يلون بها حين التحق بعمه فرصة التأمل في واقع الحياة ومأساة الانسان . وانصرف الى الشعر يستمد من ويلات الحرب مادة غزيرة الا ان شعر الحرب هذا لم يصل اليها منه الا النزر اليسير ، فما نشر منه ولعله اسقطه من نتاجه بعد تطور شعره ، وكان يحمده الله على ذلك حيث يقول : " احتجاب الصحف حين بدأت انظم في اوائل الحرب العامة . . . ساعدني . . . على دفن منظومات يتسرع في نشر مثلها كل من يبدأ قرض الشعر " (٤) . فمن قصائده في فترة الحرب القصيدة التالية :

روح " هيكو " من السماء اطلبي	واحلمي نسمة الى الاحياء *
هم موتى النفوس موتى الاماني	رغم ما في جسامهم من رواء
شارفي حالهم وقولي عزاء	فعمى بالكلام بعض العزاء
وصفيهم يا روحه فلقد كنت	على الارض حصاة البؤساء
نبذتهم اهل الدنى فعمساها	لبلائهم ترق اهل السماء

.....

AOUN, FAIEZ ~ FAWZI MA'LOUF : 29

(١)

(٢) مجلة الضاد - عيسى اسكندر المعلوف - العدد الخاص بذكرى فوزى (١٩٣٥) : ٢٥ .

(٣) الدهان - سامي - قدما ومعاصرون : ٣٠١ - ٣٠٢ (دار المعارف بمصر ١٩٦١) .

(٤) ذكرى فوزى المعلوف : ١٠ - ١١ .

* يلوح لي ان الشعور بالبؤس كان قدرا مشتركا في العصر ، فقصة هيكو البؤساء " ترجمها كل من حافظ ابراهيم وطانيوس عبده حينذاك . ولعل مظاهر البؤس التي ارتسمت بين سطورها وجدت صدى في الوضع العام الذي كان يقاسيه لبنان ولا سيما ابان الحرب . فتركت هذه القصة اثرا في نفوس ادباء العرب وشعرائهم وبصورة خاصة نرى اثر ذلك على فوزى المعلوف .

كم فتاة كان الحياء حلاها قبل ان راودته كفا الشقاء

تبذل العرض وهو جوهر النفس رخيصة حتى بجرعة مساء

وتنادى في ساحة الفحش والنفسق على ما بقي لها من حياء (١)

غير ان فترة الحرب هذه تميزت ايضا بانتاجه النثرى . فقد قام بترجمة رواية " كنزلف القرطبي " (٢) لفلوريان (٣) (١٩١٥) وهي قصة تتحدث عن اواخر ايام العرب في اسبانيا كذلك قام بتأليف قصته غير الناجزتين " على ضفاف الكوثر " و " سلمى او صفحات غرام " (٤) (١٩١٥) ، وبدأ في تأليف رواية " الحمامة في قفص " (٥) ، كما انه تحت تأثير رواية كنزلف القرطبي كتب مسرحية " ابن حامد " او " سقوط غرناطة " (١٩١٦) (٦) . ولم يصلنا من هذه المؤلفات النثرية سوى مسرحية ابن حامد وهي الوحيدة التي انمها (٧) .

وظل فوزى يتنقل ما بين رحلة والمريجات طوال فترة الحرب الى ان وضعت الحرب اوزارها . فاستقدمه والده الى دمشق سنة ١٩١٩ ، وكان عيسى المعلوف قد انتقل اليها على اثر الاحتلال العربي الانكليزى في ١٠ سنة ١٩١٨ (٨) .

ز - فنى دمشق :

لدى وصول فوزى الى دمشق عين امينا لصندوق دار المعلمين

(١) مجلة الانار - ج ٦ ، ص ٤ (حزيران ١٩٢٧) : ٢٥١ . ولقد ذكر عيسى المعلوف انها من اشعار الحرب الكبرى .

(٢) ذكرى فوزى : ١٠ .

(٣) فلوريان قاص فرنسي عاش ما بين ١٧٥٥ - ١٧٩٤ .

(٤) AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF: 166 .

(٥) ذكرى فوزى المعلوف : ١٠ ، ٣٩ .

(٦) المصدر السابق : ١٠ .

(٧) لقد بلغني ان بعض هذه المخطوطات موجودة في حوزة الدكتور فايز عون فقامت بزيارته بتاريخ ١٩٦٧/٢/٧ وسألته عنها فاخبرني انه لا يملكها وانها لم تصل الى يديه .

(٨) كان عيسى اسكندر المعلوف قد انتدب لترؤس مدارس الارثوذكس في سوريا " فخدمها باجتهاد واسس هناك باشارة غبطة العلامة الطيب الذكر البطريرك غريغوريوس الحداد مجلة النعمة الشهرية وحررها مدة طويلة " ثم بعد ذلك عاد الى رحلة ، ولكن لدى نهاية الحرب العالمية الثانية دعاه الامير زيد شقيق الامير فيصل ونائبه الى دمشق وعينه في شعبة الترجمة والتأليف وذلك في ٢٠ سنة ١٩١٨ . انظر " العلامة عيسى اسكندر المعروف " من منشورات مجلة الرسالة المخلصة : ٦ - ٨ .

ثم كاتما لاسرار عميد المعهد الطبي العربي حيث كان والده يدرس علم التربية والتعليم
" البیداغوجي " (١) ، فأحسن فوزى العمل ونال منزلة لدى العلماء والادباء ، والقى في
دمشق قصائد بليغة وكتب مقالات رائعة في انديتها الادبية وصحفها الوطنية وراسل جريدة
المعظم المصرية مدة بعنوان " مكاتبنا الدمشقي " (٢) .

ونحن نعلم ان صلة اسرة فوزى بدمشق صلة قديمة * ، الا ان الشاعر عاش في جو
جديد في هذه المدينة يختلف عن جو زحلة " تكتنفه جدران تاريخية تتكلم وتحيط به آثار
عربية قديمة لا تشبه في شيء ما خلف من جمال وروعة في المشاعد عند زحلة او بيروت . ولكنه
جمال آخر فيه عظمة الفاتحين وخلود الاجداد . فلمس الشاب تقديرا لشعره ووقف على الحماسة
في الشام والتهب قلبه وطنية " (٣) . وفي غضون اقامته بدمشق اتبع له ان يفتح عينيه ايضا
على الحركة العربية الاستقلالية (٤) ، ويعطف عليها وعلى المتولين امورها ، الا ان شعره لم
يصطبغ بالثورة العارمة بل كان فيه نقمة على الاوضاع دون ان تتمذهب هذه النقمة في عقيدة
او موقف وطني صارخ (٥)

(١) الاسود ، ابراهيم - تنوير الازهان في تاريخ لبنان ، ج ٣ ، ٤٠٢ .

(٢) المصدر السابق ، ٤٠٢ - ٤٠٣ .

(٣) الدهان ، سامي - قدما ومعاصرون ، ٣٠٢ .

(٤) زيتون ، نظير - مقال اضواء على فوزى المعلوف ، ٨١ . مجلة الرسالة المخلصية ، س ٣
ع ١١ (١٩٥٢) . ويزيد زيتون على ذلك قوله انه كان يشارك في هذه الحركة
الوطنية " وينطبع بطابعها ويجرى في ميدانها ويحمل علمها متحمسا للاستقلال والكرامة
القومية متغنيا بالعروبة وامجادها الذهبية ويطولاتها السخية . سار في حلبة النضال
الوطني منافحا مدافعا عن سيادة سوريا ولبنان وعن حقهما في الحرية والحياة يحدوه
اباء اصيل ومبدأ جليل وفكر نبيل " . اننا نرى في هذا القول شيئا من المغالاة اذ لا
نلمس مثل هذه الروح الزاخرة الجياشة بالوطنية كما نراها عند القروى او فرحات وغيرها
وسياتي الحديث عن وطنيته عند تحليل انتاجه . والواقع ان قصائده الوطنية لا تزيد
في معظمها عن تجسيد عميق للحنين المختلج في وجدانه نحو وطنه وعن نقمته على
الاحوال الاجتماعية والسياسية السائدة فيه .

(٥) يقول شفيق المعلوف " ولا بد لنا من كلمة في عقيدة الشاعر الوطنية فأنا جل ما طمح اليه ان
يكون لكرامة وطنيه حرمة في داخل بلادهم وفي الخارج ، غير آبه لاختلاف الوسائل النبيلة
المؤدية الى ذلك مع احتفاظه برأيه الخاص " (ذكرى فوزى ، ٢٩) .

* قضى اسكندر المعلوف ، جد الشاعر ، فترة من الزمن في دمشق حيث تلقى بعض علومه فسي
الفقه . (دواني القطوف ، ٣١١) . كذلك والده ايضا قضى فترة من الزمن في دمشق
قبيل اعلان الحرب العالمية الاولى وبعدها كما بينا سابقا .

مكث فوزى في دمشق ما بين عامي ١٩١٩ - ١٩٢١ ، تعددت في هذه الفترة موضوعات شعره وتلونت ، فكان منها الوصف والغزل والحماسة " يضحك لسانه حيناً في هزل او نكتة او حب برى طارىء ويبيكي احياناً في تشاؤم واسى " (١) . فمن اثاره في دمشق دعابة شعرية بعنوان " يا ليل الوحل متى غده " عارض بها قصيدة " يا ليل الصب متى غده " * للحصرى القيرواني ، يصف فيها الوحل المتراكم عند حي باب توما ومطلعها (٢) :

هل سيل يهدر جارفيه ؟ او بحر يزخر مزده ؟

وفي صباح اليوم الذى طالع فيه اولو الامر هذه الدعابة الشعرية في الف باء

الدمشقية ارسلوا من ازال معالم الاحوال عند باب توما (٣) .

ومن اشهر قصائده في هذه الفترة (٤) قصيدة الليفة (١٩١٩) ، والى دانيزيرو

(١٩٢٠) وعظمة المرأة (١٩٢٠) ، والشاعر (١٩٢١) والمأسدة الخالية (١٩٢١) والفردوس

المستعاد (١٩٢١) (٥) التي نالت جائزة مجلة المرأة الجديدة في بيروت ونشرتها " وطلبته

ادارة هذه المجلة براتب كبير لانشاء مقالاتها فلم يشأ البقاء في البلاد بل وطد العزم على

المهاجرة . . . " (٦) .

ومن نشره في هذه الفترة وصلت الينا مقالة " على ضفاف بردى " (٧) (١٩١٩) (٨)

وفيهما مناجاة الى بردى " ابن العصور ورفيق الاجيال " . وفي هذه المقالة نراه يورد عددا

من اقوال كبار الفلاسفة والادباء والعلماء (٩) ، وقد اتخذ من بردى منطلقاً يعبر فيه عن تمرد

وثورته على واقع الحياة في المجتمع العربي ، وينهي المقالة بقوله :

(١) الدهان ، سامي - قدما ومعاصرون : ٣٠٣ .

(٢) البدوي الملم - شاعر الطيارة : ١٧ - ١٨ . كذلك وردت هذه القصيدة في كتاب عيسى

اسكندر المعلوف " معارضات قصيدة يا ليل الصب للحصرى القيرواني " : ٣٦ . ونجد

في هذا الكتاب عن عدد من الشعراء المعالفة الذين عارضوا قصيدة الحصرى ومن جعلتهم

عيسى اسكندر المعلوف حيث شطر قصيدة الحصرى في وصف الحرب العامة : ٣٣ . وقد

صدر هذا الكتاب بتاريخ ١٩٢١ .

(٣) البدوي الملم : شاعر الطيارة : ١٩ .

(٤) AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF: 166-167

(٥) الاسود ، ابراهيم - تنوير الازهان في تاريخ لبنان - ج ٣ : ٤٠٣ .

(٦) المصدر السابق : ٤٠٣ - ٤٠٤ .

(٧) ذكرى فوزى المعلوف : ٣٩ .

(٨) AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF: 167

(٩) ذكرى فوزى المعلوف : ٤٠ .

* ديوان الحصرى القيرواني : ١٤٩ . تونس ، ط ١٩٦٣ .

" قل للكاتب المتعلق المتذبذب : ان الكاتب من يمد قلمه من اخلاصه لا مسن دواته ، ومن يكتب بقلبه لا بيراعه ، فهو قائد الامة ومرشدها ومتى كان القائد اعمى تخبطت الامة في الظلمات فليكن شعارك قول الحقيقة بجرأة واخلاص مجردين عن كل نزعة وغاية " (١) .
ولعل هذا المقطع يصور لنا مدى شعور فوزى بمسؤولية الاديب في مجتمع تعصف به التيارات الفكرية والادبية والسياسية . وهذا الشعور هو وعي عميق لمهمة الاديب ان نراه يميل الى اعتبار الاديب اكثر وعيا واعمق نفاذاً للمشكلات الامة لما يتميز به من حس مرهف ورؤيا غيصب مسؤولاً عن عملية " التوعية " في الامة . وهذه هي الصورة التي ظلت مرتسمة في مخيلة فوزى طيلة حياته القصيرة .

ح - الهجرة الى البرازيل :

وضعت الحرب اوزارها ، ووقعت البلاد السورية تحت الانتداب البريطاني والافرنسي ، وكان لبنان وسوريا من نصيب فرنسا ، وقد تعلق آمال ابنا العرب بالحلفاء باديء بدء الا ان تلك الامل اصابتها الخيبة ، وكان لها رد فعل معاكس فسي نفوس العرب . ولقد ضاقت نفس فوزى ذرعا بالحالة التي وصل اليها البلد ، وكان اخوه اسكندر قد سبقه الى البرازيل حيث عمل مع اخواله وحالفه التوفيق ، فانتهاز الفرصة وهاجر من ارض الوطن الى اميركا اللاتينية وفي صدره حرقه ، وفي قلبه غصة . يقول * :

(١) ذكرى فوزى المعلوم : ٤٠ .

* بيد وان فوزى كان يفكر في الهجرة الى البرازيل قبل عام ١٩٢١ ، ان جاء في رسالة بعث بها الى صديق له من دمشق عام ١٩٢٠ ما نصه : " طالعت اليوم رسالتك الشائقة لوالدك تلك الرسالة التي نشرتها مجلة المعارف فوقفت مليا غارقا في بحور التأملات . وانت عازم على السفر ايضا ؟ او شعرت بالامواج الهادرة والعواصف الثائرة التي تغف بينك وبين مستقبلك هنا فشددت رحالك للنزوح ، للهرب ، للتخلص من قبل الاصطدام بها والضياح في تيارها ؟ ان المحيط هنا يا اخي ليضيق على امثالنا كبرى المطامع ، كبرى الامل . اننا نطلب فضاء متسعاً نطلق فيه العنان لاجنحتنا ، فنطأ غيومه ، ونمد ايدينا الى نجومه . اما هنا فليس في وسعنا التقاط الازهار المنثورة نشر آملنا بين الاقدام فكيف يمكننا ياترى ان نتطال الى النجوم البعيدة العالية . . . يولمني وايم الحق ان اهجر - بل بالاحرى ان نهجر معاً سماء سوريا الصافية ومياهها العذبة وهواها البليل ومناظرها الجميلة ، وهي التي احتضنتنا واطللتنا منذ زمانا شقا الحظ على ارضها . ولكن ما العمل يا اخي ؟ يجب ان نسير مع التيار طوعا ولا . قدفنا قسرا . يجب ان نهجر الان ونحن في ريعان العمر قبل ان ندرك الكهولة او تدركنا ، وحينئذ نعض اصابعنا ندما . من امر العذابات وجود الشقي بين السعداء والفقير بين الاغنياء ، انه . ليشعر ان ذاك بالنقص الذي هو فيه فيتفطر قلبه لهفا على حاله . ولو كانت سوريا اليوم لا تزال على ما كانت عليه قبل خمسين سنة لامكن ان نقنع بالمعيشة فيها كما عاش اجدادنا من قبلنا . ولكن اليوم غير الامس ، وغدا سيكون غير اليوم ، وهكذا الى ما شاء الله . . . (عن مجلة المعارف - العدد الرابع - السنة الرابعة (١٩٢٠) : ٢٥٨ .

قسما بأهلي لم افارق عن رضى
 لكن انفت بأن اعيش بمعوطــــ
 اهلي وهم ذخري وركن عمادى
 عبدا وكنت به من الاسياد (١)
 ولم تكن سيطرة الاجنبي وحدها هي التي جعلته ينفر من الواقع ، وانما ما رآه من الجهل
 والاهمال يخيمان على ربوع البلاد ، فاسمعه يقول :
 صرنا وصار حمانا منزلا خسريا
 تعضي القرون ولا يخليه مغتصب
 يدب في ساحه من دائنا العطب
 الا ليحتله بالسيف مغتصب
 والجهل والدين والاهمال علتة
 فينا الدوا ، وفينا الداء واعجبي
 ونحن يأخذنا من حالنا العجب (٢)
 ونراه يرسم لنا لوحة كئيبة لهذا الوضع الاليم في مذكراته لمشهد كان قد رآه في
 دار الجوازات وهو يهيى اوراق سفره . كتب (٣) :
 " . . . وقد وقف على المدخل شرطي لسانه يده وكلامه اللطم ، اخلى مكانه برهة
 قصدت امرأة آلمة تعجيل اوراقها فبصر بها وصعد السلم وكضا وجذبها من ثوبها صارخا صاخبا
 ولولا ان تمسكت بالحاجز لهدت الى اسفل . وقد حاولت ان تكلمه بالحسن فلم يصغ بل جرها
 وهي باكية وهو كالوحش معتد بشراسته . . . بلية بلادنا اهلها والاجنبي يظل يحترمنا حتى
 يرانا يحتقر بعضنا بعضا فيعاملنا بنفس الاحتقار " .
 مثل هذه المشاهد المحزنة كانت تنطبع على صفحة نفس فوزى فتعذبه وتورق راحته ،
 ووجدت في رفاهة حسه مرتعا خصباً تتوالد فيه وتتكاثر ، واذا بهذه الصور الحزينة تغور في
 اعماق وجدانه وتستقر في السديم لتطفو فيما بعد مثقلة بالكآبة والتشاؤم . وهذه المشاهد
 وسواها كانت تجعل فوزى " يهاجر الى دنياه الخفية المغلقة التي لا يطلع عليها احد ولا يتاح
 لاحد ان يطلع عليها الا من خلال التعبيرات الفنية " (٤) .
 اذا ، الاوضاع الاجتماعية والسياسية ارغمت فوزى الى البرازيل ، غير ان بعض النقاد
 والمؤرخين يحاولون ان يخلقوا اسبابا اخرى فيذكرون ان فوزى قد احب فتاة في رحلة لم يحظ
 بالزواج منها ، فأثر ذلك عليه (٥) .

- (١) ديوان فوزى المعلوف : ٢٨ .
- (٢) المصدر السابق : ٣٠ .
- (٣) ذكرى فوزى المعلوف : ٢٩ .
- (٤) مجلة الرسالة المخلصية - س٣ (١٩٥٧) ، ع ١١ - مقال اضواء جديد على فوزى المعلوف
 لنظير زيتون : ٥٦ .
- (٥) الناعورى ، عيسى - ادب المهجر : ٤٦٦ . قال " وقد علمت من احدى قريبات فوزى انه
 قد احب فتاة جميلة لا تزال حية تزرق ولكنه لم يتمكن من الاقتران بها ، فاضطرته خيبته
 الى السعة الى الدانمارك حيث ظن انه يستطيع ان يفتد نفسه بها . . . "

والحقيقة ان المراجع تسكت عن ذكر حياة فوزى العاطفية سوى ما نعر عليه من متفرقات ، وما نتحسس في شعره من صيحة الم ناقبة تخترق النفس وتهز الكيان . والقارى لشعر فوزى العاطفي يحس بتلك الحرقه الصادقة التي لم تعرف ارتواء . يذكر سامي الدهان ان بعض النقاد يقولون " ان الشاعر تغزل وعبث بمن حوله من نساء كن يهمن في اذنيه او يخطر لعينيه او ييسمن لبسماته فوقف منهم موقف عمر بن ابي ربيعة فيما يبدو ، وسعى في اثرهن ، وكانت له مواقف فرح كذلك كما كانت له مواقف اسى " (١) على ان هذه النظرات كلها هي من قبيل الاستنتاج والاستقراء .

لقد ظل هذا الجانب من حياة فوزى خافيا وكأنه سر من الاسرار ، وقد حاول الشاعر رياض المعلوف ان يورد شيئا عن حياة اخيه العاطفية فلم يجد ما يذكره سوى ان فوزى " لجمال طلعتة ورجولته استحوذ على اعجاب عدد من البرازيليات " (٢) ، ثم يتحدث عن قصة فتاة برازيلية كان فوزى قد اهداها عباءة ثمينة وحين مات ارادت ان تعيدها الى ذويه * . وفي اعتقاد البعض ان قلب فوزى لم يكتب بحب لاهب " وان نسج البعض فصولا حول علاقته باحدى جميلات الاسبان ، زوجة شخصية ادبية كبيرة " (٣) . ونحن لم نعر على غير هذه الشذرات من قصص حياته العاطفية وهي شذرات لا يقوم عليها دليل مادي نتقراء في شعره او يقين لا يرقى اليه الشك بثبوتها عليه .

ومن المعروف ان فوزى كان يدون مذكراته (٤) فمن الطبيعي اذا ان يسجل لنا شيئا من نامة القلب ، واضطراب الشعور ، وتقلب العاطفة ، ويذكر مشاهد من ذكريات حياته الغرامية . ولكننا لا نجد في كتاب الذكرى اى ملمح لذلك بالرغم من ان شقيق كاتب سيرة حياته اقتبس الكثير من مذكراته . فهل خرج فوزى عن مألوف العادة وكتم حبه حتى عن مذكراته ؟ ان في حياته العاطفية ما يدعو الى الحذر والتكتم ؟

-
- (١) الدهان ، سامي - قدما ، ومعاصرون : ٣٠٣ .
 (٢) جريدة الجريدة - ٢٤٦٧ع ، ك ٢ ، ١٩٦٠ / ٨ : ١١ .
 (٣) مجلة الرسالة المخلصة - من ٣ (١٩٥٧) ، ١١ع - هاشم ، جوزيف - بين فوزى المعلوف وحكيم المعرة : ٦٩ .
 (٤) لقد استحال علي العثور على مذكراته الا ما ورد في الذكرى فقط .
 * في حديثي مع رياض المعلوف شقيق الشاعر بصد هذا الموضوع لم يصف جديدا على ما ورد في مقاله المدرج في جريدة الجريدة .

لمعل العوامل المذكورة آنفا تضافت جميعها لكي تحفز فوزى على الرحيل الى البرازيل بعدما صادفه اخوه اسكندر من النجاح في حقل التجارة . وهكذا في صباح يوم ١٧ أيلول سنة ١٩٢١ (١) غادر لبنان على ظهر الباخرة سفنكس (٢) ، وحين راحت شواطئ بيروت تغيب عن ناظريه ثار به الحنين الى الاهل والرفاق وهاجمته ذكريات عذبة ففاضت قريحته بقصيدة حنين المهاجر التي مطلعها :

واطول اشواقى الى الوادى وادى الهوى والحسن والشعر
ملهى صباى ومهد ميلا دى وعسى يكون بحضنه قبرى (٣)

وحين وصل الى سان باولو لم يكن محتاجا الى البحث عن عمل يوفر له اسباب العيش اذ كان اخواله في البرازيل من اصحاب المكانة الرفيعة ، بل كانوا اهل ادب وفضل وثراء . هم ستة اخوة انصرفوا الى التجارة والصناعة ، جورج معلوف وشاهين وجميل وميشال وقيصرونقولا (٤) . فرعاه خاله جورج وفتح له ابواب معاملته يتدرب فيها " ويتعلم صناعة المنسوجات الحريرية وتجارتها ١٠٠٠٠ اى انه لم يكابد شيئا من المشقات والمصاعب التي يصطدم بها المغترب الجديد في اميركة وخصوصا ذاك الذى خلع القلم على يده بغاضة وسكب الرغد على جبلته غضاضة " (٥) . ومن ناحية اخرى فان شهرة ابيه عيسى اسكندر المعلوف كانت قد سبقته ومهدت له ، " لقد رى جيلين او ثلاثة من شباب زحلة ولبنان واستقرت كرتهم في البرازيل ومنهم من رافق فوزى على مقاعد الدراسة فما عثم ان التف حوله ارهاط من الرفاق والانساب والاصدقاء الاوفياء (٦) . وكان الادب العربي في البرازيل يوم وصول فوزى خصباً غزيراً قوى العناصر والجذور ، ولكنه كان في معظمه ادبا تقليديا محافظا . فهناك عشرات من بلغا الكتاب ، بينهم شيوخ علم ولغة وبيان ، اشهرهم نعمة يافث ، ورشيد عطية ، والدكتور خليل سعادة ٠٠٠٠٠ ولكنهم تمسكوا بالحرف وطبعوا تقريبا على غرار المتقدمين عبارة واسلوبا . وكثيرا ما دارت بينهم المناظرات

(١) ذكرى فوزى المعلوف : ٤ .

(٢) جريدة الجريدة : ١١ .

(٣) ديوان فوزى المعلوف : ٩٣ .

(٤) زيتون ، نظير - اضواء جديدة على فوزى المعلوف : المجلة المخلصية : ٧٦ .

(٥) المصدر السابق : ٧٧ .

(٦) المصدر السابق : ٧٦ .

اللغوية والبيانية التي كان يندران تنتهي بسوى المهارات والمسافهات . اما الموضوعات
فسياسية او اجتماعية او تعليقات على الحوادث الوطنية والعالمية وانتقادات لبعض العادات
او مواعظ وارشادات . ولم تشذ عن هذه القاعدة سوى جريدة " القلم الحديدي " التي
كان يصدرها جورج حداد حفيد الشيخ ناصيف اليازجي من ابنته سارة اذ كانت تعالج
السياسة وتشن الحملات على رجال الدين والاديان " (١) .

ويتابع نظير زيتون حديثه عن الشعراء فيقول :
" اما الشعراء الشعراء فكانوا آثد قلة وفي طليعتهم الشاعر القروي وفرحات وعقل
الجر والياس طعمة الذي اطلق على نفسه قبيل عودته الى لبنان ١٩٢٠ اسم ابو
الفضل بن عبد الله بن طعمة " (٢) .

" غير انه كان لجماهير المغتربين اثر بليغ في انطلاق الادب المهجري في البرازيل
بعد جموده وفي تكوين عناصره الجديدة متأثرة بالموجة التي كانت تهب عليها من ادب مجلة
الفنون النيويوركية . ومن اعضاء الرابطة القلمية عبر جريدة السائح هذه الجماهير
التي صقلت البيئة الاميركية احاسيس فيها متوثبة وهزت في اعماقها ذخائر كانت مهومة وحررتها من
رواسب عقد نفسية متأزمة فالتهمت في اذنانها واجوائها ومضات من الانبعاث متدفقة ، هذه
الجماهير المتفتحة هي التي شجعت اصحاب المواهب من شعراء وادباء وهي التي فتحت لهم
ابواب الاجادة والابداع فكان ذلك التجاوب الرائع بين الاديب والجماهير ، وذلك التفاعل النظيم
بين الاديب والحياة والذات هذه هي الانتفاضة البعثية التي كانت تهز جماهير الجالية
عندما وصل فوزي المعلوف فعاش في جوها وانطبع بطابعها . وكان كل شي يمهده له سبيل
النبوغ . مواهب خصبة يذكيها التشجيع والتقدير والحفاوة والتكريم . بلى ، ولقد عاش في المهجر
وكأنه في نظر الجوالي العربية شبه اله صغير مدلل عنيد يمشي في الارض مرحا فتشع البهجة
ويفوح العبير " (٣) .

فليس غريبا بعد هذا كله ان نجد فوزي يتألق في المهجر كنجم بارق في سماء الشعر .
اذ بالاضافة الى مواهبه الغنية فتحت له الصحافة صدرها ، وتنافست على نشر انتاجه الشعري .

(١) زيتون ، نظير - اضاءة جديدة على فوزي المعلوف - مجلة الرسالة المخلصة : ٢٢ .

(٢) المصدر السابق : ٢٨ .

(٣) المصدر السابق : ٢٨ .

وبالرغم من انهماكه في عالم التجارة ونجاحه المتواصل الذي اتاح له الجاه والشراف لم يكن هذا قط " ليليه عما فطر عليه من حب مزاولته لفن الادب ، فكان من حين الى آخر يفسح له مجالاً في خلواته فينظم المقاطيع والقصائد والملاحم ويدبج المقالات التي كانت الصحف العربية تتناقلها في كل قطر ، والجرائد الاجنبية تترجم بعضها ، والمصنفات تنتجها في مختاراتها ومجاميعها " (١) . وكثيراً ما كان يتمرد على حياة الدنيا المثقلة بالاعمال وعبادة المال وحب الجاه بحيث انها لا تترك له مجالاً للاختلا بنفسه ومعانقة عرائس شعره فيهتف عبر صرخة نائرة :

مهلاً مشاغلاً يومي ساعة وقفي	يكفيك مني طول العمر ادماني
حتام نيرك مشدود الى عنقي	القي عني من آن السى آن
تفنى الحياة ولا تفنى مطامعنا	ليس الزمان علينا وحده الجاني
يا للتجارة صارت بيننا صنما	لم يلق منا سوى عباد اوثان
نقضي ونحن وقوف في هياكلها	مستعبدين بارواح وابـدان
وعجلنا الذهبي المال تبهرنا	انواره وهي ليست غير نيران (٢)

فكان في المهجر يعيش في نفسيتين : نفسية التاجر الذي نجح في عمله واثري ، ونفسية الشاعر الشائقة الى عالم متحرر من عبودية المال ، وتتجسد هذه الروح في الابيات التالية من القصيدة نفسها :

الهدى شعري ففي ابياته حربي	وفي قوافيه انجيلي وقـراني
وشدت هيكله في اضلعي فأذا	بهيكلي خالد في هيكل فيان (٣)

ويعمل هذه الروح الوثابة العاشقة للادب دعا الى انشاء المنتدى الزحلي * في

سان باولو في ٢٢ سنة ١٩٢٢ " لغاية ادبية محض توثق عرى الاتحاد بين الجالية السورية اللبنانية وترفع شأنها بين الاجانب " (٤) . وقد ترأس فوزي هذا المنتدى واقام فيه حفلات ومثل

(١) ذكرى فوزي المعلوف : ٤ .

(٢) AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF : 189 .

(٣) المصدر السابق : ١٨٩ .

(٤) ذكرى فوزي المعلوف : ٤ - ٥ .

* يذكر نظير زيتون في مجلة الرسالة المخلصة : ٧٧ ما نصه : " كانت النزعة الاقليمية مهيمنة على السوريين واللبنانيين المغترين مع ان مصالحهم المادية وروابطهم الاجتماعية والثقافية والدينية كانت تشدهم الى وحدة مترابطة لا تتجزأ . وكانت جمعياتهم اقليمية واذ جاسوا الى الاقليم فطائفية : للموارنة جمعيتهم وللارثوذكس مجلسهم الملي وللمسلمين معهدهم ولسواهم رابطتهم . ولا غرابة ان ان تؤسس الجالية الحمصية وهي اكبر الجوالي السورية في سان باولو =

رواية سقوط غرناطة او ابن حامد عدة مرات ، والقى محاضرات وخطبا في الاندية العلمية . وكانت له مساجلات لطيفة في مجالس ادباء عصره في العالمين القديم والحديث . ويذكر البدوي المثلث في كتابه شاعر الطيارة حادثة طريفة (١) ومجملها كما روتها صحف المهجر في حينه ان اجتماعا عائليا جرى في منزل جورج بك معلوف فسقط فنجان القهوة من يد قرنته الرفيعة التهديب ايزابيل عبود معلوف ، ولما كان المجلس يضم كلا من الشعراء المعاليف شاهين بك والمرحوم ميشال بك وفوزي وشفيق ، فقد اثار شيطان الشعر تلك القرائح الفياضة فأشدد شاهين

جمعياتها الاقليمية ، ثم تتدارك الثلثة الاجتماعية التي كانت تتسع شيئا فشيئا فتعتمد الى انشاء النادي الحمصي الذي اباح الانتظام في سلك المشتركين لكل من يشاء من ابنا الجالية ولكنه حصر المهام الادارية في الحمصيين .

وكان النادي الحمصي حديث العهد حين استقر فوزي في سان باولو ، اما الزحليون وهم اكبر الجوالي اللبنانية واغناها فقلما اهتموا بانشاء جمعية او تأسيس معهد يوحد صفوفهم ويجمع كلمتهم ، فلم يلبث فوزي المعلوف رحمه الله ان وطد العزم على انشاء المنتدى الزحلي اسوة بالنادي الحمصي . وقد قوبلت دعوته بالاستحسان والتأييد واقبل الزحليون على الانتظام في سلك هذا المنتدى الجديد الذي اسدى الى المجتمع المهجري خدمات ادبية واجتماعية جليلة . وكان فوزي المعلوف اصغر المؤسسين سنا (٢٣ سنة) ولكنه انتخب رئيسا بالاجماع وهكذا تحشد حوله مئات ومئات من ابنا الجالية مدفوعين بالعصبية او الاقليمية او النزعة الادبية او الروح الاجتماعية . وكان اسم فوزي المعلوف يتردد على الافواه متأرجحا متألقا مطرزا بخيوط من الذهب " كان شعار المنتدى الزحلي هذين البيتين :

" ولتستعد لغة الضاد التي دعيت
ان لم تكن كلنا في اصلنا عرب
ام اللغات شبابا برده قشرب
فنحن تحت لواها كلنا عرب "

ونحن نلمس في هذين البيتين مغزى كبيرا قد يتناقض مع الغاية التي انشئ من اجلها المنتدى ، بيد ان الحقيقة ان فوزي الذي كان قد وصل حديثا من سوريا حيث كانت شعلة القومية في عنفوانها وحيث عاش ردحا من الزمن بين ذكريات المجد الغابر طغت عليه فكرة القومية الواحدة دون سواها وكان المنتدى الزحلي بالرغم من اقليميته يتأثر بكل حدث يلم بالعالم العربي .

(١) البدوي المثلث — شاعر الطيارة : ١٩ — ٢١ .

بك يقول (١) :

ثمل الفنجان لما لامست
فتلظت من لظاء يدها
وضعته عند ذا من كفها
وارتمى من وجده مستعطفا
وانشد ميشال بك :

عاش يهواها ولكن
كلما ادنته منها
دأبه التقبيل لا ينفكك حتى يتحطم
وانشد شفيق مرتجلا :

ان هوى الفنجان لا تعجب فقد
كل جزء طار من فنانها
فنظر المرحوم فوزى الى الفنجان فأذا هولم ينكسر فقال معارضا :
ما هوى الفنجان مختارا فلو
هي القته وذا حظ الذى
لا ولا حطه اليأس فها
والذى ابقاء حيا سالما
طفر الحزن على مبسمها
كان ذكرى قبله من فمها
خبروه لم يفارق شفتيهما
يعتدى يوما بتقبيل عليها
هو ييكى شاكيا منها اليها
امل العودة يوما ليديها

وبنتيجة التحكيم فاز فوزى بساعة ذهبية قدمتها السيدة ايزابيل .

ولقد نال فوزى حظوة عند وجوه الجالية العربية في البرازيل وهي كثيرة غنية . وكان له فضل كبير على جمعيات البر والاحسان اذ ساهم بتقديم مساعدات كثيرة للمشاريع الخيرية (٢) . ثم انتقل فوزى من سان باولو الى ريو دي جنيرو حيث افتتح فرعا جديدا للحرير فكانت اوقاته موزعة ما بين العاصمة وسان باولو . ولقد احب الشاعر بلاد البرازيل وعشق عاصمتها الريو حتى نظم فيها القريض (٣) ، فاضحت الحاضرة الجديدة موضع هواه . ومع وجوده في المهجر فأنه كان على اتصال وثيق بالوطن الام " فما يقع حادث في البلاد العربية الا انتقل الى المنتدى

(١) وردت هذه المعارضات ايضا في كتاب شعراء المعالفة لرياض المعلوف : ٦٢ - ٦٨ .

(٢) ذكرى فوزى المعلوف : ٥ .

(٣) ديوان فوزى المعلوف : ٣٢ .

فدافع وتحمس وجمع وتبرع وكم ناصر مصر وسورية بخطبه وقصائده فكان خير سفير وكانت الجالية احسن سفارة " (١) . وكانت الجالية تنتهز كل فرصة مناسبة لتعرب عن امتنانها للدولة البرازيلية حكومة وشعبا وتسعى دائما لتوثيق عرى الصداقة بين ابناء الجالية وافراد الشعب . ففي الاحتفال الذى اقيم بمناسبة عيد استقلال البرازيل المئوى سنة ١٩٢٢ قدمت الجالية السورية تمثالا من صنع النقاش الشهير انورى شميلس (٢) ، وقد اسهم فوزى بالاحتفال بهذه المناسبة فنظم قصيدة في وصف التمثال مطلعها :

حياك تمثال اصم ابكــــــــــــــــم	لو يملك النطق الاصم الابكــــــــــــــــم
هو رمز معرفة الجميل وحسبه	في صمته ان الوفا يتكلمــــــــــــــــم
انظر اليه فكل نقش السنــــــــــــــــن	لشكر فيه وكل حرفه مــــــــــــــــم (٣)

وهكذا نجد فوزى فردا عاملا مشاركا في عواطف امته من ناحية ، ومعترفا بجميل الدولة التي آوته فوق ارضها فأحس بمشاعرها وتعلق باحلامها واحبها من ناحية اخرى .

اما من ابرز الحوادث في حياة فوزى فقصة التقائه بالشاعرين الكبيرين فنتورلي سوبرينو مترجم ملحمة الطيارة الى البرتغالية وفرنسيسكو فيلا سباسا * الذى ترجمها الى الاسبانية ووضع لها مقدمة . وهذان الشاعران هما اللذان عرفا فوزى الى الادبين البرتغالي والاسباني فحظي بشهرة واسعة في الاوساط الادبية البرازيلية (٤) . ومن اصدقائه ايضا الذين عرفهم واخلصوا له السود

(١) الدهان ، سامي - قدما ومعاصرون : ٣٠٨ .

(٢) مجلة الآثار ، المجلد الخامس ، الجزء السادس : ٢٨٤ . وجاء فيها وصف للتمثال كما يلي : " علوه ١٤ مترا ومحيط اسفله ثمانية امتار وفيه عشرون تمثالا ترمز الى اتحاد سكان بلادنا الفينيقيين بالبرازيل ، ففي اعلاه امرأة شرقية تقدم قارورة طيب لرجل هندي من سكان البرازيل القدماء وقد احتضنها ملك السلام وتحتها بقية التماثيل المختلفة الاشكال التي تمثل الفينيقيين يرصدون الافلاك رمز علومهم ، وملك صور حيرام يبعث بسفنه حول افريقيا للتجارة وفي الوسط تمثال الجمهورية البرازيلية ٠٠٠٠ " .

(٣) المصدر السابق : ٢٨٤ .

(٤) ذكرى فوزى المعلوف : ٨٧ .

* شاعر اسباني كتب فوزى شيئا من سيرة حياته في مجلة الشرق البرازيلية ، السنة الثانية (١٩٢٩) ع ٣٠ : ٧١ ونقلتها عنها مجلة المقتطف المجلد ٧٥ (١٩٢٩) ، ج ٤ : ٤٠٦ . وقد جعل حديثه في سيرة الشاعر على ثلاثة اقسام . عرض في القسم الاول الى مؤلفاته فذكر انها بلغت مئة وثمانية وخمسين مؤلفا ما بين نشر وشعر ومخطوط ومطبوع وذكر ان جزءا كبيرا منها مستوحى من التاريخ العربي والحياة العربية منها قصر اللؤلؤ وهي رواية جرت حوادثها على عهد بني الاحمر ، ورواية ابن امية ، ورواية في البادية ، وزفرة المغربي - عني بها زفرة ابي عبد الله آخر سلاطين العرب في الاندلس وبكاء يوم ودع غرناطة من اعالي جبل بادول المشرف على حاضرة ملكه ، ثم دواوين ليالي جنة العريف والاندلس ودفوف اشبيلية وقفير النحل الذهبي وباحة الارجح ٠٠٠ =

حيا وميتا ملبا طحان (١) وهارولد دولترا (٢) ومنوتي دليكا امير شعراء السانباولين (٣).

وهؤلاء جميعا اعجبوا بشعر فوزى وبشخصيته واسهموا في نشر ادبه ، بل ان فيلا سباسا اذاع بعض قصائد فوزى المترجمة من العاصمة البرازيلية على تموجات الاثير . (٤)

اما اهم اعماله الشعرية في المهجر فقد كانت على بساط الريح (٥) (١٩٢٦) وقصيدة شعلة العذاب (٦) التي لم يتمها . وسيرد الحديث عن هاتين المطولتين عند تحليل انتاجه الادبي ونقده . ولقد لقيت هاتان المطولتان شهرة واسعة في العالم العربي والغربي . اما قصائده الاخرى كقصيدة طاقة الزهر (١٩٢٤) والمنتحر (١٩٢٤) واماني مهاجر (١٩٢٤) ومقتل السردار (١٩٢٥) وفرعون وقبره (١٩٢٦) وغيرها فقد كان ينشر معظمها في مجلة الجاليسية ، والدليل وبالاخص مجلة الشرق ، وكلها صحف ومجلات كانت تصدر في البرازيل .

ومن رواياته النثرية القصصية انتقام عائشة وعبد الرحمن الاخير ونخيل الواحات ومخالص الفهد وبرج الاسيرة .

اما في القسم الثاني فيتحدث عن فيلا سباسا الشاعر ويعرض لروايته الشعرية قصر اللؤلؤ التي يعتبرها من الشعر المخلق كما يتحدث عن شاعريته وعن حب الشاعر للعرب . اما في القسم الثالث فيتحدث عن اصل الشاعر ونسبه فيذكر ان امه متحدرة من سلاسة نبيل عربي متنصر كان يدعى محمد بن امية وقد دعي بعد تنصره الدون انطونيو مولاي دى قرطية . وبذلك يعود في نهاية سيرته الى الربط ما بين الحديث عنه وبين العنوان الذي هو "شاعر اسباني يتفاخر بنسبه العربي" .

(١) هو الاديب البرازيلي كاتب القصص الشرقية ولا سيما العربية بلغته . ولقد كتب فوزى سيرته فكانت آخر من كتب ونشرتها مجلة الشرق - السنة الثانية (١٩٣٠) ع ٤٢ : ١ - ٢ . وتناقلتها الصحف . (انظر الذكرى : ١٤٣) . وكان ملبا طحان معروفا بأسم الحاج عبد الله اما اسمه الحقيقي فهو الدكتور جوليو دى ملوا . سوزا مؤلف كتاب سماه الله . تحدث فوزى المعلقوف في مقاله عن ملبا طحان فأشار الى انه يكتب بروح شرقية يخال معها القارى انه بدوى اذ ان الروح الشرقية هي المسيطرة على مناخ مؤلفاته وشخصيته : "ومن يدري فقد يكون ولد بدويا صحيحا ولكن في حياة ساقطة ، وكم في هذا الكون من اسرار لا ندركها . وهكذا يكون قد زار بغداد دار السلام فاستنزل الحكمة من قصورها ، وهابط دمشق جنة الدنيا فحمل عطر الخيال من رياضها ، وبلغ جبال لبنان وهو الارز المقدس فاستوحى السماء عن قرب ، وسكن مصر ربيبة الفراغة فاستقى الاسرار من هياكلها ، ووقف في بعلبك مدينة الشمس فاستقطر النور من هياكلها ، وتاه في بادية جزيرة العرب مبينة محمد فتعلم الفن من جوها الصافي وسجد للجمال في قفرها الهادى . ومن يكتب "سما" الله " هل يمكن ان لا يكون بدويا ؟ " .

(٢) وهو شاعر برتغالي ترجم بعض قصائد فوزى الى البرتغالية . (انظر الذكرى : ٣٦ ، ١٤٣) .

(٣) مجلة الشرق البرازيلية (١٩٣٠) ، ع ٤١ : ٣١ .

(٤) ذكرى فوزى المعلقوف : ٣٦ .

(٥) المصدر السابق : ٤٣ .

(٦) المصدر السابق : ١٤ ، ٤٣ .

والحقيقة ان فوزى لم ينظم اكثر من عشر قصائد ما بين سنتي ١٩٢١ - ١٩٢٦ ، واغلبها قصائد مناسبات كرتاء سليمان البستاني (١٩٢٥) والكفارة (١٩٢٥) ومرثية المنفلوطي (١٩٢٦) بالإضافة الى القصائد المذكورة اعلاه (١) .

ويذكر شفيق المعلوف ان فوزى اهتم في اواخر ايامه بجمع شعره القديم وتنقيحـه وتقسيمه الى كتب مستقلة " ويحزنني كل الحزن ان تكون الايام قد حالت بينه وبين ما يريد فأئنسي قابلت بعض قصائده القديمة بنسخها المنقحة فوجدت قيمتها الادبية قد زادت اضعافا دون ان يكون فيها غير ابدال بعض الالفاظ واحداث بعض الاستدراكات " (٢) .

وفي اثناء وجود فوزى في البرازيل تعلم البرتغالية وآلم بالاسبانية (٣) وبذلك تمكن من الاطلاع على الادبين البرتغالي والاسباني . الا ان هذا الاطلاع لم يحفزه على نظم الشعر بغير اللغة العربية اذ بين يدي رسالة من شفيق الشاعر ، شفيق المعلوف يؤكد فيها ان فوزى لم ينظم قط بغير العربية (٤) . على ان اطلع فوزى على اللغات الاخرى اسعفه فيما بعد على ترجمة قصيدة غرناطة * للشاعر الاسباني فيلا سباسا الى العربية بعنوان " اواه غرناطة " . وكان فوزى معجبا بالشاعر الاسباني وبلغ من تاثير الاخير عليه انه اثار اشواقه لزيارة اسبانيا حتى ان فوزى قبل وفاته كان ينوي القيام برحلة اليها " التي زدته بتشويقي تعلقا بها وحنينا اليها " (٥) .

ط — وفصلاته :

كل هذى الحياة وهم وهذا الرسم — وهم وما انا غير وهم
غير ان الرسم تبقى طويلا وانا امحي بروحي وجسمي (٦)

(١) AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF : 88 - 89 .

(٢) ذكرى فوزى المعلوف : ٣٣ .

(٣) المصدر السابق : ٤ .

(٤) من رسالة تكرم بها علي الشاعر شفيق المعلوف بتاريخ ٦ نيسان ١٩٦٧ .

(٥) على بساط الريح — مقدمة فيلا سباسا : ٣٦ .

(٦) ذكرى فوزى المعلوف : ٥١ .

* ديوان فوزى المعلوف : ١٠٧ .

نظم فوزى هذين البيتين بتاريخ العشرين من شهر ايلول سنة ١٩٢١ (١) ، وقد ذيل بهما رسما كان له وكأنه بذلك يتنبأ عن مصير ينتظره وهو في شرح الصبا . ففيما كان فوزى يتفقد محلهم التجارى الكبير في ريوى جنيرواحتس بائعرا في صحته واجريت له العملية الجراحية التي لم تصادف نجاحا وقضى نحبه .

وقبل ان نتحدث عن لحظات حياة فوزى الاخيرة اود ان اتوقف هنيهة متسائلا عن طبيعة هذه العملية الجراحية . فلقد تباينت فيها الآراء واختلف دارسوحياته في امرها ، فمنهم من ذكر ان هذه العملية الجراحية كانت عملية الزائدة الدودية (٢) . وجاء في دراسة البدوى الملم ما يلي : " بينما كان فوزى في ثورة صبا وتأجج شاعريته داهمه مرض عضال وهو يتفقد حانوته فصرعته نوبة الداء وعلى الفور اجريت له عملية جراحية " (٣) . ثم نجد نظير زيتون في مقاله اضواء على فوزى المملوف يقول :

" ويزعم بعضهم ان العرض الذى عاناه فوزى ثم قضى عليه اى القرحة المعوية هو الذى طبعه بطابع التشاؤم والهروب من الحياة " (٤) . واختلف الآراء هذا في سبب موته يدعو الى الشك ولا سيما انه يتعذر علينا ان نعثر على اى اثر لذكر سبب مرضه ووفاته في كتاب ذكرى فوزى المملوف المفروض فيه ان يعنى بهذا الامردون سواء ليزيل الشكوك ، بل على العكس تماما فأننا نجد بين طيات الكتاب بيانا تحت عنوان " ايضاح لا بد منه " (٥) جاء فيه :

" اما وقد حل المقدور فقد اصبحنا نخشى ان يرى قراء المقتطف في هذا الحادث المؤلم تفسيراً لليأس الواضح الاثر بين تضاعيف تلك الملحمة العصماء فيحل عندهم ان ناظمها شاب مصاب بداء عيا لا يرجى له شفاء ، وانه كان يتوقع مفارقة هذه الدنيا الغرارة بين يوم وآخر . . . " ولا شك ان ايراد مثل هذا الايضاح بالرغم من المحاولة المشكورة التي حاول فيها كاتب المقال ان يبرر كآبة فوزى عن غير طريق مرضه ، ان دل على شئ فأنما يدل على رواج بعض الشائعات في حينه حول حقيقة مرض فوزى . واضيف ملاحظة عابرة قد لا تكون ذات دلالة بيئية وانما استيفاء للبحث وهي عدم زواج فوزى بالرغم من ثرائه ومكانته ووسامته وحظوته لدى النساء كما يقول النقاد .

سيظل مرض فوزى سرا ما لم يكشف عنه احد اخوته او واحد من المطلعين على الحقيقة .

(١) ذكرى فوزى المملوف : ٥٠ .

(٢) الناعورى ، عيسى - ادب المهجر : ٤٦١ . وانظر ايضا كتاب الاب جبرائيل ابي سعدى - فوزى المملوف : ٩٠ .

(٣) البدوى الملم - شاعر في طيارة : ٢٢ .

(٤) مجلة الرسالة المخلصية - من ٣ ، ١١٤ : ٨٠ .

(٥) ذكرى فوزى المملوف : ٥٠ .

ونعود الان الى الحديث عن الاربعين يوما التي قضاها فوزى في المستشفى الانكليزى في ريودى جنيرو، والمصدر الاوفى الذى نستقي منه معلوماتنا ما دونه شفيق المعلوف عن اللحظات الاخيرة من حياة اخيه ^(١)، يقول :

" وانني لحافظ بين تذكاراته نسخة من قصائد الطيارة بالعربية دفعها اليّ الطابع لتصحيحها ، فطلب اليّ فوزي رؤيتها وهو في الفراش على اتم انتباهه فبينما هو يقرأها تناسول مني القلم بيد مرتجفة اجهدا الضعف وامره امرارا سريعا متواليا تحت البيت الذي يقول فيه
عن احلام الشاعر :

وتواتر حلما فحلما الى الـ_____لا شي" تمشي به قليلا قليلا
ثم سكت ودفع اليّ ما بيده فأخذت اتفحص المكان الذي وضع تحته خطا لاتبين موضع
الخطأ فلم اظفر بشي" منه ولم اسأله شيئا ، ولا هو تكلم حتى اذا لفظ روحه " وتواتر احلامه "
بعد ايام علمت ان ما اشكل عليّ فهمه قد فسر طلاسمه الموت " .

ويرسم لنا شفيق صورة أخرى حية عن فوزى في الايام الاخيرة التي سبقت موته ، يقول :
 " كنت الحظ منه تعباً في عينيه في الساعة التي تودع بها الشمس الجبال . وكان
 يطيل التحديق من نافذته في رابية سوداء قاتمة امام (جبل السكر) . فماذا جال في خاطره حين
 ذاك ؟ ذلك ما لم اعرفه . ولكنني حاولت ما استطعت صرف نظره عن المشهد الكئيب وتعودت
 ان احلس اليه كل مساء في تلك الساعة لالهيه عن تنقيل بصره بين الحفر والصخور " (٢) .

اما المشهد الاخير الذى يسدل بعده الستار على حياة فوزى فقد كان مشهداً
مأساوياً : " ان آخر ما قاله فوزى على فراش النزع انه يريد ان يعيش . وكان قد طلب ذلك قبل
ايام فاجبهنا الى سؤاله . وما كنت احسب حين رأيته متحاملاً بجسمه الناحل علينا وعلى نفسه ان
فى خطواته المتثاقلة بعض الشيء " من قوله :

ان بين السرير والنمش خطـــــــــــــوات دعوها الوجود وهي بعكسه
ولا خطر لي حين فقد انتباهه ودخل في صور السبات راويا لنا امورا حقيقية جرت
انشد خارج المكان الذى هو فيه ، ان حالته تنطبق على قوله :

ولقد ترى الاحداق وهي مريضة ما لا ترى الاحداق وهي صحاح (٣)

وهكذا بتاريخ ٧ ك ٢ سنة ١٩٣٠ توفي فوزى عن ثلاثين سنة " ونقلت جثته الى

مدينة سان باولو دفنت باحتفال عظيم واطيقت له حفلات كبيرة في المهجر والوطن وثناء الشعراء

(۱) ذکرى فوزى المعلوم : ۳۳ •

(٢) المصدر السابق : ٣٤ •

(٣) المصدر السابق : ٣٤ .

وابنه الادباء وبكاه الاهل والاصحاب " (١) . وكان لموته صدى عظيم ردته الصحف والمجلات * .
وفي صباح يوم الثلاثاء الواقع في ٣ تموز سنة ١٩٣٧ حلت الباخرة بالسطينيا الى
بيروت تمثالا برونزيا نصفيا مع قاعدة جميلة من رخام الجرانيت الايطالي هدية من مهاجري العرب
في البرازيل . وفي مساء يوم ١٢ ايلول ازيح الستار عن التمثال المنصوب في ساحة المنشية في
مسقط رأس فوزى بمهرجان حافل امه ادباء سوريا ولبنان وقلد فيه وزير الداخلية حينذاك الاستاذ
حبيب ابوشهلا وسام الاستحقاق اللبناني المذهب ، وقد ختم الحفلة شفيق المعلوف بكلمة رقيقة
استهلها بابيات شعرية مطلعها : (٢)

فوزى ومالي في الخطوب يدان ما هكذا الاخوان يلتقيان
وهكذا نأتي على ختام حياة شاعر شاب اعطى الكثير من روحه واعصابه وخياله لربة
الشعر وترك بعد وفاته اثارا ادبية حية كانت قيمة بالدراسة والتحري .

٥ - اخلاق فوزى ومزاجه :

يرى المستعرض لكتاب " ذكرى فوزى المعلوف مقاطع متنوعة تلهج باخلاق فوزى وتعدد
مناقبه ، وتضفي عليه هالة اسطورية او تكاد دون ان تذكر سيئة واحدة او نقیصة من نقائص الضعف
البشرى الذى يتعرض له كل انسان . وعلى الباحث بالتالي ان يقف من هذا الاكبار بحیطة وحرص
قبل ان يوغل في الحديث عن هذا الجانب من شخصيته ، ولا سيما ان ما قيل عن فوزى ، قيل بعد
وفاته مباشرة ، وان والده هو الذى جمع ما كتب في تقيظه والاشادة باخلاقه وقد يغفل ما لم يره
في صالح فوزى . ولكن يمكننا بالرغم مما ذكر ان نستخلص صورة لشخصيته واخلاقه دون اللجوء الى
التعسف او المغالاة .

ان الاقوال التي احاطت فوزى بهالة من المجد ، والمقالات التي كالت له المديح
وعددت مناقبه وتغنت بمزاياه تركزت اكثر ما تركزت على لطفه وتسامحه ، وكرم نفسه وتضحيته ، ان
انفق الكثير من امواله على المؤسسات الخيرية واعمال البر والاحسان " ولم يكن المال في نظره الا
وسيلة للخير " (٣) ، على ان يكون متحررا من سيطرته وليس عبدا له . يقول في ذلك :
لم اعبد المال حياتي ولم لم اكذب ولم اقتل ولم اسرق (٤)

(١) ذكرى فوزى المعلوف : ٦ .

(٢) المكشوف ، ص ٣ (١٩٣٧) ع ١١٤ ، (٢٢ ايلول : ٣) .

(٣) ابي سعدى ، الاب جهرا ئيل - فوزى المعلوف : ١١ .

(٤) ذكرى فوزى المعلوف : ٣١ .

* احيل القارى الى كتاب ذكرى فوزى المعلوف ان يضم بين طياته معظم ما اورده الصحف
والمجلات عن الاحتفالات التي اقيمت لتأبينه وكل ما كتب في الصحف حينذاك .

لاعتقاده ان المال رب مستعبد يصعب على الانسان ان ينعتق من اغلاله :

عبد مالی احظی به بعد جہد فاذ بی انو من نقل نیسره (۱)

وما كان فوزي في ذلك مدعياً ولا نظراً من " وراء العال الى غير الغايات النبيلة " (٢)

فقد انشد يقول :

الطال ليس مشرفا لرجالـــــــــــــــه
لا خير في نعم رفلت بثوبها

قدر الرجال هو المشرف مالها
ان لم تغد منها الحياة وآلها^(٣)

وقال ايضاً :

کن نصیر البائسین وکفکُـف
لست تبکی ان مت الا بمقـدّار

دمعہم تکسب الجزاء لذاتک
دموع کفکفتها فسی حیاتک^(۴)

ويزين هذا الترفع عن المادة عفة في النفس والحب ^(٥) فهو وان خفق قلبه بالحب

" فالحب فيه نقي طاهر لم يتدن ولا تلوث بهأوه " (٦) . وتتجسد هذه الحقيقة في بعض

قصاده كقصيدة نجوى ^(٧) وقصيدة الحب الصامت ^(٨) وقصيدة بائعة الهوى ^(٩) وغيرها مما

يحتفل به ديوانه ، وهو بذلك يعبر عن نفسية تكاد تحيا في عالم نبذ المادة وتعلق بالرفعة

والسمو

وهذه الشخصية الطيبة الكريمة العفيفة اتسمت بالهدوء إذ كان صاحبها لا يحمل

نفسه عنوة على امر ، فهو يذكر عن نفسه انه كان يميل بطبعه الى العزلة والهدوء منذ صغره .

ولعل لمنحاه التأمل تأثيرا كبيرا على هـدوئه وتكوين طبيعته . وليس اذل على هذه الطبيعة

الهادئة من انه نظم قصيدته الغسانية ^(١٠) في ليلة مظلمة بين دوى القنابل وقصف المدافع

وعاها في ذهنه حتى اذا انبلج الفجر دونها .

(١) المعلوف ، فوزى - على بساط الريح ، ٥٤ .

(۲) ذکرى فوزى المعلوم : ۳۱ •

(٣) المصدر السابق : ٣١ .

(١) المصدر السابق : ٣١ -

(۵) ای سعیدی - فوزی المعلوف : ۱۴۰

(٦) المصدر السابق : ١٤ . وانظر الذكرى : ٣١ .

(٧) دیوان فوزی المعلوم : ٧٧ •

(٨) المصدر السابق ، ٦٤ .

(٩) المصدر السابق : ٦١ .

(١٠) ذكرى فوزي المعلوم : ٣٢ . نشرت هذه القصيدة في حريدة العرب في مدينة حلب

في ٢٦ ك ١ سنة ١٩١٨ .

واقترن هذا الهدوء بحس رهيف بحيث يكاد يكون صاحبها كتلة من المشاعر والاعصاب . غير ان هذه الرهافة ذات طبيعة لا تشور الا في فترات متقطعة بتأثير احداث فذة ثم تعود الى سكنتها ، الا انها تتلقى دائما " اشارات " العالم الخارجي وتتفاعل معها . ومواقفه الشعرية تجلت في تقديم كل معونة ممكنة للفقراء والمحتاجين وتأثره بفواجع الحياة وويلات الحروب . ولعل لبشأومه العميق الذي لا نكاد نجد له سببا ماديا متفاعلا مع وجوده نتيجة لهذه الحساسيات المرهفة التي تتألم للمصاب ، وتتوجع للتنهيدة الحيري ، ويقلقها العذاب المتفشي في الجنس البشري . وهكذا يصبح التشاؤم اصلا في روح فوزى . (١)

ومن خلال ما ذكره الدكتور فيليب حتي عن فوزى المعلوف يمكن ان نستخلص بعض المناقب الاخرى في اخلاقية فوزى وشخصيته ، فهو صافي الذهن ، متوقد القواد ، قوى الشخصية اذ استطاع ان يكون رئيسا للمنتدى الزحلي مع انه اصغر الاعضاء سنا ، يقول : (٢)

" اصغيت اليه وهو يتلو قصيدة نفيسة من نظمه في حفلة متخرجي جامعة لم يدرس فيها . رافقته الى معمله وهو يشرح لي اسرار صناعة كان يمارسها . جلست الى جانبه منزها في مزارع البن ، تحت اشجاره يحادث ويفكه . سمعت الناس يتحدثون عن امتياز ادبا وعلماء وخلقاً واذا بفوزى في كل الحالات هو هو ، رضي الاخلاق ، لطيف المعشر ، بعيد النظر ، على استعداد دائم ، للعطف على كل مشروع فيه خير البلاد السورية التي احبها وانشأته - عطف عملي لا شفهي فقط الفتوة في احسن مظاهرها كان يمثلها فوزى المعلوف "

ويعدد نظير زيتون زميل فوزى في المهجر بعض مناقبه فيقول :

" وكان فوزى ، روح الله روحه ، هادئ الطبع ، دمث الاخلاق ، مهلل الوجه ، عذب الحديث ، رفيع التهذيب ، طيب السريرة والسيرة ، متأنقا ، متوقد الذهن ، مرهف الحس ، صادق الود ، سمح الخلق ، تطفو على محياه الانيس الوديع سحابة رقيقة بيضاء تترك في قلب محدثه ظلا حنوناً وصدى رخيماً " (٣)

ومما يدل على تقدير الناس لفوزى واحترامهم لشخصيته ومناقبه وسجاياه الاحتفالات التأسيسية التي اقيمت لذكراه ، واهتمام الصحف العربية والاجنبية في المهجر والوطن لرائه وافراد الصفحات العديدة في درسا دبه والتغني بمزاياه . وقد اجتمعت في معظمها على ان فوزى كان يتمتع بمستوى اخلاقي رفيع فيه الكثير من المثالية .

(١) ذكرى فوزى المعلوف : ١١ - ١٤ .

(٢) المصدر السابق : ٥٩ - ٦٠ .

(٣) مجلة الرسالة المخلصة - اضاوا على فوزى المعلوف : ٧٨ .

ق - ثقافة فوزى المعلوف :

بعد ان تدرب فوزى على والده واجاد القراءة والكتابة التحق بالكلية الشرقية حيث قضى معظم سني دراسته النظامية الا سنة واحدة درس فيها فسي مدرسة الفرير الكبرى في بيروت . فأصبح من اليسير على الباحث ان يتتبع مصادر ثقافة فوزى البكر والفواعل التي كونتها ، وذلك لتوفر وجود لائحة بالمواد التي كانت تدرس حينذاك . وفي الصفحات التالية سأورد التخطيط العام للمناهج الاخرسية والعربية التي كانت تدرس في الكلية الشرقية لطلاب الصفوف المنتهية الثلاثة منقولة عن كتاب الكلية الشرقية لسنة ١٩٠٤ - ١٩٠٥ (١).

لائحة المواد العامة للصفوف الثلاثة المنتهية

- أ - الدائرة العربية للصفوف الثلاثة المنتهية (٢) .
- ١ - الصف الاول - القسم الاول من السنة .
 - ٢ * تاريخ آداب اللغة العربية " كتاب الطرف الادبية في تاريخ اللغة العربية من وضع عيسى اسكندر المعلوف .
 - * الخطابة في اعصر الجاهليين والخلفاء الراشدين .
 - * التخرج في ١٥ قصيدة للمتنبي .
 - * تعريب بعض مقالات مهمة عن اللغات الاجنبية .
 - * انشاء خمس خطب علمية وادبية وتاريخية .
 - * عقد المنثور لبلغاء الكتبة العصريين .
 - * المطالعة في مقدمة ابن خلدون من الصفحة الاولى الى صفحة ٢٨٥ .
 - * اللغة في نجعة الرائد لليازجي .
 - * مطالعة اهم ما في الالباذة العربية .
- القسم الثاني من السنة .

- * تاريخ آداب اللغة والخطابة في اعصر العباسيين والمتأخرين والمعاصرين .
- * التخرج في عشر قصائد يستظهرها الطلبة من شرح المتنبي لليازجي وبعض الدواوين العصرية والالباذة .
- * تعريب مقالات مهمة عن اللغات الاجنبية .

(١) في حديث لي مع رئيس الكلية الاب بولس عبده بتاريخ ٢٥ / ٢ / ١٩٦٢ قال لي ان هذا المنهج

استمر على ما هو عليه دون اى تغيير حتى عام ١٩١٤ .

(٢) كتاب الكلية الشرقية : ٧ - ٩ .

- * انشاء خمس خطب علمية وادبية وتاريخية .
- * عقد المنشور لبلغاء الكتبة العصريين .
- * مطالعة تنمة ابن خلدون .
- * الاطلاع على انتقاد شعر المتنبي .
- * اللغة في نجعة الرائد .

٢ - الصف الثاني - القسم الاول من السنة

- * البديع والعروض في عقد الجمان والتعرن على تقطيع الشعر .
- * مطالعة فلسفة البلاغة من الصفحة الاولى الى الصفحة ١٠٤ .
- * المنطق في قطب الصناعة .
- * اللغة في نجعة الرائد .
- * الاعراب البياني في قصائد مشهورة كلامية العرب ونحوها .
- * حل المنظوم .
- * تعريب بعض منتخبات مما يدرسه في اللغات الاجنبية .
- * انشاء رسائل بليغة وخمس مقالات مختصرة .

القسم الثاني من السنة

- * التخرج في البديع وقروض الشعر وانتقاء اوزان بعض القصائد .
- * مطالعة تنمة فلسفة البلاغة .
- * التخرج في المنطق .
- * حل المنظوم .
- * تعريب بعض منتخبات من اللغات الاجنبية .
- * انشاء خمس مقالات مختصرة .
- * نظم بعض القصائد .
- * التخرج في نجعة الرائد .

٣ - الصف الثالث - القسم الاول من السنة

- * النحو المطول من مختصر الارجوزة لليازجي من كتاب الحروف الى مسائل منشورة .
- * علم المعاني في عقد الجمان .
- * اللغة في مقامات اليازجي من المقامة ال ٣٠ الى المقامة ال ٤٥ .
- * الانشاء في المعين للشرتوني من الصفحة الاولى الى الصفحة ال ٤٥ .

- * التمرن على الاعراب النحوى والبياني
- * استظهار خمس قصائد

القسم الثانى من السنة

- * تتمم النحو المطول في الارجوزة
- * علم البيان في عقد الجمان
- * تتمم مقامات اليازجي
- * الانشاء في المعين للشرتوني من الصفحة ال ٤٥ الى الصفحة ال ١٠٠
- * التمرن على الاعراب النحوى والبياني
- * استظهار ثلاث قصائد

الدائرة الافرنسية (١)

ب -

- ١ - الصف الاعلى - النصف الاول من السنة
- * الفلسفة العقلية والمنطق وشرح الغامض من كتاب النظام الفلسفي لديكارت في الفلسفة
- * جاذبية الثقل والحرارة والصوتيات في الطبيعيات
- * لمحة من مراجعة الهندسة الابتدائية والسطوح والمجسمات المستوية السطوح في الهندسة
- * مراجعة التاريخ الحديث من ارتقاء لويس الرابع عشر الملك الى الثورة الفرنسية
- وتاريخ الثورة والامبراطورية وتاريخ الدولة العلية في تلك العصور
- النصف الثانى من السنة

- * مبادئ علم ما فوق الطبيعة ومبادئ الفلسفة الادبية ومبادئ الاقتصاد السياسي وتاريخ الفلسفة وشرح مؤلف "بوسيه" في معرفة الله والذات في الفلسفة
- * الكهربائية والبصريات في الطبيعيات
- * المجسمات الكروية ومراجعة هندسة المجسمات كلها في الهندسة
- * مبادئ علم الهيئة
- * تاريخ الازمنة المتأخرة منذ عودة البريون الى الملك حتى ايامنا هذه وتاريخ الدولة العلية في الازمنة المذكورة

7

- ٢ — الصف الاول — النصف الاول من السنة .
- * الخطابة ومبادئ تاريخ الفصاحة .
 - * شرح الغامض من تأبين البرنس كوندية لبوسيه ورسالة فينيلون الى الاكاديمية
 - وروايات بوليكييت لكورنيل واندروماك لراسين والنساء العالمات لموليير واستظهار
 - منتخبات منها .
 - * الشبيهات بالمعادن في الكيمياء .
 - * القسم الاول من مبادئ علم النبات .
 - * معادلات الدرجة الاولى لمجهول او اكثر في الجبر .
 - * الدائرة في الهندسة .
 - * تاريخ مملكة لويس الرابع عشر وتاريخ الممالك الكبرى في ذلك العهد .
 - * القسم الاول من جغرافية البلاد العثمانية .
- النصف الثاني من السنة

- * انتقاد آداب اللغة في كتاب المبادئ الحديثة .
 - * شرح الغامض من تأبين هانريت دي فرانس وهانريت د انكليتيير لبوسيه وروايات
 - سينا لكورنيل وبيريناتكس لراسين والميزان تروب لموليير واستظهار منتخبات منها .
 - * المعادن ومبادئ الكيمياء الآلية ، اى النباتية والحيوانية في الكيمياء .
 - * القسم الثاني من مبادئ علم النبات .
 - * معادلات الدرجة الثانية لمجهول واحد في الجبر .
 - * الاشكال المتناسبة والسطوح في الهندسة .
 - * تاريخ الممالك الكبرى منذ وفاة لويس الرابع عشر الى الثورة الافرنسية .
 - * القسم الثاني من جغرافية البلاد العثمانية .
- ٣ — الصنف الثاني — النصف الاول من السنة .
- * القسم الاول من علم الادب والمعاني والبيان والقسم الاول من تاريخ علم الادب .
 - * شرح الغامض من الليترن والساتير لبوالو وخطبة بيتون في الانشاء وروايتي اتالي
 - لراسين والسيد لكورنيل واستظهار منتخبات منها .
 - * ما يتعلق بالانسان من علم الحيوان ، في علم المواليد الثلاثة .
 - * العمليات الجبرية الاولى في الجبر .
 - * تاريخ الممالك الكبرى منذ لويس الحادى عشر الى فرنسوا الاول .

* جغرافية آسيا في السنة الثالثة من جغرافية فونسين

النصف الثاني من السببنة

* القسم الثاني من علم الادب والقسم الثاني من تاريخ علم الادب .

* شرح الغامض من روایتي هوراس لکورنیل والمحامين له بلود ورلر اسين والصناعة الشعرية لبوالو واستظهار منتخبات من مؤلفات اعظم الكتاب .

* تکملة علم الحيوان في علم المواليد الثلاثة .

* الكسور الجبرية في الجبر •

* الكتاب الاول من الهندسة الابتدائية .

* تاريخ العمالك الكبرى منذ فرنسوا الاول حتى ارتقا' لويس الرابع عشر عرش الملك .

* جغرافية اميركا فى السنة الثالثة من جغرافية فونسين .

* * *

مما لا شك فيه ان التركيز في مثل هذا المنهاج يقع على الادبين العربي والافرنسي ، وهو منهاج مكثف جدا اذا ما قورن بمناهج الدراسة الثانوية في هذا العقد . وقد جمعت هذه الدراسة بين ادبين : الادب القديم ممثلا بالشعراء الجاهليين والاسلاميين والعباسيين وتاريخ آداب اللغة العربية وما فيها من بلاغة وبيان وبديع وعروض فنلاحظ مثلا الاهتمام بالخطابة فسي العصرين الجاهلي والاسلامي والتخرج في قصائد المتنبي واللغة في نجعة الرائد وتعريب بعض المقالات وانشاء خطب ومطالعة مقدمة ابن خلدون واهم ما في الالياته . ونرى من ناحية اخرى بعض العناية في ادب العصر حينذاك ان يطالب التلميذ في باستظهار بعض القصائد من السداوين العصرية هذا بالاضافة الى كون الالياته والتعريب افضيا الى الاطلاع على بعض آداب الام الاخرى . وهنا يبدو لنا ان الثقافة العربية في مناهج الدراسة العربية كانت شاملة او تكاد فلم تخل من المنطق وفلسفة البلاغة وحل المنظوم والتعريب والانشاء والقواعد والخطب وحتى النظم ، وهذه جميعها كانت تنصب في بوتقة ثقافة الطالب ومن جعلتهم فوزى المعروف .

كذلك من الملاحظ ان ثقافة فوزى الاجنبية كانت ثقافة فرنسية بدليل الموضوعات التي درسها . وهي ثقافة شملت العديد من كبار الادباء في فرنسا وفلاسفتها كديكارت وبوسيه وفينيلون وكورنيل وراسين وموليير ، فاطلع الطالب على الفلسفة العقلية والعيتافيزيقية والمنطق ومبادئ تاريخ الفصاحة وعلم الادب والمعاني والبيان وتاريخ علم الادب بالاضافة الى العلوم الاخرى المذكورة .

ولا مضاحة ان مطالعات فوزى المعلوف لم تتوقف عند هذا الحد بل تعدته الى غير هؤلاء

الادباء كأيي العلاء المعرى وعمر الخيام ومطران وغيرهم - وهذا ما سنتحدث عنه عند تحليل انتاجه - ونجد ايضا في رواية ابن حامد صدى لثقافته العربية ولا سيما اثر الادب الافولسي وانعكاسا لتأثيره بفلوريان . ونلاحظ ايضا انصباب عناية فوزى على الادب الافرنسي من الترجمات التي قام بها كالفصص التي نشرها في مجلة الاثار بالاضافة الى قصة صخرة العشاق لفلوريان (١) وقصيدة ستذكرنسي (٢) .

وفي المهجر اطلع فوزى على ملامح الادبين الاسباني والبرتغالي ، ويذكر فيلا سباسا ان فوزى قد " درس لغتنا وآدابنا " (٣) . وفوزى نفسه يعرب عن معرفته للغة الاسبانية دون اتقانها اذ يقول " ما انا من المتضلعين من اللغة الاسبانية " (٤) بيد ان معرفته كانت كافية كي توهله لترجمة قصيدة اوام غرناطة الى العربية وقراءة رواية قصر اللؤلؤ الشعرية للمؤلف نفسه وتحليلها كما بينا سابقا ، وتعريب قصيدة " الفينيقيون " عن البرتغالية لاولانفيلاك ونظمها شعرا (٦) . هذا بالاضافة الى المقالين اللذين كتبهما عن سيرة حياة كل من الشاعر فيلاسباسا الاسباني والقصاص البرتغالي ملبا طحان .

وفي المهجر ايضا تم التواصل بين الادبين المهجريين الشمالي والجنوبي وتسربت الروى الجديدة من الشمال للثمازج مع روى فوزى المعلوف في الجنوب فكان نمو وتألق . وهكذا نرى انه قد اجتمعت له ثقافات اوسع : العربية والافرنسية والاسبانية والبرتغالية فتفاعلت معا في تكوينه الثقافي ، فتوفر لفوزى اطلاع اديبي غدى مواهبه الشعرية وعمقها ، ومن خلال هذا الاطلاع اشرف فوزى على الحركة الرومنطيقية التي طبعت الادب العربي بطابعها ولونته باصباغها ومساحيقها .

-
- (١) ذكرى فوزى المعلوف : ٤٢ .
 - (٢) ديوان فوزى المعلوف : ٨٠ .
 - (٣) على بساط الريح : ١١ .
 - (٤) المقتطف ، المجلد ٧٥ ، ج ٤ : ٤٠٧ .
 - (٥) المصدر السابق : ٤٠٧ .
 - (٦) ديوان فوزى المعلوف : ٣٣ .

الفصل الثاني

نشر

فوزي المعلقوف

الفصل الثاني

نشر فوزي المعلوف

نمهد لدراسة النتاج النثري الذى خلفه فوزى المعلوف باستعراض موضوعي وصفي لتأليفه ما نشر منه ، وما ظل حتى الان مخطوطا . وسأعرض في هذا الفصل لانتاجه النثري اولا ، واعقبه بعد ذلك بدراسة لانتاجه الشعري في الفصل الذى يليه . وقد رأينا ان نقسم انتاجه النثري الى قسمين رئيسيين :

اولا - المخطوطات النثرية : وهي على نوعين ، ما بلغنا بصيغته الكاملة ومما بلغنا منه مقتطفات .

ثانيا - النشر المنشور .

١ - المخطوطات النثرية : *

أ - رقي البلاد	١٩١٢ - ١٩١٣
ب - المعارف	١٩١٢ - ١٩١٣
ج - الشرق والغرب	١٩١٣ - ١٩١٤
د - الغني والفقير	١٩١٣ - ١٩١٤
هـ - الفتاة العربية (١)	١٩١٣ - ١٩١٤
و - حماسة في قفص (٢)	١٩١٥
ز - سلمى او صفحات غرام (٣)	١٩١٥
ح - على ضفاف الكونصر (٤)	١٩١٥

(١) العناوين الخمسة الاولى هي لخطب دوت بخط اليد في سجل الكلية الشرقية وهو سجل جمعية النهضة العلمية (انظر الذكرى : ١٨) وقد عرضت لاثنتين منها اللتين عثرت عليهما . وهناك مقطع من خطبة الغني والفقير في الذكرى : ٩ .

(٢) ذكرى فوزي المعلوف : ١٠ .

(٣) AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF : 166 .

وانظر ايضا ذكرى فوزي المعلوف : ٣٩ .

(٤) المصدرين السابقين .

* ان مقال الشرق والغرب والفتاة العربية ورواية حماسة في قفص مخطوطات لم اعثر عليها اولاى ملخص لها .

ط - الجنس اللطيف والضعف (١)

٢ - مؤلفات فوزى المعلوف النثرية المنشورة :

- أ - ابن حامد (٢) ١٩١٦
 ب - على ضفاف بردى (٣) ١٩١٩
 ج - شاعر اسباني (٤) ١٩٢٩
 د - ملها طحمان (٥) ١٩٢٠

اما القصص التي قام فوزى المعلوف بترجمتها فلا يبدوا انها ذات شأن كبير الا فيما يتعلق بقصة فلوريان " كنزلف القرطبي " التي استوحى منها مسرحية ابن حامد . وفي هذه الترجمات ما يعين على تبيان الاتجاه الرومنطيقى الذى سلكه منذ بواكير انتاجه* بفعل الاتجاهات الجديدة الفعالة في الادب العربى الحديث وبتأثير دراسته الافرنسية والذى الادبى العام الذى شاع في العصر .

* * *

(١) AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF : 166 .

(٢) ذكرى فوزى المعلوف : ١٠ ، ٣٩ .

(٣) المصدر السابق : ٣٩ .

(٤) مجلة الشرق البرازيلية ، السنة الثانية (١٩٢٩) ع ٣٠ : ٧١ .

(٥) ذكرى فوزى المعلوف : ١٤٣ .

* سأعتمد في حديثي على روايتي سلمى وعلى ضفاف الكوثر على عرض الدكتور فايزعون الذى اعتمد بدوره على الملخصات التي وصلتته من والد الشاعر عيسى اسكندر المعلوف اذ هو المصدر الوحيد المتوفر لدى قطعاً .

نشر فوزى المعلوف

من محاولات فوزى المعلوف القصصية المبكرة قصتان هما " على ضفاف الكوثر " و " سلى " ، وهما على حد قول فايز عون ، تعلمان مرحلة من مراحل تطور أسلوب الكاتب في بواكير إنتاجه (١) . وأطروحة عون هي المرجع الوحيد الذى يمكن اعتماده في عرض دراسة موجزة لهاتين القصتين لتعذر الحصول على النصوص الأصلية * .

أما القصة الأولى " على ضفاف الكوثر " فقد اضاف اليها المؤلف عنوانا صغيرا هو " قصة حب " . وموضوعها وصف سقوط آدم وحواء ، وهذه المخطوطة مؤلفة على ما يبدو من ست وعشرين صفحة ، أربع منها مليئة بمقتطفات من التوراة وشعرا ، وكتاب آخرين (٢) . ولكل فصل عنوان خاص به يلخص مضمونه . ويذكر الكاتب في المقدمة انه لن يتتبع تطور القصة كما جاءت في الكتاب المقدس او كما فعل ملتون في الفردوس المفقود ، بل ستكون مقتصرة على الحب دون اى اعتبار للجانب الفلسفي ، مستمدا تلك القصة من وحي خيال يرسم نمطين لشخصيتين عاشقتين وهما في حالة البداية الأولى الظاهرة (٣) . والسؤال الكبير الذى يستهل به قصته هو : لماذا لم يكشف آدم وحواء عريهما الا بعد ان اكلا من التفاحة ؟ ثم لماذا لم يسترا الا عورتيهما ؟ ولماذا لم تحبل حواء الا بعد ان تذوقت الثمرة المحرمة ؟ واخيرا هل كان آدم وحواء مدفوعين الى عصيان امر الله بغير الدافع الجنسي ؟ (٤) .

فنحن نستطيع ان نتبين من خلال هذه التساؤلات ان عناية فوزى المعلوف بقصة التوراة لم تكن دقيقة وعميقة نظرا لان فكرة التكاثر في التوراة امر الهى محتّم صدر عن الله قبل ان يسقط آدم وحواء في خطيئة العصيان اذ جاء في سفر التكوين : " وباركهم الله وقال لهم انتمروا واكثروا واملاوا الارض واخضعوها (٥) .

ومن هنا يبدو لنا بوضوح ان الدافع الجنسي لم يكن وراء حقيقة السقوط .

(١) AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF : 54

(٢) ibid : 55 - 56 .

(٣) ibid : 56

(٤) ibid : 56

(٥) سفر التكوين ١ : ٢٨ .

* حصل فايز عون على ملخصين لهاتين القصتين من والد الشاعر عيسى اسكندر المعلوف ، وتعذر على الحصول على اى نص لهما بالرغم من اى جهد بذل .

رأى آدم الحيوانات أزواجا ترح ، فأدرك حاجته الى زوج يأنس اليها . وهذا يتفق مع ما ورد في التوراة اذ رأى الله انه حسن لادم ان يكون له معين ^(١) . ولكن آدم في قصة فوزى انهبان مستوحش يفقد الى الحب ويتوق الى حواء فيطالب الله ان ينعم عليه بها . وبعد حوار طويل بينه وبين الله يسدى فيه الخالق النصح الى آدم ويؤنبه على تدمره بعد ان جعله سيد الفردوس ينزل الخالق عند رغبة آدم والحاحه وينحه حواء ، ثم يوصيها بأن لا يقتريا من شجرة الطهارة والا سقطا في الخطيئة . وبعد ذلك يعين الله لكل منهما واجباته واعماله التي يجب ان يقوم بها ^(٢) .

كانت الرغبة الاصيله وراء شعور آدم بحاجته لحواء عند فوزى هي الشوق ، بل قل الحب . ويبدو ذلك بوضوح من العنوان الصغير الذي اضافه الى قصته . ولعل السأم والشوق والحسب تضافرت كلها لتحرك مشاعر آدم ولا سيما لدى مرأى الحيوانات أزواجا الاء . ولست ادري الى اى حد نجح فوزى المملوف في عرض فكرته وتجسيدها . ولكن ان صح ما اورد ، فايزعون من ان فوزى المملوف قد اطلع على الفردوس المفقود ، فأف فوزى يكون قد حاول ان يعالج فكرة الحب وحدها كما جاء في مقدمته دون ان يلجأ الى المعطيات الفلسفية مثلما فعل ملتون .

وفي رأى الدكتور عون ان هذه القصة اقرب الى موضوع انشائي منها الى القصة ^(٣) وان كانت تبشير موهبة فوزى الذاتية تظهر بوادرها خلل السطور ^(٤) ، ولا سيما اذا تذكرنا بأن فوزى قد ألف هذه الرواية الناقصة وهو في السادسة عشرة من عمره . اما الرواية الثانية فهي رواية سلمى . وقد عني فوزى فيها بدراسة المشكلات والعادات والتقاليد التي ترسف فيها الفتاة الشرقية * ، فاختار بطلا لقصته ، شابا متحررا يدعى اجميسل كان قد تلقى علومه في مدرسة اوروبية في بيروت متحررة الفكر ، في حين ان سلمى ، بطلة القصة ،

(١) سفر تكوين ٢ : ١٨ .

(٢) AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF : 56 .

كان من نتائج ترجمة التوراة الى العربية ان شاع في العصر تقليد في استيحاء قصص الكتاب المقدس وحكاياته عند شعراء العرب وادباءهم . ومن جملة هؤلاء صلاح لبكي في ديوانه " سأم " الذي استوحاه من قصة الخلق وبداية البدايات .

(٣) ibid : 57 .

(٤) ibid : 58 .

* شغلت هذه الموضوعات الادباء والشعراء في هذا العصر ان اخذت بتأثير الحضارة الاوروبية والمدارس الاجنبية التي تركت اثرا عميقا في الحياة الاجتماعية تكون قدرا مشتركا بينهم . (انظر انيس المقدسي - الاتجاهات الادبية : ٢٥٢ فما بعده) .

كانت تلميذة في مدرسة للراهبات خاضعة لطغيان التقاليد . ويصور لنا المؤلف حياة جميل الذي منح حق اختيار ما يشاء من مؤلفات وروايات ، فينهل منها ويغترف ، على عكس سلمي التي كانت مقيدة باغلال التقاليد الشائعة ، فلا تقرأ الا ما يختاره لها ذووها حسب ارشاد الكاهن . وقد راجع لجميل وسلمي ان يلتقيا في رحاب الكنيسة ويتعارفا .

وفي اليوم التالي عزم جميل على رؤية سلمي ، فلم يجد بدا من ان يتوسل بالحيلة للوصول اليها ولقائها . فارتدى بدلة صياد وراح يتجول في البساتين المجاورة لبيت سلمي لعله يظفر منها بنظرة . وبعد انقضاء ساعتين اطلت سلمي اخيرا من نافذة حجرتها وهي مرتبكة ، ورأته يضع عند جذع شجرة باقة من الزهر ، الا انها لم تفهم لهذه الهدية معنى لسذاجتها بالرغم من خفقان قلبها . وما كان ذهابها لالتقاط باقة الزهر الا بدافع الغرور اكثر منه بدافع الحب . وهي الكلمة التي لم تكن تدرك معناها حقا . ودأب جميل على تقديم هداياه من الزهور ، وذات يوم راحت امها تلقي عليها درسا في الاخلاق ، فأخبرتها ان لا وجود للحب وعليها ان تحذر اغراء التجربة ، وان على الفتاة المهدبة ان تطيع والديها وتنصاع لاوامرهما . وهكذا نظرا لثقتهم العميقة بامها رفضت بعد صراع عقلي وعاطفي عنيف موعد اللقاء الذي كان قد ضربه لها جميل في رسالة كان قد اخفاها في باقة زهر . " في تلك الليلة رأيت في المنام ان العلاك الحارس والصليب لم يحرساها ووجدت نفسها بين ذراعي جميل ، وارادت ان تظل هناك طوال حياتها " (١) . وعند هذا الحد تقف القصة

يلاحظ فايزعون ان اسلوب فوزي في هذه القصة سهل ، والقوالب اللفظية الباهظة ضئيلة (٢) الا ان السذاجة طاغية عليها (٣) ، وهي سذاجة لا بد منها بالنسبة لمؤلف في عمره يستأثر به الجواررومنطقي استئثارا عميقا . وهو ، على ضوء ما وصل اليها من انتاجه المبكر ، واقع تحت تأثير الجو الفكري العام الذي كان يتنامى في المجتمع العربي الداعي الى الحرية - كما سبق وبيننا في الفصل الاول - . فالحب في " على هفاف الكوثر " هو حب بدائي ، يذكرنا بروسو ونظيرته التي الانسان والطبيعة . والحب في " سلمي " ثورة على الطقسية والتقاليد ، والاستسلام الدليل . وليست

AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF : 58 - 59 .

ibid : 58 .

ibid : 59

(١)

(٢)

(٣)

هذه هي المرة الاولى التي يحاول فيها فوزى ان يظهر نعمته على واقع الفتاة الشرقية اذ سبق له في احدى خطبه " الفتاة العربية " ان اتخذ نفس الموقف (١) .

وليس في الوسع التحدث بدقة اكثر عن هاتين القصتين لاننا لم نحصل على النصوص الاصلية . والموجزان اللذان وقعا بين ايدينا هما باللغة الفرنسية . وهذا مما حد من بذل اى مجهود شخصي اعم فائدة واكثر اصاله في دراسة انتاجه المبكر .

مسرحية ابن حامد

مسرحية ابن حامد مسرحية تاريخية عاطفية تدور حوادثها في الايام الاخيرة ، قبيل سقوط غرناطة . وتقع هذه المسرحية في خمسة فصول ، ولكل فصل عنوان مستقل ، وقد ساقها ترتيبا على الوجه التالي :

- بين السوء والحب
- بين العرش والجمال
- بين الخداع والحب
- بين الجامع والنطع
- بين الزوج والحبيب

ويتألف كل فصل من هذه الفصول من عدة مشاهد تتراوح ما بين سبعة مشاهد واثني

عشر مشهدا *

(١) يبدو لي ان نمط شخصية جميل ، وطريقة تفكيره ومفهومه للحياة والمجتمع مستمدة من شخصية فوزى المعلوف . فهو ربيب مدرسة اجنبية متحررة هيأت له فرص الاطلاع الواسع على الاداب الاوروبية . ووجد من والده خير مرشد يعنى به ويوجهه ، ورأى موقف البيئة حوله من الفتاة الشرقية التي ظلمتها التقاليد فحاول ان يصور هذه الحال من خلال هذه القصة .

- * الفصل الاول مؤلف من سبعة مشاهد
- الفصل الثاني مؤلف من عشرة مشاهد
- الفصل الثالث مؤلف من احدى عشر مشهدا
- الفصل الرابع مؤلف من تسعة مشاهد
- الفصل الخامس مؤلف من اثني عشر مشهدا

بذور هذه المسرحية قائمة في التاريخ الاندلسي . ولعل اوفى الكتب التي عنيبت بهذا الموضوع من اثار القدامى كتاب " نبذة العصر في اخبار ملوك بني نصر او تسليم غرناطة ونزوح الاندلسيين الى المغرب " (١) . ومع هذا فأنا لا نجد في هذا الكتاب ما يفسي المأساة الغرناطية حقها من البحث العميق والتوسع الشامل . لهذا ، كان الحديث عن مأساة العرب في غرناطة وسقوط آخر معاقلهم في يد الاسبان عيالا على المصادر الاجنبية (٢) . ولقد اثارت مأساة غرناطة قرائح شعراء الغرب وادباءه فكان من جعلتهم فلوريان مؤلف قصة " كنزلف القرطبي " وشاتوبريان صاحب قصة " آخر بني سراج " . وقد تأثر فوزي بقصة فلوريان اذ وجدت صدى عميقا في مزاجه الرومنطيقى وعكست حقيقة واقع يعانیه العالم العربي في ظل الاستبداد العثماني .

ويجعل بنا في مستهل هذه الدراسة ان نتقصى المصادر التي استقى منها فوزي المعلوم احداث مسرحيته وهي :

اولا - قصة فلوريان " كنزلف القرطبي " .

ثانيا - التذييل الذي الحقه شكيب ارسلان برواية " آخر بني سراج " ولا سيما

الصفحات الواقعة ما بين ٣٢٨ - ٣٣٣ .

ودليلي على ذلك ما اقتبسه فوزي من عبارات كاملة لم يبدل الفاظها . وهنا الفست

انتباه القارئ الى ان تاريخ الطبعة الاولى من كتاب شكيب ارسلان يقع في عام ١٨٩٧ (٣) .

وبهذا لا يتسرب الشك بأنه قَبِضَ لفوزي المعلوم الاطلاع على هذا الكتاب والاقتباس منه مقتطفات وزعها على مشاهد مسرحيته ، كما سنبين فيما بعد * .

اما قصص الحب المستمدة من مأساة غرناطة فهي على الأرجح من وحي خيال الغربيين

اذ ان المصادر العربية التي بين ايدينا لا تشير الى هذه القصة قط (٤) ، وانما هي متداولة

عند مؤرخي الافرنج دون ان يعرفها كتاب العرب او تشتهر عندهم ومن المرجح انها من اوهام الاسبانيول وخيالاتهم (٥) .

(١) مؤلف الكتاب مجهول . ضبط هذا الكتاب وحققه الفريد البستاني - العرائش - المغرب مطبعة الفنون المصورة (١٩٤٠) .

(٢) ارسلان ، شكيب - ترجمة رواية آخر بني سراج لشاتوبريان : ٦٣ - ط ٢ (١٩٢٥) .

(٣) المصدر السابق - صفحة العنوان بعد فهرس الكتاب .

(٤) المصدر السابق : ٦٥ .

(٥) المصدر السابق : ٦٥ . وانظر ايضا AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF: 68

* تبين لي بالمقارنة ان فوزي المعلوم لم يتأثر بقصة شاتوبريان آخر بني سراج .

وهناك قصة مصدرها اجنبي عن " ملكة من بنات ملوك غرناطة علقت بحب احد الشبان من عشيرة بني سراج ، الموصوفين بالجمال وضربت له موعدا للقاء في احدى خلوات القصر الشهير ، فاجتمعا ساعة هي بالعمراج مع ٠٠٠٠ وقد كانت كذلك ، يتناجيان ويتغازلان ، ولكنهما بغتا وهما على تلك الحالة ، ونبي امرهما الى السلطان فاستشاط غضبا ، واستحضر لديه اكثر رجال بني سراج وامر بضرب اعناقهم في المكان المسمى بقاعة الاسود من حمرا غرناطة فقتلوا جميعا . ومن خرافات الاسبان انه لم يزل يسمع لرؤوسهم صدى عند خفوت الاصوات وانسدال حجب الظلام ، وهو صدى المقتولين بغيا وظلما " (١) .

وفي هذه الدراسة لمسرحية ابن حامد سأحاول ان ابين مدى تأثير فوزى بفلوريان وهذا

الملحق .

تحليل المسرحية

لا ريب ان فوزى المعلوف قد تأثر بقصة فلوريان (٢) كنزلف القرطبي الى حد بعيد . ولتبيان هذه الحقيقة سأقدم موجزا لقصة فلوريان على سبيل المقارنة .
تروى قصة فلوريان (٣) على لسان فتاة اندلسية تدعى سليبي (٤) ، فتعيد على سامع كنزلف القرطبي مأساة ابن حامد ودريد اللذين نشأ معا منذ عهد الطفولة حيث كانا يلتقيان في جنة العريف فيتنقسانا اللعب واللهو . واحب كل منهما الاخر حبا جما . وكان ابن سراج كريما شجاعا شهما . فحين وقع والد دريد ، ابراهيم ، في قبضة كنزلف توجه اليه ابن سراج وانقذ ابراهيم من اسره . وكان ابراهيم قد وعد ان يزوج ابنته ممن ينقذه . ولكن ابا عبد الله سلطان غرناطة اعترض على زواجهما لانه كان ينافس ابن سراج في حبها . ولكي يجد حلا للمشكلة لجأ الى الحيلة والدها ، فاستغل مشاعر ابن حامد الوطنية والعاطفية ، وعهد اليه في المحافظة على علم البلاد في اثناء قتاله للاسبان . فأذا انتصر عليهم وحافظ على العلم تكون دريد ممن نصيبه والا فجزاؤه العقاب .

(١) ارسلان ، شكيب - آخر بني سراج : ٦٤ .

(٢) من حيث انه تعذر الحصول على رواية فلوريان كنزلف القرطبي تعذرا تاما في مكتبات بيروت العامة والخاصة لم يعد في الوسخ الا الاعتماد على ملاحظات فايزعون بما يتعلق بالمقارنة بين ابن حامد وكنزلف القرطبي وتلخيصه للقصة .

(٣) هذا الموجز مترجم عن تلخيص فايزعون . انظر :

AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF : 68 - 71.

(٤) المعلوف ، فوزى - ابن حامد : مقدمة الناشر .

ورضي ابن سراج بهذا الشرط بدافع من وطنيته وحبه . بيد ان بني الزغرة ، اعداء

بني سراج وبالاخص ابن حامد ، بعثوا سرا الى كنزلف ، فكمن مع رجاله لكثير اخي ابن حامد وهاجموه على حين غرة واستولوا على العلم . وفي هذه المعركة قتل ابراهيم والد دريد ، وجرح ابن حامد حتى كاد يموت ، واصيبت دريد بجرح كادت تقضي عليها ايضا . فانتهاز ابو عبد الله هذه الفرصة واخبرها انها في حل من وعد ابن سراج ، وانها ان لم تقبل به زوجها فانه سيحكم عليه بالموت . وخوفا على حياة من تحب رضيت بالواقع مكرهة .

وكان المنصور ، اخو ابي عبد الله ، كريم النفس شهما على عكس اخيه . فنقل ابن سراج الى قصره واشرف على علاج جراحه وآلامه ليتمكن من الارتحال الى افريقيا . الا انه غافل المنصور ومضى متنكرا لرؤية دريد في الحما ، فكشف امره اربعة من بني الزغرة هم : علي ، وسهل ، والمقتدر ، ومفرج . فذهبوا ووشوا به الى ابي عبد الله واتهموه بخيانة شرف الملك مع دريد . فالقي القبض على ابن حامد وقتل وهو يهتف ببراءة دريد ، وقُتل اخوته واحدا تلو الآخر . ثم ذهب فتى من الموالين لبني سراج واخبرهم بالمأساة ، فهاجموا القصر ونشبت معركة بينهم وبين الحراس انتهت برحيل بني سراج من غرناطة الى قرطبة .

ولم تكن اخبار المأساة قد وصلت الى مسامع دريد بعد ، ولكنها عرفت بها من وصيفتها ايناس ، وهي اسيرة اسبانية ، فجاءت الى حيث اجتمع الناس وكان من بينهم رجال بني الزغرة الاربعة . فوجهت اليها تهمة الخيانة ، واعطيت مهلة ثلاثة ايام ريثما تجد من يدافع عنها والا حكم عليها بالموت . فاقترحت عليها وصيفتها ان تستنجد بالنبيل كنزلف فنزلت عند رأيها وارسلت اليه تدعوه كي يسرع لانقاذها . وجاءها الرد من " لارا " رفيق كنزلف في السلاح ، بأنه قادم لمعاونتها . " وانه سيحل محل كنزلف الذي كان موجودا حينذاك بفاس " . وتطوع ايضا المنصور الذي كان يحب فتاة تدعى مريم للدفاع عن دريد ولكنها ابت عليه ذلك ، وطلبت منه ان يشرف على سير المعركة . ووصل لارا وجماعته في الوقت المعين وهم متنكرون بزي الاتراك ، وفتكوا برجال بنسي الزغرة الاربعة . وفيما كان مفرج يلفظ آخر انفاسه اعترف ببراءة ابن حامد وطهارة دريد ، فطلب منها ابو عبد الله ان تعود الى الحما معه ، الا انها صرخت : انقذوني من هذا الطاغية .

حكم القضاة ببراءتها ، ولكن حالتها لم تكن خيرا من حالة حبيبها القليل . اما ابو عبد الله فعاد الى الحما وهو يعاني مرارة الخيبة . ورحلت دريد بصحبة ايناس من غرناطة الى قرطبة تحت حراسة المنصور حيث التجأ بقية بني سراج . وفيما بعد التقى بها لارا بينما كان يبحث عن صديقه كنزلف ، تبكي بجوار قبر ابن حامد على امل ان توارى وصيفتها رفاتها حين تموت بجوار

رفات من تحب .

اما مسرحية فوزى المعلوف فهي تشبه هذه الرواية الى حد بعيد ، احداثا

واسما . ولكن فوزى أجرى عليها بعض التغييرات وضغط احداث القصة لتصبح صالحة لمقتضيات المسرحية واصولها .

ففي الفصل الاول تكشف لنا المشاهد عن الابطال الرئيسيين في المسرحية : ابو

عبد الله ، وعلي ، وابراهيم ، ودريد ، وابن حامد والوشائج التي تربط ما بينهم . فابو

عبد الله ينافس ابن حامد على حب دريد التي ترفض كل عروضه وتحتقره . وعلي يحرك خيوط

المؤامرة ضد ابن حامد انتقاما وحقدا . وابراهيم والد دريد يزدري بابي عبد الله ويأبى

ان يتنازل عن وعده لابن حامد الذي انقذ حياته . وبذلك يضعنا فوزى المعلوف منذ البداية

امام العقدة التي تدور حولها الاحداث ، ونذكر في الوقت ذاته ان غرناطة محاصرة بالاعداء (١).

اما الفصل الثاني ففيه نأمة من يقظة ضمير ابي عبد الله حيث يتناسى ، للحظات ، حبه

لدريد ويتنبه للخطر المحدق بالمدينة ويحاول ان يجد حلا للمشكلة . فأن رسولا من قبل فرناند

قد وصل الى القصر يطالبه بالتسليم ، وبعد ان يكون ابو عبد الله عازما على القضاء على ابن

حامد بتحريض من علي نراه يصفو قلبه عليه ، فيقف ابن حامد مشددا عزائم ابناؤه قومه ويختتم

الفصل بالمؤامرة التي يحوكمها علي وتابعه حمدان يطلب من تابعه ان يسرق العلم الذي عهد

به الى ابن حامد ، الذي ان حافظ عليه كانت دريد نصيبه والا فالموت جزاؤه (٢).

اما الفصل الثالث وهو ذروة المأساة ، يودع فيه ابن حامد دريد وينضم والدها الى معسكر

ابن حامد ويتعهد بحراسة العلم . وحين يصبح وحيدا ، ينسل حمد الى جواره ويطعنه بالخنجر ،

ويتوارى بعد ان يسرق منه العلم ويتسلل جنود من الاسبان نتيجة لخيانة علي وحمد فتشب معركة

غير متكافئة بين الفريقين يصاب فيها ابن حامد بجرح خطير (٣).

وفي الفصل الرابع تزوج ابو عبد الله من دريد بعد تهديد ها بقتل حبيبها الملقى في

غياهب السجن بتهمة الخيانة . فلم تجد بدا من ان ترضخ لارادته . وفي السجن تصل ابن حامد

اخبار زواج دريد من ابي عبد الله مشوهة على لسان حمد ، فيفقد ابن حامد كل امل له في الحياة

بعد ان يؤكد له حمد خيانتها . ويطلق ابو عبد الله سراح ابن حامد وفاء منه بوعده لدريد شرط

(١) ابن حامد : ٢١ ، ٩ ، ٨ .

(٢) المصدر السابق : ٤٨ ، ٤٥ ، ٣١ .

(٣) المصدر السابق : ٦٨ ، ٦٧ ، ٥٣ .

ان يظل منفيا بقية حياته في افريقيا (١) .

اما الفصل الاخير فتدور حوادثه في جنة العريف حيث يتسلل ابن حامد متنكرا بملابس زنجي للقاء دريد بعد ان غافل الحراس ، وبالاخص علي . فيفاجئ دريد بظهوره المباغت . وبعد ان يطلع على الحقيقة يدرك خطأه ويعتذر لدريد على الشكوك التي راودت نفسه ، ويقسم ان ينتقم من ابي عبد الله ، فتدعه دريد عن ذلك لان ابا عبد الله اصبح زوجها . وبراء علي وحمد يحدث دريد فيشيان بهما الى ابي عبد الله الذي يحتدم قلبه حقدا ، ويأمر بالقبض على ابن حامد وقتله . وتظهر دريد على المسرح فترى جثة حبيبها مزرقة بالدماء فتجن . ويعرف بنسوة سراج بما حدث لسيدهم فيها جمعون القصر ويشتبكون مع الحراس في معركة ضارية يقتل فيها علي . ولكنه قبل موته يعترف بالحقيقة ويقر ببراءة ابن حامد ودريد . اما دريد فما برحت تضرب برأسها الارض قرب جثة ابن حامد حتى الموت .

وفي اللحظات الاخيرة يستفيق ضمير ابي عبد الله ولكن بعد فوات الاوان ، اذ يدخل الجنود الاسبان غرناطة ويطلبون منه التسليم . وهكذا يسدل الستار على هذه المأساة (٢) .

في وسع الباحث ان يرى في هذين العرضين الموجزين للقصة والمسرحية تشابها كبيرا . ويمكن استخلاص اوجه الشبه بما يلي :

اولا - تشابه الاسماء في المسرحية والقصة وهي اسماء دريد ، وابن حامد ، وابوعبد الله ، وابراهيم .

ثانيا - ابن حامد هو الذي انقذ والد دريد من اسر كنف .

ثالثا - تشابه خيوط المؤامرة التي نسجت حول ابن حامد .

رابعا - مسرح الاحداث واحد ، وهو قصر الحمراء وغرناطة .

خامسا - حدوث معركة في القصر انتقاما لمصير ابن حامد .

سادسا - مصير ابن حامد واحد ايضا في المسرحية والقصة .

سابعا - ابوعبد الله ينافس ابن حامد على حب دريد في المسرحية والقصة .

ثامنا - يقوم ابراهيم في المسرحية بدور كثير ، شقيق ابن حامد في القصة ويسرق منه العلم .

تاسعا - استخدام سلاح التهديد ذاته لاجل الخطوة بدريد .

(١) ابن حامد : ٧٦ - ٧٩ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٨٨ .

(٢) المصدر السابق : ٩٣ - ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٦ - ١١٠ .

اما اوجه الخلاف فممنها :

اولا - ظهور شخصيات اخرى في القصة لم يرد ذكرها في المسرحية ، كالمصور ، ومرم ، وايناس ، ولا را .

ثانيا - مجي' لارا ورفاقه لانقاذ دريد من مصيرها والقضاء على بني زغرة الاربعة .

ثالثا - دريد فلوريان تقضي بقية حياتها بجوار قبر حبيبها في حين ان دريد فوزي تجس وتتموت .

رابعا - التشديد على العنصر العاطفي في القصة في حين ان المسرحية تعنى بالناحية التاريخية والوطنية ايضا .

هذا من حيث البناء العام . ولم يكن بد من ادخال تعديلات مراعاة لمقتضيات المسرحية واجريسا مع خصائصها . وثمة تغييرات من طبيعة اخرى طرأت على شخصيات المسرحية كما ان وجوه تشابه اخرى قاربت بينهما على نحو ما يتبين ادناه :

اولا - ابو عبد الله

ان شخصية ابي عبد الله في المسرحية تبدوا اكثر طيبة وسماحة بالرغم من ضعفها واذعانها لرغباتها ، في حين اننا لا نلمس ذلك في الرواية . فأن حزن ابي عبد الله مثلا عند فلوريان يتولد عن خيبة امل لا اسفا على موت بني سراج او مصير دريد (١) . والحقيقة ان شخصية ابي عبد الله اجتمعت فيها المتناقضات ، ففي بعض المواقف يفقد احساسه بالزمان والمكان فلا يتورع عن التسلل تحت جناح الظلام الى جنة العريف ليتزود من دريد بنظرة تملك عليه شغاف قلبه ، او يحوم حولها كما يحوم الفراش حول الزهرة (٢) وينتهرز الفرصة كي يتذلل امامها . يقول ابو عبد الله :

"..... اسير غرام في يدك زمامه "

ويحاول ان يخبرها بكل عروض الدنيا لعل ترضى به وتجفوا ابن حامد . بل ان الموقف يكون اكثر وضوحا في مناجاته تحت ظل الاشجار حين يقول :

" فديتك يا دار الحبيبة موردا يحوم عليه طير قلبي للسود

.....

تعلقها قلبي لاول نظــــرة فهل عندها من لوعة الحب ما عندي

فسبحان من اعطى الهوى كل سلطة
وهذا الحب يدفعه الى الحق والنقمة والتهديد ، فيها هو يصرخ في وجه دريد
بعد ان خذلته :

— " حذاريتها الفتاة الشامخة • انت قوية بنظراتك الفتانة وابتساماتك الساحرة ،
ولكنك ضعيفة امام قوتي وسلطاني فلا تنسي ان حبيبك تحت مطلق تصرفي افعل به
ما اشاء • فكلما زدت نحوه حبا زدت عليه حقدا " (٢) •

وفي مكان آخر يقول لها :

— " سترين كيف امتلكك بالرغم عنك " (٣) •

وتبلغ ذروة نقمته وحقده حين ينتهز فرصة سقوط ابن حامد جريحا والصاق تهمة
الخيانة به ، فيذهب اليها بكل دناءته مهددا متوعدا ان تقبل به زوجا والا قضي على حبيبها •
يقول لها :

— " اذا قبلت بي بعلا لك عفوت عن حياة ابن حامد واكتفيت بنفسي من غرناطة " (٤) •

ولكن هذه الشخصية في قرارة نفسها ليست حاقدة ابدا وليس الحقد والضغينة ممن
جوهرها ، انما اعماها الحب • ففكرة الشرف كثيرا ما كانت ترد عن الايقاع بأبن حامد وايدائه ،
فتتردد على لسانه عبارات كهذه :

— " كفى يا علي ، فمن العار ان افرق بين قلبين جمعهما الحب • فضلا عن ذلك
فأبن حامد انقذ والد الفتاة من الاسرفهيه له وهولها ، وان صيانة عرشي تقضي
بعدم اغضابه " (٥) •

وحين تهدأ سورة غضبه يتحول الى ذلك الانسان الطيب السموع ، ويستيقظ فيه ضميره •

اسمعه يقول :

— " على من الحق يا علي ؟ ومن بدأ بالتحرش ؟ السنا نحن ؟ لو لم ندخل عليها

ونطارحها الغرام لما خاطبتنا بتلك اللهجة •

علمي — وماذا انت صانع اذن ؟

(١) ابن حامد : ١٠ •

(٢) المصدر السابق : ١٩ •

(٣) المصدر السابق : ١٩ •

(٤) المصدر السابق : ٧٩ •

(٥) المصدر السابق : ٩ •

ابوعبد الله - سأتركها وشأنها ، فمن العار على سلطان مثلي ان يعرض بنفسه للاهانة فذلك مما يحط من قدرى .
علي - افتصبر اذ ان على ما نالك من الاهانة ؟
ابوعبد الله - نعم سأصبر فأن الصبر بالملوك اجدر . والرجل من اذا قدر فعفا " (١) .

وحين ينفرد ابوعبد الله بنفسه ، يتراءى له الماضي ويتحرك في اعماقه ضمير خدرته
عاطفة الحب فيناجي نفسه (٢) :

" وقفت بين الهوى والعرش والهوى
اذا اشتريت الهوى بالعرش افقرني
فالقلب يدفني والعقل ينهاني
وان فديت بجي العرش اشقاني
.....

لا كان سلطاني المشؤم طالعه
اذا اذل جمال الغيد سلطاني "
وتتجلى يقظة الضمير عند ابي عبد الله في موقف من مواقفه الوطنية (٣) :

- " ولكن عفوا يا اجدادى عفوا . سأكرعما مضى بسلوكي
المقبل . سأترك الحب واتفرغ لمصلحة وطني . سأبعد عني كل
مفسد واصم اذني عن سماع وشايات علي - يلمع عليا - هه ،
اراك لا تزال هنا يا علي .

علي - لم اكن هنا يا مولاى فقد وصلت الساعة لعلك بحاجة اليّ ، فما
فعله مولاى ؟

ابوعبد الله - سأفعل ما يوحيه اليّ ديني ووطني . سأترك هذا الحب فإنه
يكلفني كثيرا " .

ويتطور هذا الشعور عند ابي عبد الله بحيث انه يتخاضى عن جميع عواطفه ويصافح
ابن حامد ويوليه ثقته لاجل تحرير غرناطة من الاسبان . يقول محدثا ابن حامد بعد ان كان
يود موته :

- " عاشت همتك يا رئيس بني سراج وبورك في اخلاصك " (٤) .

بل انه في موقف من المواقف يسعى للمحافظة على حياته . يقول محذرا عليا بعد
ان عرض عليه تسليم العلم المقدس لابن حامد على ان يحافظ عليه فتكون دريد من نصيبه :
- " حسنا ، ولكن احذر ان تكون هناك مكيدة لاغتيا له " (٥) .

(١) ابن حامد : ٣١ .

(٢) المصدر السابق : ٣٣ .

(٣) المصدر السابق : ٣٧ .

(٤) المصدر السابق : ٤٥ . وانظر ايضا ٣٨ .

(٥) المصدر السابق : ٣٩ .

الا ان يقظة الضمير تتخذ اروع اشكالها في المناجاة المسرحية التي يختم بها فوزى المعلوف المشهد الحادى عشر من الفصل الاخير (١) .

— " جاء دورك ايها الضمير فقم وعذبنى . هذا يومك ايها العدل ،

فهيأ واقتص مني . اقتص من الظالم . اقتص من القاتل .

ايان ملت ارى الدماء الجارية واسمع الزفرات المتصاعدة . الاشباح

تحيط بي من كل جانب ، الاموات يطالبونني بدمائهم ، واللعنات

تساقط علي من كل صوب . تبوأ العرش فكان سقوطه عن يدي

وليت الحكم فكان الجورد أبي ، وعرضت لي السعادة فأذا بسبي

الطنخ وشاحها بالدماء البريئة . فيا ويلني من غضب السما بعد

غضب الارض " .

لشد ما يشيع النفس الشكسبيرى في هذه النجوى . فأن مثل هذا المناخ النفسي

المضطرب يحملنا الى لحظات الندم الكبرى التي تأزمت فيها نفس الملك في مسرحية " هملت " ،

اذ يدرك كل منهما ان اوان التوبة قد فات وان وجه السماء قد اغلق امام طلب الرحمة (٢) ،

فيصرخ الى الملائكة متوسلا :

الملك — " اعينوني ايها الملائكة ، وحرروني من حالة عدم التوبة هذه " (٣) .

وترتعش شبه هذه الصرخة على شفتي ابي عبد الله حين يرى شبحي ابن حامد

ودريد تواكبهما الملائكة (٤) .

— " رحماكما ، رحماكما " .

ولكن لا سميع ولا مجيب ، ويحل به العقاب : فقدان الملك .

وهناك جانب آخر من جوانب شخصية ابي عبد الله هو جانب التسليم بالقدر . فما

هو مقدر محتوم :

— " باطل اجتهادنا في معاكسة الارادة الالهية ، فقد كتب علي ان اكون

شقياء وان يذهب هذا الملك عن يدي " (٥) .

(١) ابن حامد : ١١١ .

HAMLET : 109 . INTERLENEAR EDITION .

(٢)

ibid : 109 .

(٣)

(٤) ابن حامد : ١١١ .

(٥) المصدر السابق : ٤٤ .

ويقول ايضا :

— " وما الفائدة من الدفاع وغرناطة ان لم تسقط اليوم فستسقط غدا " (١) .

وايضا :

— " ليقض الله بما يشاء فلم نفعل غير واجباتنا " (٢) .

ولا ريب في ان فكرة الاعتقاد بالقدر كانت متغلغلة في نفس ابي عبد الله ، وكان يؤمن بها ايمانا عميقا ولو كان هو شخصيتها . ومن هنا كان في كثير من الاحيان يستسلم للواقع اذ لا مفر منه دون اى جهد يبذله * .

وهكذا تبرز لنا هذه الشواهد اجتماع النقائص في شخصية ابي عبد الله التي كان في آسها الضعف امام الحب والجمال ، وسيطرة العاطفة على العقل . ولكنه لم يتحرر من الطيبة قط ولا من الشعور بالشرف . ففي كل مرة يقع فيها تحت تأثير علي كان يرجع الى نفسه بدافع الشعور بالكرامة الا ان رغبته وضعفه وحبه كانت اقوى منه فيعود ويرضخ لعلي (٣) .

ثانيا - علي :

اما الشخصية الثانية التي تمثل جانب الشر المطلق فهي شخصية علي ، رئيس بني زغبة ، وعد وابن حامد الالد . وهو يقوم في المسرحية مقام رجال بني زغبة الاربعة في قصة فلوريان . وفي خاتمة حياته يتخذ دور مفرج . ودوره في القصة اتاح لفوزي ان يخلق شخصية مسرحية غنية حية . وكرديف له كان تابعه حمد ، انما الفرق بين الاثنين ان علي كان همه من دنياه هو الانتقام دافعه في ذلك الحسد (٤) ، في حين ان حمد كان يسعى وراء المال (٥) . وهذا الحقد الذي تنامي في صدره جعل منه شخصية خطيرة فاستنرف على نواحي الضعف في ابي عبد الله واستغلها ايما استغلال . فهو لم يهاجم دريد مباشرة وانما اراد ان ينتقم من ابن حامد عن طريق حبه . فأوغر صدر ابي عبد الله عليه . يقول :

(١) ابن حامد : ٤٤ .

(٢) المصدر السابق : ٤٤ .

(٣) AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF : 63 .

(٤) ابن حامد : ١١٠ .

(٥) المصدر السابق : ٤٩ ، ٦٨ ، ١٠٦ .

* جاء في تذييل آخر بني سراج ما يلي : " وتذكروا جميع اقوال النجمين عند ولادة ملكهم - ابي عبد الله - وما قيل بشأن سقوط غرناطة ليلة اخذ قلعة الصخرة " ٣٢٨ .

علي - " ما الذنب ذنب فتاة لا تميز بين امسها وغداها ، وانما ذنب من اغراها وزرع بغضك في قلبها • فأنت تعرف ابن حامد وتعرف مبلغ عدواته لك ، فمتى انتقمته منه خلا لك الجوبها •

ابوعبد الله - اواه ، من لي بتلك السعادة •

علي - اذا قتلت حبيبها سلته فقلوب النساء في الهوى كالريشة يلعب بها الهوا " (١).

همس شيطاني راح يهمس به في اذن ابي عبد الله الواله ، وهو بذلك يضرب على وتر حساس ضعيف يستجيب له ابوعبد الله ويخضع امام طغيانه • ويستخدم الاسلوب النفسي ببراعة فيحاول ان يثير غرور ابي عبد الله والشعور بالكرامة :

علي - " اذا كنت تخشاه فذلك امر آخر " (٢) •

التحدى • وفيه يحاول علي ان يحطم كل عقبة تقف امام اصرار ابي عبد الله ليحقق من وراء ذلك غايته ، فيزين له الامور مع هذا التحدى بمعسول القول واغراء الاماني وكأنما الامر طوع يعينه • فهو يقترح حلا مبطنا بالتآمر والدسياسة بحيث لا يشعر ابوعبد الله بتأنيب الضمير ويهون عليه الجريمة (٣) :

علي - " استغفوعن ابن حامد وتسمح له بدريد ، اليس كذلك ؟

ابوعبد الله - بلى •

علي - من رأيي يا مولاي ان لا تغفوعن ابن حامد بلا مقابل •

ابوعبد الله - ما هو ذلك المقابل ؟

علي - هو ان تجعل التقادير حكما بينك وبينه ويكون مهر دريد علم المملكة المقدس •

يدرك علي ان ابا عبد الله يؤمن بفكرة التسليم للقدر (٤) ، وها هو يستغل هذا الضعف

وينفذ منه الى غرضه • والواقع ان عليا يحاول ان يستخدم كل ما لديه من اسلحة للقضاء على ابن حامد ، فسرعان ما ينتقل من موقف لموقف ببراعة لا تترك ملمحا للشك في نفس ابي عبد الله • فتارة يحرك فيه الشعور بعظمة السلطان واهبة الملك :

علي - " وهل تترك ابن حامد بلا عقاب • ووالله لم ارقبل اليوم رجلا

تمرد على سلطانه • ومتى كان مجلس السلاطين معرضا لبذاءة العبيد •

الا تتذكر استخفافه وتهديده ؟ " (٥) •

(١) ابن حامد : ٨ •

(٢) المصدر السابق : ٩ •

(٣) المصدر السابق : ٣٨ •

(٤) المصدر السابق : ٧٤ و ٧٥ •

(٥) المصدر السابق : ٣٧ - ٣٨ •

وطورا يأتيه من باب القلب والحب حين لا يجد منه اذنا صاغية :

علي - " ودريد ؟ وهل نسيت دريدا وهي في الحسن آية الناظرينا
افتسلو جمالها بعد ان كتبت له عابدا رويسه مفتوننا
ليت شعري اهذه شيمة العشاق وهذي صبايسة العاشقيننا " (١)

ثم ان عليا لا يرى حرجا في اعتماد الكذب فضلا عن التآمر . فيقسم بأن لا يد له
في فقدان العلم وفي نكبة ابن حامد ومصرع ابراهيم والد دريد (٢) . وهو بذلك يحرض
الملك على قتل ابن حامد متوسلا باحكام القدر . والحقيقة اننا لا نجد تصويرا لشخصية
علي ادق من تصويره لنفسه حين يقول :

بشرارة مكر من فكري	اوقدت الفتنة في القصر
فعلني انهض وابطش ببطشا	اتت الفرصة فانهش نهشا
وافتن واقتك وانحر وامكر	فدم الاعداء خمر احمر
ودهاك فهزبه الارضا	شرقا غربا طولا عرضا " (٣)

وماذا وراء هذه الثورة العارمة المتأججة في صدر علي ؟ وياتينا الجواب واضحا

على لسان علي نفسه :

" وانت يا ابن حامد ، حذار حذار فان الذي استهزأت به وانتصرت
عليه معد لك حبال الابالسة وعذابات الجحيم . نخلقك الله محبوبا
وخلقني مكروها ، وميزك عني بالشجاعة ايضا . ولكن القوة ليست للسيف
ولا للفضائل وانما هي للروس الملوثة بالحيلة " (٤) .

وما هو لون العذاب الذي يروى غليل انتقامه ؟ اسمعه ايضا يقول متوعدا ابن حامد :

" سأذيقك عذاب الموت فانتشل دريدا من يدك لاضعها بين ذراعي
ابي عبد الله . ثم انزلك الى القبر محمولا على عواصف انتقامي فاستعد " (٥) .

ان انتقام علي يعتمد العذاب النفسي المريع .

اما مكيا فليليته فتظهر بوضوح في بقية هذه الصرخة الفرحة المجنونة :

" يظن السلطان انني افعل ما افعل لاجل مصلحته ، ولكنه لا يعلم
ان ذلك كله في سبيل انتقامي ، وماذا يهمني ابو عبد الله اذا تزوج

-
- (١) ابن حامد : ٣٨ .
(٢) المصدر السابق : ٧٤ .
(٣) المصدر السابق : ٢٩ .
(٤) المصدر السابق : ٢٩ .
(٥) المصدر السابق : ٣٠ .

دريدا أولا ، وان سقط عرشه ام لم يحفظ ، كل شي اضحى به في
سبيل غايتي ، وطني وديني والعرش والسلطان " (١) .

ان شعور علي بالضعف الجسدي جعله يستعين بالخداع ليسمو في عيني نفسه .

هذا ، فضلا عن ان العدا بين بني سراج وبني زغرة عدا قديم مستحكم .

ان الضعف الذي مني به علي ابرز النزعة السادية الكامنة في اعماقه ولا سيما حين
ترجح لديه انه اصبح سيد الموقف (٢) . وظهور هذه النزعة هو تطور طبيعي في بناء المسرحية
نظرا لان عليا كان يسعى منذ المشهد الاول للانتقام من ابن حامد . فلما حانت اللحظة الحاسمة
كان من الطبيعي ان يكشف عن خبيثة نفسه ، ويصب جام حقد بوحشية على ابن حامد . ونحن
نرى عليا ينمو في خط تصاعدي نحو الغاية التي جهد لتحقيقها دون ان ينحرف عنها قيد انملة .
ولم يكن في جوهره متناقضا مع نفسه ، فكل حركة بدرت عنه كانت وفق خطة مدروسة يدرك مداها ،
فيتلون بمكيا فيلية بارعة حسب مقتضيات الاحداث . واكثر من ذلك كله كان يستعين بالصبر
والدهاء والقدرة على اخفاء خوالج النفس ، وهي مزايا يتسم بها الذكي العاجز ريثما يحقق
اهدافه . والحقيقة ان شخصية علي هي اغنى شخصيات المسرحية ، بل هي التي كانت تقف
وراء الاحداث تحركها وتساعد على نموها وتطويرها . ومن خلال النماذج السابقة يتبين لنا
ان مفتاح هذه الشخصية يتلخص في خصائص ثلاث هي : العجز الجسماني ، والغيرة ، والانتقام .
ولقد تضافرت هذه العوامل الثلاثة على خلق شخصية شريرة ، تنسج خيوط مؤامراتها ويضعفها
ذكاء حاد وارادة جبارة . وعبر هذه المنافذ امكنا التغلغل الى هذه النفسية المتحرقة ابدا
الى الانتقام لتحقيق ذاتها ، بل لتجسيد حقيقة الشرفي منحى بشري يمثل كل ما هو مناقض
لبطل المسرحية ابن حامد .

ثالثا - ابن حامد :

ابن حامد ، رئيس بني سراج ، شخصية لا يطرأ عليها اي تطور
في فصول المسرحية ، بل تتخذ موقفا واحدا لا تحيد عنه عبر احداث فذة في وقت كانت الاقدار
تعصف به بمصير غرناطة . كان يتحلى بمزايا الفروسية والبطولة ، كريم النفس ، شجاعا ، مقداما ،
صريحا يأبى الضيم ، ويخلص الود . وكان ابو عبد الله يحترمه بالرغم من حقد عليه ونقمته .

(١) ابن حامد : ٣٠ .

(٢) المصدر السابق : ٨٠ ، ٨٨ .

ويزداد اهتمامنا به حين نعلم من شقيق المعلوف ان فوزى " قد نفع شخص بطلها - ابن حامد - بالكثير من خوالج القلب ونزعات روحه " (١) . والحقيقة ان البطل هنا هو امتداد وجداني لشخصية الشاعر التي كانت تسعى نحو المثالية كما كان يتوق اليها . وهذه الدعوة الى المثالية امتزجت بروح العصر من ناحية وبالرؤى المتسامية في مخيلة فوزى الناشئة عن صغر سنه من ناحية اخرى . ولكن هناك جانب ملحى حي في شخصية ابن حامد ، وهو الجانب البطولي الذى لا يتأثر بالعاطفة او يذعن للضعف البشرى لانه اقوى منه وارفع . اراد فوزى ان يخلق بطلا ملحيا مغولدا ابن حامد . وهذا النفس الملحى يتجلى في اكثر من موقف :

ابن حامد - " . . . ولكن الوطن فوق كل عاطفة . . . (وبعد ان يلتفت الى الرياض والمباني

والقصور حوله) يقول : ولكن . . . قد يأتي زمن تندثر فيه وتصبح خرائب واطلالا . فلا يبقى من الحمراء غير بعض جدرانها ، ومن جنة العريف غير بعض ترابها . فإذا مربها احد حقدتنا في المستقبل البعيد . . . وقال . . . انا سليل شعب رفع للمدنية منارها ، وكان للوطنية فخارها . هذا الحفيد سيلعن ابا عبد الله مضيق عرش اجداده ، ولكنه لن يلعن من استماتوا في سبيل الذود عن حياضهم . وهذه اعظم مكافأة لنا عن جهادنا اذا لم يثمر دفاعنا فضاقت جهودنا " (٢) .

وفي المشهد السابع من الفصل الاول تهز سامعنا صرخة ملحمة بطولية اذ ينشد :

لولا دم عربي في العروق جرى	هجرت من اجلك الدنيا واوطانسي
لكن مجد جدودى من قبورهم	لنصرة الوطن المحبوب نادانسي
لبكم يا اباة الضيم ها - نذا	ما خاب ظنكم في شبل قحطان
روحي وما ملكت كفى فدى وطني	فلينسج الموت منذ اليوم اكفانسي (٣) "

ثم يأخذ في مناجاة طويلة تستغرق ما يقرب من الصفحتين يستعرض فيها ازدهار

المدنية على نور الاسلام مبتدئا بالنبي ، مرورا بخالد ابن الوليد وعمر بن العاص وموسى بن نصير وطارق بن زياد . ثم يندب مصير الاندلس وغرناطة على الاخص التي تكاد تسقط بين يدي الاعداء صارخا :

(١) ذكرى فوزى المعلوف : ٣١ .

(٢) ابن حامد : ١٣ - ١٤ .

(٣) المصدر السابق : ٢٤ .

" ايه يا ابا عبد الله ، ان اسمك سيظل في صفحات التاريخ ملطخا بالعار وملعوننا بكل فم فواخجلة الحفدة من مضيق امجا دهم ٠٠٠ قصت تراحمني على حبييتي وسأصغح عنك في سبيل الوطن ٠٠٠٠ " (١) .

وتظل هذه الروح الملحمة صفة ملازمة لابن حامد وهو يقف وجها لوجه امام الموت .

فيقول محدثا دريد :

— " لا اريد ان تستعظني هذا الظالم ، فاحترمي ارادة الرجل الواقف امام الموت وانهي من هنا " (٢) .

والظاهرة الملحمة هذه ترجع في اصولها الى طبيعة الشخصيتين التي رسم منهما فوزى المعلوف شخصية بطله . فالشخصية الاولى هي شخصية المنصور اخي ابي عبد الله . وهي شخصية ملحمة في قصة فلوريان جعلت الواجب فوق العاطفة ، وكان رمزا للحرية في نظر الشعب . اما الشخصية الثانية فهي شخصية موسى ابن ابي غسان كما ظهرت في التذييل الذي الحقه شكيب ارسلان في ترجمته لاخر بني سراج (٣) . وهو شخصية ملحمة ايضا توفرت فيها عناصر البطولة التي كانت مختصرا لآمال الامة وتجسيدا لاشواقها ، ويصفه لنا شكيب ارسلان نقلا عن تواريسخ الافرنج انه " من سلالة الملوك ٠٠٠٠ بعيد الهمة كريم السجية ، ابي النفس ، باهر القوة ، مستوفيا شروط الفتوة ، جامعا بين صباحة الوجه ونضارة الخلق ، غاية في بهاء الطلعة ونفاد العزيمة ، حذا في عزة النفس وزكا الطبع . كان لا يوجد ادرب منه في عصره بفنون الفروسية ولا احسن منه اقتعادا لصهوات الخيل ، ولا البق ولا ارشق حركة بالعباب السيف والترس وتقليب السلاح بانواعه . كان اذا برز في ميدان ترك امره فتنة للحسان غرناطة ومدارا لحديث الاندلسيات ، واذا شهد الكريهة قذف مشهده الرعب في قلوب الاسبانيول وطالما نصر المسلمون باسمه " (٤) .

هذه الشخصية الفذة كان لها تأثير كبير على عامة الشعب لما اثارت مزايا بطولته في العامة من اعجاب . لذلك ما كاد يستنفر المسلمين للقتال حتى " بادرت جمهرة المسلمين الى اجابة داعيه وطمعت في استئثار الجنة ، ونفرت فتيان غرناطة تريد الموت في سبيل الذب عن ذمار الدين وتطيع من موسى سيدا كانت تغضب له الوهم اذا غضب ولا يدرون لما غضب فكيف وقد غضب للدين ونفـر لحماية عرض المؤمنين ٠٠٠٠٠ " (٥) .

(١) ابن حامد : ٢٤ - ٢٦ .

(٢) المصدر السابق : ١٠٤٤ .

(٣) ارسلان ، شكيب - آخر بني سراج : ٣٠٨ - ٣٣٢ .

(٤) المصدر السابق : ٣٠٨ .

(٥) المصدر السابق : ٣٠٨ .

ولم تكن خاتمة هذه الشخصية الملحمة كما وردت في تواريخ الافرنج بأقل بطولية من حياته . اذ انه بعد استسلام ابي عبد الله ، راح يهاجم فرسان الاسبان " فلم ترتفع له يد الا بحتف ولم يقع له حد الا في مقتل ، وكان الظاهر عليه انه مستميت مولع بالفتك يقاتل للاشتفاء لا للعلاء ويرغب في المنايا لا في الجراح ، ويهوى الموت لا البقاء " (١) .

وحين ادرك بعد ان كبا به جواده ، واشخت منه الجراح انه لا يستطيع الدفاع عن نفسه وخشي ان يؤخذ اسيرا زحف الى النهر فرمى بنفسه في الماء حيث غاصت به درعه فسي الحال (٢) . وسنرى كيف ان بعض اقوال المنصور وموسى بن ابي غسان ، تدور في الحوار بين شخصيات مسرحية فوزى المعلوف وبالاخص ابن حامد .

يقول ابن حامد لدريد بعد ان حاولت ان تثنيه عن عزمه خوفا عليه من الخديعة لانه يدافع عن عرش طاغية فاسد ظالم يضر له الحقد :

ابن حامد - " انا ادافع عن عرش وطني لا عن عرش ابي عبد الله . ان الملوك فانون اما المبادئ فخالدة الوطن فوق الجميع " (٣) .

يقول منصور لفتاته مرتين التي حاولت ان تثنيه عن القتال :

- " انا اعرف من هو ابو عبد الله ، ولست ادافع في سبيل هذا الوحش ولكن من اجل ديني ووطني " (٤) .

ويقول ابن حامد لدريد :

- " افلا يرقص نؤادك طربا اذا قال عنك هذا الشعب وانا عامل على تحريره ، هذه خطيبة منقذنا " (٥) .

وبمثل هذا المعنى يقول منصور لمرتته :

- " اى مجد ، اى شرف ، حين يقول الشعب الذى اخلصه وانت تعرين ان هذه هي خطيبة محررنا " (٦) .

ويقول ابن حامد في المسرحية :

- " دريد ، انت اعز علي من الحياة ولكن الواجب اعز علي منك " (٧) .

(١) ارسلان ، شكيب - آخر بني سراج : ٣٣٢ .

(٢) المصدر السابق : ٣٣٢ .

(٣) ابن حامد : ١٣ .

(٤) FLORIAN - CONZALVE DE CORDOUE: II, V, 202. نقلا عن AOUN: 72.

(٥) ابن حامد : ٥٤ .

(٦) FLORIAN - CONZALVE DE CORDOUE: II, V, 203. نقلا عن AOUN: 73.

(٧) ابن حامد : ٥٥ .

وجاء على لسان ابن حامد في قصة فلوريان :

ابن حامد — " انت اغلى من حياتي ولكن واجبي اغلى منك • نظرة منك او كلمة واحدة او ابتسامة لطيفة ستعوضني عن كل اعمالى " (١) •

واكثر من ذلك فأن اثر فلوريان نراه يمتد الى وصف حالة ابن حامد وهو في السجن ، فهو يشبه وصف حالة كنزلف حين كان يرسف في الاغلال (٢) •

ويلوح لي ان فوزى جعل بطل مسرحيته يتقمص شخصية المنصور الى حد كبير فاستعار منه مزاياه ولا سيما في المواقف العاطفية • اما المناخ البطولي الملحي فقد اقتبسه من مواقف موسى بن ابي غسان كما اوردها شكيب ارسلان (٣) ، في الجزء التاريخي من المسرحية • يقول موسى بن ابي غسان :

" لقد عجلتم في الكلام في امر التسليم فأن وسائلنا لم تنقطع ولم يزل عندنا بقية قوة عظيمة الفعل ، شديدة التأثير ، وطالما كانت سبب الفتح الا وهي الاستماتة • فلنستغفر العامة الى الجهاد ولنسلحهم ونقتحم صفوف العدو حتى نخالط اسنتهم • وانني لحاضر ان امضي في هذا السبيل واتوغل في كثيف جمع الاعداء ، وخير لي مرارا ان اعد فيمن استأكلهم الدفاع عن غرناطة من ان اعد في الاحياء من بعدها " (٤) • ويقول ابن حامد :

— " انسلم وفيها بقية دم يجرى ؟ ان وسائلنا لم تنقطع بعد ولا تزال عندنا قوة عظيمة هي الاستماتة • فلنستغفر العامة الى الجهاد ولقحم صفوف الاعداء ونحن على الحالتين صائرون اليه ، واما نصر والنصر بيد الله يؤتیه من يشاء " (٥) •

ويتابع في مكان آخر : " فخير لنا مرارا ان نعد فيمن استأكلهم الدفاع عن غرناطة من ان نعد في الاحياء من بعدها " (٦) •

ويقول موسى بن ابي غسان :

" دعوا يا موالينا البكا والنحيب للنساء والاولاد • فنحن رجال ولنا قلوب لا لاجل ذرف الدموع بل لاجل سفك الدماء • وانني لارى عزائم هذه الامة قد ارتخت وقطعوا املمهم من نجاة هذا الملك • فوالله لقد بقي

(١) AOUN: 73. FLORIAN - CONZALVE DE CORDOUE II, V, 203. نقلا عن

(٢) AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF : 73 •

(٣) ارسلان ، شكيب — آخر بني سراج : ٣٢٨ — ٣٣٥ •

(٤) المصدر السابق : ٣٢٩ •

(٥) ابن حامد : ٤٢ •

(٦) المصدر السابق : ٤٥ •

علينا اشرف الخطتين وهي الموت • فلنمت اذا في سبيل استقلالنا
والانتقام من عدو غرناطة فأما الارض تتلقى ابناؤها في احشائها
غير مقيد بين بسلاسل العبودية • ولا قدر الله ان يكون اشراف غرناطة
صاروا يخافون الموت في الدفاع عنها " (١) •

واليك كيف توزع هذا الكلام على لسان ابن حامد وسواه (٢) :

ابن حامد - " دعوا اليأس للنساء والاطفال • فنحن رجال ولنا قلوب لا لذرف
الدموع بل لسفك الدماء • والله لقد بقي اشرف الخطتين وهي
الموت • فلنمت اذن في سبيل استقلالنا •

موسى - من فرسان العرب - " لا قدر الله ان اشراف غرناطة اصبحوا
يخافون الموت " * •

(١) ارسلان ، شكيب - آخر بني سراج : ٣٣٠ •

(٢) ابن حامد : ٤٤ •

* لا يكتفي فوزي المعلوم بأن يقتبس كلمات موسى بن ابي غسان ويقولها لابن حامد ، بل
انه يوزع مقاطع اخرى من عباراته وينطقها شخصيات اخرى غير ابن حامد • كما انه يقتبس
اقوالا لغير موسى ويضعها على السنة ابطال روايته • قال موسى عندما مال وجهها غرناطة
الى التسليم :

" يا قوم لا تغشوا انفسكم ولا تتسلوا بالمحال ولا تظنوا ان ملوك النصارى وافون بمواعيدهم لكم ،
وانهم كرام عند المقدرة كما هم فتاكرون عند القتال • فوالله ان الموت الاحمر هو اهنون ما
نتوقع ، وانما نحن مستقبلون امرا ايسره اكتساح الاوطان وفضيحة العيال وانتهاب الاموال
وقلب المساجد وتد مير المنازل ، هذا عدا السوط والنار والقطع والنفي من الارض والضنى في
اعماق الحبوس الى غير ذلك مما نحن صائرون اليه

فأذا لم يكن من الموت — فم العار ان تموت جهاناً

(آخر بني سراج : ٣٣١)

وهذه العبارة تتردد في الحوار التالي :

ابراهيم - " يا قوم لا تغشوا انفسكم بالمحال ولا تظنوا ان ملوك النصارى وافون بمواعيدهم
لكم • ان الموت الاحمر اهنون ما نتوقع ، وانما نحن مستقبلون امرا ايسره اكتساح

الاطوان وفضيحة العيال وانتهاب الاموال وقلب المساجد وتد مير المنازل •

موسى - هذا عدا السوط والنار والقطع والنفي الى غير ذلك مما نحن صائرون اليه

فأذا لم يكن من الموت — فم العار ان تموت جهاناً

(ابن حامد : ٤٤ - ٤٥)

وجاء على لسان الوزير ابي القاسم عبد الملك قوله :

" ان اهراءنا قد خلت من المونة او كادت ولا ننتظر الان شيئاً في الطريق بل

الذي كان واردا لاجل الخيل صار قوتا للخيالة انفسهم • وربما اكلوا الخيل انفسها ، =

ان شخصية ابن حامد تتلخص بأنه رمز لانتصار الواجب على العاطفة ، وانه يرى

في الحرب معنى هو من سنة الطبيعة في الكون . يقول موجها حديثه لدريد :

- " الحرب ، وهل لنا مهرب منها ؟ فضلا عن ذلك افليست سنة طبيعية في هذا الكون ، ولولا الحرب افكانت حطت بنا الرحال في هذه الديار فازدهرت بعد نيتنا وتشريت من روحنا ومجدنا العربي الخالد ؟ الم يكن السيف ناسج برדתه وحامي سدّته ؟ " (١) .

الا انه يعطي مفهومه للحرب معنى وطنيا فيه شرف الحفاظ على ميراث الجدود ،

فمصير الحمراء يكون كمصير قرطبة وطليلة ما لم يزد عنها " بالاحمر من دماننا " (٢) ، وهو في

ناهيك انه من السبعة الالاف من رؤوس الخيل التي كانت عندنا يرسم الرباط لم يبق سوى ثلاثمائة رأس ، وان في مدينتنا مائتي الف نسمة كلها تطلب الخبز " .

(اخبرني سراج : ٣٢٨)

وتناول فوزى هذا الحديث ووضعه في الحوار التالي :

طرفة - " لا تعجب يا مولاي فان اهرا'نا خلت من المؤونة ولا ننتظر لا واردا ولا صادرا ، وان الذي كان واردا للخيل صار قوتا للخيلة انفسهم وربما اكلوا الخيل نفسها .

عقبة - رئيس بني مكناسة - ناهيك بأن من السبعة آلاف من رؤوس الخيل التي كانت عندنا لم يبق سوى ثلاثمائة رأس ، وان في مدينتنا مائتي الف نسمة كلها تطلب الخبز " .

(ابن حامد : ٤١)

وجاء ايضا ان ابا عبد الله صرخ بعد اطلاعه على شروط التسليم قائلا :
" الله اكبر لا اله الا الله محمد رسول الله ، باطل اجتهدنا في معاكسة الارادة الالهية فقد كتب في اللوح المحفوظ انني اكون شقيا وان هذا الملك يذهب من يدي " .
(اخبرني سراج : ٣٣١)

ويورد فوزى هذا النص على لسان ابي عبد الله :

- " الله اكبر لا اله الا الله ومحمد رسول الله .

باطل اجتهدنا في معاكسة الارادة الالهية فقد كتب علي ان اكون شقيا وان

يذهب هذا الملك عن يدي " . (ابن حامد : ٤٤)

اما نص الرسالة التي يحفلها الرسول الاسباني (انظر ابن حامد : ٤٣) فهي مقتبسة عن نص الشروط التي حملها الوزير ابو القاسم عبد الملك بعد عودته من معسكر فرناند وايزابيلا .
(انظر آخر بني سراج : ٣٢٩ - ٣٣٠)

(١) ابن حامد : ١٢ .

(٢) المصدر السابق : ١٢ ، ١٣ .

مفهومه للوطن صاحب مبدأ يسموه فوق احقاده لان الوطن بحاجة اليه ، " فالملوك فانون اما المبادئ ، فخالدة ... الوطن فوق الجميع " (١) ، بل ان الواجب في الدفاع عن الوطن هو " اعز علي منك - اي دريد " (٢) . ولكنه في دفاعه عن الوطن انما يدافع عنها ايضا ، عن حبه الغالي . يقول :

- " ومن انبأك انني اذهب الى الموت بذهابي للدفاع عن الوطن . ان جهادي ليس في سبيل بلادى فحسب ، وانما هو في سبيل غرامي ايضا . افلا يرقص فؤادك طربا اذا قال عنك هذا الشعب وانا عامل على تحريره هذه خطيبة منقذنا ؟ " (٣) .

وفي هذا المقطع نلمح النفس المتغني بالذات . فالمهمة خطيرة بقدر ما فيها من عظمة ، وهو يريد لدريد ان تكون زوجة البطل الذي يحرر ارض الوطن من الحصار . ومفهوم الحب عند ابن حامد هو مفهوم رومنتيقي مثالي . يقول :

- " الحب ، ومن يحدد الحب ؟ هوانت . هوانا . وهو كل شي ، نابض فوق هذه الارض " (٤) .

والحقيقة ان حياة ابن حامد كما هي في المسرحية ، وقف على الحب والمجد فهو " واقف الان بين الحب والمجد وعلي لكل منهما واجب ساقضيه " (٥) . ولكن ولاه ، لابي عبد الله وشعوره بالواجب ينتصران على الحب ، مع انه يعلم بأن ابا عبد الله كان واقعا تحت تأثير عظمى عدوه الالد . ويظل الوطن فوق الحب ، وفوق كل ضغينة ، فهو " يضحي بكل شي في سبيل وطنه " (٦) . وهذه هي صورة البطل كما راها فوزى في شخصية موسى ابن ابي غسان . البطل الذي يشدد العزائم حين ترتخي ويجلجل صوته في المعركة ويخوض معترك القتال بقلب اقوى من الموت . هي صورة البطل المثالي الملحي .

وقصاراه ، فأن ابن حامد يمثل الطاعة والخضوع الوطني للسلطان لا لضعف فيه بل لانه لا يريد ان يثور عليه حفاظا على سلامة غرناطة ، وقد وعد السلطان بالولاء التام بالرغم مما كان يضره له السلطان من الحقد والموت ، وبذلك تعدى ابن حامد حدود ذاته . ولم يكن يخشى الموت في ساحة القتال بل حالت شجاعته دون اصفائه الى تحذير دريد من الخطر المحدق به (٧)

(١) ابن حامد : ١٣ .

(٢) المصدر السابق : ٥٥ .

(٣) المصدر السابق : ٥٤ .

(٤) المصدر السابق : ١١ .

(٥) المصدر السابق : ١٤ .

(٦) المصدر السابق : ٢٥ ، ٣٦ .

(٧) المصدر السابق : ١٥ .

وانما كان يحسب لحيه اكبير حساب خوفا من ان يعيقه عن تأدية الواجب المنوط به مصير المسلمين .

رابعاً - دريد -

اما دريد فهي رمز الفتاة المثالية التي كانت تعيش في مخيلة

الشاعر . وهي تشبه مريم في قصة فلوريان ، وتقف من ابن حامد مواقف مريم من المنصور ، فتحاول ان تشفيه عن خوض المعارك خوفا عليه من الموت ومن مكائد اعدائه ، وتعتمد على حسنها الانثوي . وحبها لابن حامد جعلها تنظر الى القضية من زاوية واحدة هي الزاوية الذاتية (١) . فهي اذا ارادت ان تذهب الى الحرب فلانها " عاشقة اذهب للدفاع عن خطيبي " (٢) . فالحب جعلها د كجهد الجندى في سبيل وطنه .

غير ان دريد تمثل الوفاء بكل معانيه . فهي تعرض نفسها لغضب الملك لاجل

من تحب :

— " كفى يا ابا عبد الله فقد اهتنتني بشخص حبيبي . وعدت ابن حامد بيدي ووعده ابي بي ، فلا سبيل الى نقض ما وعد شريفان . ليس لي غير قلب واحد وقد وهبته فلا تحاول المحال " (٣) .

ويتجلى وفاءها بأكثر وضوح حين اصبحت وحيدة بعد موت ابيها وزج حبيبها فسي السجن . فهي تدافع عن حبها دفاع المستميت ، " وهل تحسب ان المرأة تحب الرجل فسي السرا " فحسب ؟ " (٤) . واخيرا تضحي دريد بنفسها لاجل انقاذ حياة ابن حامد فتتزوج من ابي عبد الله بعد ان وعدها باطلاق سراحه . وحين يأتي ابن حامد متنكرا لرؤيتها تظلم دريد ونية بحق زوجها بالرغم من انه حال بينها وبين حبيبها . متمثلة بحب بني عذرة وهو حب جوهره الالم يقات من القلوب ، فتقول له (٥) :

— " وما يدفعك الى الموت والى خلق هذا الحب المتقد في قلوبنا ؟ انت ستعذب ولكن عذابك لن يبلغ عذابي ، فكما اشتريت انا بحياتي حياتك ، اشترى انت بحياتك حياتي . ولتكن ضحية بضحية .

ابن حامد — وكيف اعيش بلا امل لقا ؟ .

(١) ابن حامد : ١٥ ، ٥٤ .

(٢) المصدر السابق : ٥٥ .

(٣) المصدر السابق : ١٨ .

(٤) المصدر السابق : ٧٧ .

(٥) المصدر السابق : ٩٨ .

دريد - الم تسمع باخبار بني عذرة ؟ ليكن حيناً اذن مثل حبهم .
لنعش كما عاش جميل وشينة ، ولنحب كما احب كثير عزة " .

ولعل هذا اللون من الحب هو اللون الذي كان يستهوى الشاعر (١) .

ان دريد بطله ماساوية ، وقد استعار فوزي مصيرها من موت مريم بالسم . ولعله اراد ان يجعل موتها حلاً للمشكلة . وفي رأى فايز عون انها تشبه جولي في مأساة ~~جولي~~ دي برينتيكس (٢) . وان كنت ارى في قصة جنونها مأساة اوفيليا احدى شخصيات قصة هملت التي جنت بعد موت ابيها . وقد وفق فوزي في تصوير قصة جنون دريد الى حد بعيد . يختلف مصير دريد فوزي المعلوف عن مصير دريد فلوريان . فالاولى تموت في حين ان الاخرى تظل على قيد الحياة على امل ان تضم وصيفتها ايناس ، يوماً ما ، رفاتها الى رفات حبيبها في قبر واحد . ومصيرها هذا اكثر الما واشد رهبة من مصير دريد في رواية فوزي ، لانها ستظل تقاسي من غصص الالام بقية حياتها ، فيتجدد عذابها مع طلوع كل فجر . الا ان فوزي في موت دريد اعتمد المصير الرومنطيقى الشائع في العصر .

من الملاحظ في رواية ابن حامد ان فوزي المعلوف حاول ان يعالج في مسرحيته

مشكلة الحب والواجب من جهة ، والموضوع التاريخي من جهة اخرى . بيد انه لم يستطع ان يخرج بنتيجة متكاملة للموضوعين . فبعد ان يعنى بالفصل الاول بالصراع الوطني والعاطفي ينتقل فجأة في الفصل الثاني الى الناحية التاريخية كما بينا ، في حين ان بقية الفصول كانت تهتم بتطوير الحركة والمشكلة الاخلاقية مضحية بالعنصر الملحمي والمسرحي .

ويلاحظ فايز عون ان المسرحية تعرضت لعدة تأثيرات مختلفة " ف شخصية دريد مستوحاة

بالتأكيد من راسين مع مسحة كورنيلية لا يمكن الاستهانة بها ، بينما تنقلنا شخصية علي الى مسرح آخر . فمكيانيلية علي وشره تذكرنا بخونة المسرح الافرنسي والمسرح الشكسبيرى . وعقيدته بالقدر ومذهبه في الحياة يحرضانه على اجترار الشر وبقاربانه من نماذج فكتور هيجو . وتكوين المسرحية يشبه تكوين طريقة هيجو في المسرح الرومنطيقى في روايتي روى بلاس وبيرغراف . وفوزي يحاول ان يصور لنا قصة نهاية امبراطورية . والبحث الحقيقي عن اللون المحلي يويد هذه الفكرة ، كما ان كل فصل مسبق بعنوان قصير يلخص نحوه كما في اغلب روايات هيجو " (٣) .

(١) سنعرض لهذا الرأى لدى دراستي لشعر الشاعر .

(٢) AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF : 64 .

ibid : 66 .

(٣)

ان اسلوب فوزى في هذه المسرحية سهل لم يقلد فيه الاخرين ، ولكنه لا يطور اسلوبه مع حالات شخصياته المتعددة الا على ندرة ، كما في بعض مواقف علي اغنى شخصياته (١) . وكثيرا ما يغلب الاستطراد على مواقف اخرى فيعيق نمو حركة الاحداث وتطورها (٢) .

كذلك في بعض المشاهد تثبت اشخاص كالسحر دون سابق اعداد كما في الفصل الخامس والمشهد الثالث ، ان يظهر علي وحده من حيث لا ندري وكأنهما كانا على موعد مع ابن حامد . اما كيف عرفنا بوجوده مع انه جاء متكررا الى جنة العريف ؟ اننا لا ندري . ويقع المؤلف في هذا المشهد بالذات بخطأ نفسي فادح . ففي لحظة نجد " حامد " يسيطر على الموقف ويوجه خط تفكير سيده وكأنه هو المتولي شؤون هذه المكيدة ، وبعد ان يكون علي هو صاحب الامر والنهي نراه ينقاد مستسلما لارادة حامد مع ان الصورة التي تظل مرتسمة في اذهاننا عن علي انه الذي يمسك بخيوط المؤامرة بين يديه حتى المشهد الاخير :

حامد - " نتهمة بما رأينا .

علي - وما رأينا ؟ ولم يكن بينهما ما يريب .

حامد - ولكنك على خطأ يا سيدي ، ولم ترى جيدا ولم تسمع ما قيل ، فأنا رأيته يضمها الى صدره وتضعه الى صدرها ، كما رأيته يعطيها خنجره لتقتل به السلطان .

علي - كيف لم ار ما رأيت ولم اسمع ما سمعت ؟

حامد - يجب ان تقول انك رأيت ذلك . اذن كيف تثبت عليهما الجريمة ؟

علي - احسنت كل الاحسان " .

فكيف تدوب شخصية الرأس المدير للمؤامرة امام ارادة تابعه ، بل ان هذا الموقف يكشف الى حد ما عن شيء من الطيبة في نفس علي تقرب من الغباء ، وتناقض مع نار الانتقام المستعرة في اعماقه ولا سيما حين يقول : " وما رأينا ؟ ولم يكن بينهما ما يريب " . وكان الموقف يحتم على علي ان يستغل جريمة العصيان التي ارتكبها ابن حامد حين دخل الى القصر متنكرا مخالفا امر ابي عبد الله في الارتحال الى افريقيا ، بل كان احرى به ان يختلق وشاية ينتقم بها من ابن حامد انسجاما مع موقفه لا ان يقف موقف الغبي الذي سلم قياد امره الى تابعه .

(١) ابن حامد : ٢٩ .

(٢) المصدر السابق : الفصل الاول - المشهد ٢ ، ٣ . والفصل الثالث - مقدمة المشهد الثالث ومقدمة المشهد الرابع .

وفي هذا الفصل ير تكب فوزى خطأ آخر ، ويظهر لنا ان ابا عبد الله لم يكن عالما

بمكر علي ود هائه ومكائده . يقول ابو عبد الله في حديثه الى علي :

— " احقا ما اسمع ؟ تبا لك من مكر ما دفعك الى هذه

الجرائم كلها " (١) .

وجه الخطأ ان فوزى في اكثر من موضع (٢) يقدم لنا برهانا قاطعا على معرفة ابي

عبد الله بخبيثة نفس علي الخبيثة ، ومع ذلك كله يتغافل في هذا الموقف عن هذه الحقيقة ،

بحيث يبدو لنا ان فوزى قد وقع في التناقض لجهل لم يتناغم مع طبيعة شخصية المسرحية . وهذه

الدهشة التي استولت على ابي عبد الله حين اكتشف مكائد علي تكاد تكون مصطنعة ، وكأنما

اراد فوزى ان يؤكد على الناحية الطبية في ابي عبد الله فأخطأ السبيل ووقع في التناقض .

اما موت ابن حامد فيقع بصورة مفاجئة وغير طبيعية ان يعهد بأمر قتله الى حمد (٣)

نزولا عند ارادة السلطان ، مع اننا لا نعرش على اية صلة سابقة قائمة ما بين السلطان وحمد فسي

كل الفصول الاولى . فكيف نبنت هذه الثقة ، ومتى تطورت ، ومتى تم هذا اللقاء في غير هذا

الفصل ؟ ولماذا لم يعهد امر قتل ابن حامد الى احد حراس القصر ؟ لو كان حمد واحدا من

المقربين الى السلطان او ممن كانوا على صلة وثيقة به لوجدنا لهذه الثقة تفسيراً او حلاً . ولكن

الواقع ان ظهور حمد على المسرح على هذه الصورة المفاجئة امر يدعو الى التساؤل ان اننا لا

نعرف حمد غير تابع لعلي دون ان تكون له اية صبغة رسمية في الدولة .

وفي المشهد الثامن بعد ان افادت دريد من اغماشها تأخذ في الندب ، وتقطف

زهرة وترميها على الجثة تماما كما كانت تفعل اوفيليا بعد ان جنت (٤) . غير ان موقف الندب هذا

يكاد ان يكون حشوا ان مظاهر جنونها تتفاعل مع الاحداث في المشهد التاسع بصورة موفقة .

ووجود هذا المشهد لا يضفي شيئا جديدا على الموقف . وكان في وسع فوزى ان يكون في غنى

عنه دون ان يؤثر ذلك في بناء المسرحية وتطور احداثها .

ونحن في هذا الفصل ايضا بالروح الشكسبيرية في الموت . فابن حامد يموت ، وعلي

يموت ودريد تموت ولا يبقى من ابطال المسرحية الرئيسيين الا ابو عبد الله ، وحيدا نادما ، قانطا ،

(١) ابن حامد : ١١٠ .

(٢) المصدر السابق : ٣٧ ، ٣٩ ، ٧٤ .

(٣) المصدر السابق : ١٠٥ .

(٤) HAMLET : IV, V : 133, 139-141 .

ليواجه مصيره الرهيب على يد الاسبان ، فمعظم الابطال يهلكون لان في هلاكهم حلا
للمشكلة يتفق مع الملح التاريخي لسقوط غرناطة .

ثم من الامور التي تجدر ملاحظتها في هذه المسرحية هو المزج ما بين الشعر والنثر
دون ان يخل ببناء المسرحية . وكان اكثر استخدام فوزي للشعر في المواقف العاطفية او في
المشاهد الملحمية . وكانت ابيات الشعر " ترد اجمالا بطواعية ومهارة في هذه المواقف " (١) .
وهذه الطريقة كانت متبعة في معظم المسرحيات العربية في تلك الفترة .

ومن الملاحظ ان السرد النثري في معظمه كان يقتصر على الاحداث والحوار ، اما الشعر
فكان تعبيرا عن الغنائية المتنامية في المشاهد العاطفية والملحمية ، وهي غنائية متفرعة من وجدان
الشاعر وتعبير عن اشواقه ومشاعره التي كانت ملامحها تطل بين الفينة والفينة من خلال شعره .
واخيرا لا شك ان فوزي صب عنايته على الناحية التاريخية وهو بذلك يختلف عن فلوريان
الذي شدد على قصة حب حدثت في ظروف غريبة عنه وضمن اطار لم يتفعل به ، بينما فوزي اهتم
بحياة شخصيات مسرحيته ، كما نالت المكائد السياسية من اهتمامه كعربي وقوي . فكانت الخوارج
الوطنية التي تجلت في شخصية ابن حامد هي ذات الخوارج التي كانت تمور في صدره والرؤى الحاملة
التي كان يتطلع اليها ، الى مجتمع مثالي والى ابناء وطن يتجسد فيهم ابن حامد . اما العنصر
العاطفي فهو صورة حية لفهم فوزي للحب حينذاك ، حب الرومنطيقية المثالي .
لقد حاول فوزي ان يوفر لمسرحيته كل العناصر المكونة لمقوماتها من حيث الشخصيات
المسرحية والدوافع الخفية الحافزة على كل حركة تأخذ شكلا على خشبة المسرح . وهي حوافز متنوعة
ضمن اطار قني : من حب ووطنية وحقد ورغبة جارفة وموت ووفاء . وبذلك . فشخصيات مسرحيته تجسد
شكلا من اشكال هذه العواطف المتضاربة والنزعات المتباينة (٢) .

* * *

AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF : 67 .

(١)

(٢) اخذت مسرحية ابن حامد شكلها الاخير هذا بعد ان اصلحها فوزي قبل وفاته وهذبها واعدها
المنتدى الزحلي في سان باولو لتمثيلها ، فوقفت لمصابه . وترجمها الى الاسبانية الشاعر
الاسباني فيلاسباسا نزيل البرازيل . . . (انظر تنوير الانهان لابراهيم الاسود - المجلسد
الثالث : ٤٥٥) .

الفصل الثاني

شعر فوزي المعلقوف

الفصل الثالث

شعر فوزى المعلوف

- تعتمد هذه الدراسة في شعر فوزى المعلوف على ثلاثة مصادر رئيسية هي :
- اولا - ديوان فوزى المعلوف الذى اشرف على جمعه ونشره شقيق الشاعر رياض المعلوف .
 - ثانيا - ملحمة على بساط الريح ، طبعة ريودى جانيرو .
 - ثالثا - مجموعة من القصائد لم ترد في الديوان وانما تم جمعها من عدد من الصحف والمجلات والمراجع . وقد بوبتها في ملحق هذه الدراسة مراعى ترتيبها التاريخي قدر المستطاع .
- واود قبل ان اشروع بتحليل انتاج فوزى الشعرى ودراسته ان اعرض بشكل موضوعي لديوانه وملحمته استيفاء للبحث .
- ديوان فوزى :

- صدر هذا الديوان عن دار ربحاني للطباعة والنشر عام ١٩٥٧
- باشراف شقيق الشاعر رياض المعلوف . وهو من الحجم الصغير يضم بين دفتيه مئة واربعين صفحة وتشتمل على اربعين قصيدة مبوبة في اجزاء دون اعتماد اى تسلسل تاريخي :
- الجزء الاول : وهو يضم بعض قصائد الوطنية وشعر المناسبات من صفحة ٩ - ٥٨ .
- الجزء الثاني : تأوهات الريح ، وفيه مجموعة من القصائد الوجدانية المفعمة بالعواطف والذكريات والحنين . من صفحة ٥٩ - ٨٣ .
- الجزء الثالث : اغاني الاندلس ، وهو مجموعة من القصائد الوجدانية المتغنية بالذكريات والحنين والاشواق اتبع الشاعر في معظمها نمط الموشحات الاندلسية ، ومن بينها قصيدة غرناطة المترجمة عن قصيدة اواه غرناطة لفيلاسباسا . من صفحة ٨٤ - ١١٨ .
- الجزء الرابع : شعلة العذاب ، وهي قصيدة طويلة لم يتمها فوزى المعلوف اذ وافاه الاجل قبل انجازها ، وهي تتضمن سبعة مقاطع جعل لكل منها عنوانا واعتمد فيها السياق التالي :
- ١ - لغز الوجود .
 - ٢ - في هيكل الذكرى .

- ٦ - الروسية وترجمها المستشرق الروسي كراتشكوفسكي .
- ٧ - الرومانية وترجمها الاستاذ اميل مرقدة نزيل بخارست .
- ٨ - الفرنسية وترجمها الاستاذ اسعد محفل قنصل سوريا في القاهرة حينذاك .
- ٩ - الفرنسية وترجمتها السيدة افلين بسترر سنة ١٩٣٨ .
- ١٠ - الفرنسية وترجمها الدكتور فايز عون وطبعها في باريس سنة ١٩٣٩ .
- ١١ - الفرنسية وترجمها السيد فوزى السعيد - بيروت *

وذكرت مجلة الهلال المصرية في الصفحة ٥٩٧ المجلد ٤٦ عام ١٩٣٨ ما نصه :

" نشرت مجلة المانيا التي تصدر في باريس خبرا مفاده ان احد الناشرين ببرلين

طبع مجموعة اشعار الشاعر المشهور فوزى المعلوف . ونقل هذه المجموعة الى اللغة الالمانية بدقة تامة ، وستظهر في مستهل العام الجديد " .

مضمون ملحمة على بساط الريح :

ارتقى فوزى المعلوف ذات يوم مع فريق من اصدقائه متن

طائرة فوق شواطئ كواروجا فراقته المناظر الفتانة التي اثارت في اعماقه كوامن اشجان . فلما

عاد الى الارض استوحى من رحلته القصيرة هذه ملحمة على بساط الريح (١) . ولعله رجع

بالذاكرة الى كارثة الطيارين التركيين القديمة (٢) ، فاستمد من آثار الامس البعيد صورا مفعمة

بالكآبة ولونها بمشاهد الحاضر والرؤى الجديدة التي تألفت في وجدانه . تتألف هذه الملحمة

من اربعة عشر نشيدا يقع كل منها في ستة عشر بيتا ما عدا الثلاثة الاخيرة التي لم يتسن لـ

انجازها فتألفت من اربعة عشر بيتا (٣) .

ولقد اختار فوزى البحر الخفيف ، لم يغير فيه طول القصيدة ولكنه غير القوافي

وفق تغير الاناشيد ملتزما في البيت الاول من كل انشودة " نوعا من الموسيقى يهب له ظرفا

وجمالا موسيقيا خاصا فيضيف ، او قل يقم ، بين شطري هذا البيت مقطعين من مقاطع البحر

الخفيف هما فاعلات مستعلن ، ثم يضيف هذين المقطعين بعد هذا الشطر الثاني فيتمان المعنى

(١) ذكرى فوزى المعلوف : ٥٨ .

(٢) انظر صفحة ٤٠ .

(٣) على بساط الريح : ١٢٧ . وجاء في ذلك ما نصه : " حين دفع الشاعر كتابه للطبعة

الجديدة اضاف الى كل من الاناشيد السابقة بيتين ، وحالت وفاته دون متابعة الزيادة

في كل من الاناشيد الثلاثة الاخيرة " .

* لقد تعذر عليّ الحصول على تواريخ بعض الترجمات تعذراتا لعدم توفر اى مصدر عني بها .

ويضعان موسيقى الانشودة اجمل وضع " (١) . ويمكن تقسيم مضمون هذه الملحمة الى اربعة اقسام رئيسية هي (٢) :

١ - المقدمة :

وتشتمل على الاناشيد الثلاثة الاولى :

- أ - النشيد الاول : يصف فيه فوزى مملكة الشاعر وهو الفضاء الارحب حيث موطنه الذى يخلق اليه بروحه لا بجسمه على متن اجنحة الشعر والخيال .
 - ب - النشيد الثاني : روح الشاعر - يصف فيه نفس الشاعر التي هي من نور وضياء وهي ليست من عالم التراب قط وان كانت قد تجسدت فيه وهي حرة في هذا الموطن الذى يخلق الشاعر فيه .
 - ج - النشيد الثالث : العبد - يصف لنا الجسم الذى يجعل من الانسان عبدا ، ويعدد انواع العبودية وهي عبودية الحياة والموت ، وعبودية الشرائع ، وعبودية التمدن ، وعبودية الصيت ، وعبودية الحب ، وعبودية المال ، ويتوق الى الانعتاق منها . وهكذا في هذه الاناشيد الثلاث الاولى يطرح الشاعر قضية .
- ٢ - حسن التخلص : يحاول الشاعر ان يلتمس سبيلا الى حل هذه القضية فكانت الرحلة :
- النشيد الرابع : حلم حقيقة - وفيه يرتقي الشاعر بجسمه حيث روحه فيصف لنا تحليقه في طبقات الجو على متن طائرة تنفجر النيران الملتهبة في جوفها .
- ٣ - الهيكمل : وفيه قسمان :
- القسم الاول :
- أ - اقتحامه مأوى الطيور :
 - ١ - النشيد الخامس : بين الطيور - يصف لنا عجب الطيور من هذا الطارىء الغريب على موطنها ، وتظن انه جاء ليستعمر ارضها فيطمئنها .
 - ٢ - النشيد السادس : رمز الالم - وفيه يتحدث عن المم وبأسه مع انه

(١) حسين ، طه - حديث الاربعاء ، ج ٣ : ١٤١ . دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٢ .
 (٢) اعتمدت في هذا التقسيم ما قام به الاب جبرائيل ابي سعدى من تقسيم لهذه الملحمة في كتابه " فوزى المفلوف " : ٤٩ - ٥٠ . " رُمدت تحت هذه لئلا " واقتبس عنه : تشرق

لا يزال في ميعة الصبا .

ب - ارتقاؤه الى النجوم :

١ - النشيد السابع : قرب النجوم - وفيه يرتقي الى النجوم ويصغي الى همسها وتساؤلها عن هذا القادم بنيرانه وجعجعته فيتعجب الشاعر من نسيانها لنجوى مشاعره القديمة .

٢ - النشيد الثامن : اوراق متناثرة - وفيه يشبه امانيه باوراق متناثرة بددتها الحدثان لانه عاش يبني امانيه على الرمال .

ج - التطواف بين الارواح :

١ - النشيد التاسع : في عالم الارواح - وفيه تدرج من قضاء النجوم الى عالم الارواح فيسمع وشوشة الارواح المتسائلة وقد تألبن حول جسمه يتداولن في امره .

٢ - النشيد العاشر : حفنة تراب - الانسان حفنة تراب واصله من تراب واليه يعود هو ان الانسان طاهر بطبعه ولكن المجتمع افسده .

٣ - النشيد الحادي عشر : رقي كاذب - رقي الانسان رقي كاذب ، وانه كثير الشر اتخذ من العلم سلاحا للهدم فأخذ ينعى عليه ذكاه وعبقريته .

القسم الثاني :

وفيه يلجح الشاعر الى قبس من التعزية اومض في فؤاده حين بادرت روحه اليه ترفع عنه تهمة الظلم وتغمره بفيض من حنانها .

١ - النشيد الثاني عشر : كفارة الشاعر - تتجلى روحه مفعمة بحنان القلب العطوف جاءت لتنقذه من غضب الارواح وقنوطه اذ انه لم يكن من عالم الارض باختياره .

ب - النشيد الثالث عشر : على بساط الريح - وفيه يتمتع الشاعر بلذة

اللقاء مع روحه التي طال بحثه عنها ، فيمخران ساعة من الزمن في بحران اللذة والطرب .

٤ - الختام :

- النشيد الرابع عشر : على الارض - وفيه يتحدث الشاعر عن عودته الى الارض الى عالم الواقع حيث ينوء جسمه بثقل الالام ، فيلجأ الى يراعه يبيت

لواعج قلبه ويبوح اليه باحزانه ، ويطلب اليه ان يروي عنه ما كان حقا وصدقا (١) .
 ويشير فايزعون الى مشروع ملحمة خاليج فوزى المعلوف بعنوان "الفردوس" ، كان
 قد بدأ ترتيب صورها وتحليل موضوعاتها على ان يشرع في نظمها بعد انجاز "على بساط الريح" .
 وجاءت على الترتيب التالي (٢) :

- ١ - جنة عدن .
- ٢ - الانسان .
- ٣ - الوحدة .
- ٤ -
- ٥ - المرأة .
- ٦ - الحبيب .
- ٧ - الغيرة .
- ٨ -
- ٩ -
- ١٠ - الفردوس المفقود .
- ١١ - الحياة (هناك عبارة غير واضحة) .
- ١٢ - استعادة الفردوس .
- ١٣ - الحمد .
- ١٤ - الجريمة .
- ١٥ - الضمير .
- ١٦ - الخاتمة .

(١) ظهرت ملحمة بساط الريح بطبعة ثانية انيقة جدا في ريودى جانيرو عام ١٩٢٩ ، مزينة برموز
 القصائد للمصور الروسي الي ايجنا توفتش ، اما رموز العناوين فهي للرسم البرازيلي سيت ،
 ممهورة بمقدمة عن فوزى المعلوف ونظرة في الشعر العربي وشعر فوزى بخاصة بقلم الشاعر
 الاسباني فرنسيسكو فيلا سباسا .

AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF : 115 .

(٢)

وانظر ايضا ذكرى فوزى المعلوف : ٢٢ .

ولعل تخطيطه لهذه الملحمة جاء استمرارا لقصته على ضفاف الكوثر التي انف

ذكرها نظرا لما بين الموضوعين من تشابه في الفكرة على الأقل .

اما القصائد التي اعتمدتها والتي لم يرد ذكرها في الديوان فقد جمعتها فسي

الملحق حيث حاولت تبويبها وفقا للترتيب التاريخي ما اسعفت المعطيات عليه . اما القصائد

التي لم اتمكن من معرفة تواريخها فقد توزعت بين قصائد الملحق على غير ترتيب محتم .

الدراسة التحليلية لشعر فوزى المعلوم

لا بد للدارس من ان يتبين الموضوعات العامة التي حظيت باهتمام فوزى وشغلت

الجزء الاكبر من ديوانه وشعره . فوزى كغيره من الشعراء الرومانسيين انصبت عنايته على

الموضوعات التي اصبحت قدرا مشتركا بينهم : كالمرأة والحب والطبيعة والحنين والالم والموت

والانعقاد والخلود وقد جعل الانسان كما فعل غيره محور الوجود ، وخلق على الطبيعة

مظاهر انسانية حية . بيد ان هذا الشعر لم يكن مثقلا بالفكر الفلسفي ، فأذا ما عرض اليه

فليحما والتفاتا وتأملا خاطفا . ولجأ الى الشعور يغترف منه ، يبحث عن القوى الكامنة فسي

النمو البشري وفي تلوين الحياة بصور مختلفة تبعا لمزاج الفرد ، وحالته الشعورية ، والمفاهيم

الانسانية التي تكونت عبر الشعور . لذلك نراه مشغولا بالموضوعات العاطفية او ما هو مثار

للحياة الشعورية ، فكانت العاطفة هي الغالبة في معظم شعره على اثر العقل ، واكتسحت في

طريقها كل ما يحاول العقل ان ينصبه من حواجز ، كل ذلك صبه فوزى في قالب غنائي وجداني

هادئ .

اما موضوعات شعر فوزى فهي :

١ - المرأة .

٢ - الحب .

٣ - الطبيعة .

٤ - الحنين والوطن .

٥ - الشعر التأملية .

أ - الالم ومصادره .

ب - الموت طريق الانعقاد .

ج - الخلود .

اولا - المرأة :

لم يتفرد فوزى المعلوف في الحديث عن المرأة والدعوة للقضاء على التقاليد البالية التي حطت من قيمتها ان هذا الاتجاه اصبح مشاعا في العالم العربي بين شعراء العصر وادبائه وبالاخص المجددين منهم . * وشغل امرها بعضا لصحف حتى ان مجلة المرأة الجديدة اعلنت عن جائزة قيمة لمن ينظم قصيدة الام ، فكان الحظ حليف فوزى لقصيدته " الفردوس المستعاد " ان فاز بالجائزة الثانية . كان فوزى يقدس المرأة ويرسم لها في مخيلته ابهى الصور . ومفهوم فوزى للمرأة مفهوم مثالي مبني على اساس يستمد ها من طبيعة الحياة اليومية ومن مظاهر المجتمع . ويعبر الشاعر عن نظره الى المرأة المثالية والاسباب التي تدعو لتمجيد ها والتغني بفضائلها ومزاياها في قصيدته عظمة المرأة . يقول :

منك امي ومنك اختي وحسبنا فؤادى بحبها مستهام (١)

ولكن ان يتحدث عن المرأة لا يتحدث عن جمال جسدى يزينها او فتنة تاخذ بالعقول ، انما هو يبي فيها النفس :

لا احبي القوام فيك رشيقا
حومت حول غصنه الاحلام
.....

بل احبي حسنا احب واسمى
يخضع الفكر عنده والهيام
هو حسن في النفس يخلد ان
يدأوى جبين ويستحيل قوام
هو عزم ودرية وشعور
وحنو وعفة وغرام (٢)

والمرأة المثالية هي المرأة التي تتحلى بمزايا العفة والطهارة ، بل يجب ان تتحلى بهذه السجايا الطيبة لانها حصن الهنا يرتاح فيه الشيخ والكهل والفتى والغلام ، وان نبوغ البنين العظام ، وغرس بذور الكرامة في النفوس والتعالي بفعل همة شماء هي من ثمار النساء العظيمات الكريمات القائمات على تنشئة الاجيال . وان فسدت المرأة فأن المجتمع يفسد ايضا (٣) :

(١) الملحق : ٩ .

(٢) المصدر السابق : ٩ .

(٣) المصدر السابق : ١٠ .

* للتوسع عن موقف الشعراء والادباء من المرأة انظر كتاب الاتجاهات الادبية لانيس المقدسي :

واذا لم يكن بها كرم النفس
فهل يرتجى الرجال الكرام
واذا لم تكن مزيتها الهمة
توحي بها فأين الهمام
لا يكون البنفسج الغض من شوك
ولا ينبت الوشيق ~~الخيـ~~زام
ولكن كيف يمكن للمرأة ان تصل الى هذه المرتبة من العظمة والرقى بحيث تضحى
مصدر هذا التقدم ، تخلق الهمة في النفوس وتسمو بالجبل الصاعد نحو العلا ؟ نجد الجواب
واضحا عند فوزى فهو يطالب بتعليم المرأة وتنقيفها واکرامها . يقول :

اطلقوها من القيود ترفرف
فيرفرف على الحياة السلام
اکرموها وقد سوا النفس فيها
فجد ير بمثلها الاكـرام
علموها العلم الصحيح فتبدى
لكم ما جهلتم الايام (١)
اذا فالدعوة الى تعليم المرأة وتنقيفها والمطالبة باحترام ارادتها واکرامها من
عوامل تحرر المرأة وانتصارها على الاوضاع البالية التي هضمت ابسط حقوقها ، وحرمتها من
التمتع بمباهج العلم والحياة الجديدة المطلة على افق العالم العربي .
غير ان فوزى يظل حذرا في اطلاق الحرية للمرأة اذ انه يؤمن بأن للمرأة وظيفة
هامة هي وظيفة الامومة وتربية الناشئة ، وعليها ان تكفي بذلك لان هذه الوظيفة هي عمل جبار
بحد ذاته . يقول :

كل هذا ولا نريدك تعني
بك نحو المناصب الاقدام (٢)
ويقول ايضا ،
ان نحب النساء مرتقيات
لا نحب النساء مسترجلات
فاضلات يسدى لها الاعظام
يخلف اللين عندها الاقدام (٣)
وهنا يجمع فوزى بين وظيفة المرأة كأم وبين انوثتها التي هي مظهر من مظاهر
كونها " امرأة " . فالمرأة هي المرأة والرجل هو الرجل دون ان يغض من قيمة المرأة او
ان ينظر اليها نظرة ازدراء ، انما يرى ان المرأة تحقق ذاتها بتحقيقها واجباتها والاعتناء
بانوثتها ، فالمرأة المسترجلة تعد على الانوثة ومثار لاستنكار الرجل .

(١) الملحق : ١٠ .

(٢) المصدر السابق : ١٠ .

(٣) المصدر السابق : ١٠ .

فهل يكون سقوط المرأة لانها تهمل وظيفتها ؟

وهل خوضها معركة الحياة في ميادين الرجال افضى بها الى خسران مكانتها ، لهذا يلج على المرأة ان تظل معتزة بوظيفتها دون التطلع الى حقل هو غير حقلها ؟ وهل اتخذ فوزى هذا الموقف من المرأة بعد ان شهد سلوك المرأة الغربية فاشمازت نفسه ، وخاف على المرأة الشرقية ان ينتقل اليها عدوى الشر القادم من الغرب ؟ اننا لا ندري ، ولكن ما هو واضح ان فوزى يؤمن بأن المرأة لها كل الحق بالحياة والعلم والاكرام ضمن حدود وظيفتها وانوثتها .

وفي قصيدة " الفردوس المستعاد " يسمح عن المرأة لوثة خطيئتها ، فهي قد تطهرت بالالم واصبحت اما ، وفي الامومة تبرز كل معاني الجمال والروعة والبهاء . فالامومة عملية خلق وابداع . يقول على لسان آدم :

طبيّ قلبي	فيك تنموروحي وانت مقيمة
لا وررسي	ما فقدنا فردوسنا ونعيمه
عنه تنبي	هوحيّ فينا وهاك رسومه
وهسي حسبي (١)	هو فيّ في الهوى وفيك الامومه

والامومة في المرأة هي مثال وخلود ، بل هي سعي نحو تحقيق الذات ، ليس بالنسبة للمرأة فقط ، بل للرجل ايضا :

هي ترمي	يا لها من امومة للخلود
طبيّ جسدي	ان فيها سر البقاء والوجود
في الورى اسمي	وبها شاء ربنا ان تعميدى
انت امي (٢)	ايه ، طويك عند قول الوليد :

ولعل اروع ما في هذا المقطع هو كلمة طويك ١٠٠٠٠ اذ تجمعت فيها كل البركة والتقدير والنعمة وهي ذات معنى ديني يوحى بالقداسة ، وكأنما الامومة دين طبيعي . ومن هنا كانت نعمة فوزى على المرأة العاجنة ، على "بائعة الهوى " التي لم تقدر على هيكلة جسدها بل دنسته وبالتالي دنست نفسها ايضا التي لم تخلق الا لتكون مصدر خير ، ومنبعاً من منابع الفضيلة .

(١) الملحق : ١٥ .

(٢) المصدر السابق : ١٥ .

فحين تعباً امام تصلبه تنتابها الحيرة وتقول له :

قالت : ولكني فتانة

تؤخذ من سحر جمالي العقول

يجيبها الشاعر باصرار :

فقلت : حسن الجسم فان وما

من دولة للحسن الا تدول

غير جمال النفس بين السورى

فهو جمال خالد لا يسزل (١)

ونرى هذا المعنى ذاته يتكرر في قصيدة " طاقة الزهر " (٢)

وفوزى لا يجور في حكمه على المرأة الساقطة الا بعد ان يتقصى حوافر سقوطها

والدوافع الكامنة وراء هذا المصير ، فقد رأى الحرب وقد جعلت حياة الناس في مهب الريح ، فتذل

النفوس ، وتعبث بالكرامات ، وتسترخس الاعراض . وهي ظروف فرضت وجودها على الانسان فيتولاها

الاسى ويحاول ان يجد للمرأة الساقطة عذرا . يقول :

كم فتاة كان الحياء حلاها

قبل ان راودته كف الشقاء

تبذل العرض وهو جوهرة النفس

رخيصا حتى بجرة ماء

وتنادى في ساحة الفحش والفسق

على ما بقي لها من حياء (٣)

وهذه نظرة لا تنم عن ثورة على المرأة بقدر ما تنم عن نقمة على القضاء والقدر .

فالمرأة هنا عصفت بها ريح الحرب ، فهان في ناظرها كل شيء في سبيل الحياة لان شهوة

الحياة أقوى من الموت .

ولا يغفل فوزى عن اتهام الرجل المغتر الظالم حين يتأمل في واقع المرأة الشرقية .

فهو واحد من دعاة التحرر الذين يطالبون بحقوق المرأة ، اذ ان الحيلولة دون تثقيفها وتطلعها

نحو حياة افضل هدر لطاقة حية من طاقات المجتمع . فالرجل هو الذى زعم بأن المرأة ضعيفة

العقل فأنكر نعماتها وعزا اليها كل بلا في الحياة دون ان يرد نهى او ذمام ، واغلق عليها في

سجن التقاليد ، ثم طلب اليها ان تكون بلبلًا مغردًا وهي في اثقل القيود تضام (٤) . ثم يقول :

ليت شعري ، وهكذا هم ارادوا

ان تكوني فهل عليك سلام ؟ (٥)

(١) ديوان فوزى المعلوف : ٦٣ .

(٢) المصدر السابق : ١١٨ - ١١٩ .

(٣) الملحق : ٢ .

(٤) الملحق : ١٠ .

(٥) الملحق : ١٠ .

والامة التي تسم المرأة ذل العبودية لا يرجى منها نفع :

افيرجى النجاح للشعب والمرأة فيه ذل العبيد تسام (١)

فمن الملاحظ اذا ان فوزى المعلوف في مفهومه للمرأة يحاول ان يكشف عن دورها الفعال في المجتمع كما يحاول ان يضيء جوانب العظمة فيها ويؤمن ان طفيان الرجل هو مصدر شقاء المرأة ، والعامل الاول على تأخرها والحد من اثرها في تطور الحياة والمجتمع . والمرأة ، وهي الام والاخت والزوجة والحبوبة مصدر خير لا مصدر شر ، وما انحرافها الا حدث عارض ، لان المرأة في جوهرها مثال .

ثم ان المرأة بسقوطها اخرجت آدم من الجنة ، ولكن الجوهر الذي فيها اضفى على حياة آدم سعادة الفردوس المستعاد . والحديث عن المرأة في شعر فوزى لا يقتصر على هذه المفاهيم فحسب بل يتعداها الى المرأة من حيث هي منار للحب ، وتمثال مقدس منحوت ، والله يعبد وروح تسمو بالمشاعر وتقدسها بالالم . لهذا رأيت ان استوفي حديثي عن المرأة فيما انا اتحدث عن الحب في مفهوم فوزى .

ثالثاً - الحب في شعر فوزى المعلوف :

الحديث عن المرأة يفضي بنا الى الحديث عن الحب . وموضوعات الحب في شعر فوزى هي الصفة الغالبة على القسم الاكبر من ديوانه ، ولعل ذلك يرجع الى طبيعة الحياة التي كان يحياها والى الظروف التي اكتنفته ، ولا سيما انه مات وهو في مقتبل العمر حيث تكون سورة العواطف على اشد حدتها ، ويتجلى لعينيهِ الوجود من خلال العواطف والمشاعر . وفوزى ذو المزاج الحساس المتعبد للجمال ، يجد في الحب مرتعا خصبا يلون شعره ويضفي عليه روحاً وحياة . وقد استهواه الجمال فلم يقتصر منه على لون واحد ، فاهتز له حيثما وقعت عيناه عليه ، سواء في الفن ، والطبيعة ، والمرأة . ففي قصيدة بعلمك يقف خاشعاً امام روعة الانوار وجمالها ، ويقول :

وكلي عيون معجبات شواخص
منعن على قلبي التنفس في صدري (٢)

بل ان هذا الجمال يخلق مناخاً مفعماً بالخشوع والرهبة ،

خشوعاً كأني ساجد ضمن هيكل
صموتا كأني مستقل على قبر (٣)

(١) اللحق : ١٠ .

(٢) ديوان فوزى المعلوف : ١٦ .

(٣) المصدر السابق : ١٦ .

فهو تواق الى الجميل ، صاب اليه ، بكل نوازمه ، يغنيه برح طاهرة مثالية
ويقدسه . والحقيقة ان ارحب مجالات الشعر الرومنطقي هو شعر الحب " وكان طابعه العام
الحزن والشكوى من عدم وفا الحبيب ، ولما كان يعنى الرومانتيكي بلذائذ الحب الحسية وانما
كان حبه عاطفيا حالما يمتاز بأنه يضيق بالعقبات التي تعترض طريقه ويشور عليها ولو كان مصدرها
القوانين او نظم المجتمع^(١) . وقد بالغ بعضهم في رفع المحبوبة حتى بلغ تقدسهم لها حدا
وكانها ليست من جيلة البشر .

طبيعة الحب في شعره :

وهذه المظاهر لم يخل منها شعر فوزى ، انما تناولها في معان وصور مختلفة مفعمة
بالسوق والعفة والتكتم والتعبد ، وما يشبه الحب العذرى . فمن قصائده التي ترسم لنا هذا
اللون الخاشع الواله من الحب قصيدته " الحب الصامت " . يقول :

تبوح لها بالحب عينايا انما	لساني يستحي فلا يتكلم
وارقب عينيها عسى بهما ارى	شرارة حب ، صح ما اتوهم
ففي عينيها ما في عيوني من اللظى	وذاك دليل الحب ان كتم الفم
ولكن لماذا لا تبوح ولم ابوح	وقد علمت ما بي كما انا اعلم ^(٢) ؟
وفي ترقب فاجع ، وحيرة قلقه يرف في	اذاننا الجواب الغريب المدهش :
خليلي ذاك الصمت من ادب الهوى	ومن ادب العشاق ذاك التكتم

ان لظى الحب يشتعل ، والاشواق تضطرم ، ولكن ادب الهوى ، بل قل العفة ،
تدعو الى التكتم . واني لارى في هذا الموقف معننى اعماق واكتر ايجا ، فلعل في هذا اللظى
استثارة لكوا من الحب ، وفي تحقيقه قتل له . ففي التكتم احيى دفين يتأكل في القلب ويذيق
الحبيب لذة الالم . وتظل نار الحب مشتعلة ، ولكن عنصر العفة ما برح يخالط هذا الحب
ويلقي عليه نقابا من البراءة والقداسة .

وفي قصيدة على " منارة بيروت " ^(٣) بعد ان يصف لنا الشاعر اصطخاب الموج
وصفا يشبه وصف لامرتين في قصيدة البحيرة ، نخطو مع الشاعر الى هياكل المساء حيث يخيم
السكون المتعبد فيهمس في اذن الحبيبة ان تحترم المساء :

(١) هلال ، محمد غنيمي - الرومانتيكية : ١٥٣ - ١٥٤ .

(٢) ديوان فوزى المعلوف : ٦٤ .

(٣) المصدر السابق : ٦٦ .

صمته ، ان صمته ابدى

هورب السكون فاحترمسي

صعدت زفرة ولم تـــــــزد

افلم تشعرى بنســــمته

لبست منه اروع البــــرد ؟ (١)

اولم تبصرى جوانحنا

وكأنما الشاعر في هذا المقطع يرسم لنا " الديكور " ويعد لنا المناخ الروحي الذى

تطوف فيه نفسان عاشقتان تشبهان في قداستهما قداسة الليل وخشوعه . وبذلك يولد انسجاما

بل وحدة عميقة بين القلبين الوالهين وبين المساء . فالمساء صامت وصمته ابدى وكذلك حبهما :

فوق فحم العيون متقــــد

كتمت ما نكن من ولــــه

ووجعنا لم نبد او نــــعد

فحبسناه في اضالــــعنا

ولسان لديه منعقــــد

بشفاء عليه مطبقــــة

جملة ، لم اجد ولم تجــــد

فأذا ما طلبت او طلبــــت

وضعته الشفاء في رصــــد ؟ (٢)

نطق القلب بالهوى فلمــــا

ما اشبه هذا التساؤل بالتساؤل الذى ختم به قصيدة الحب الصامت . ولكنه ههنا

لا يورد جوابا وانما يترك الحب في صمته ، في غموض ، ينمو في وجدانين غارقين ، غير اننا نستطيع

ان نعر على تفسير لهذا الموقف يؤكد ما ذكرناه سابقا ، في المقطع الاخير من هذه القصيدة :

سنحت مرة ولم تعــــد

يا لها من فرــــصة مضيعة

شئت طوقت جيدها بيدي

كنت فيها قرب السعادة ، لو

امها ظامئا ولم يــــرد . . . (٣)

كنت كالطير عند ساقية

ونلاحظ في هذا المقطع ثلاثة امور : اولا انه اعتبر هذا الموقف الذى لم ينتهزه

فرصة مضيعة . وثانيا انه لو شاء لطوّق جيدها بيده ، ولكنه لم يشأ ، وفي هذا تناقض ما

بين الموقف في البيت الاول والموقف في البيت الثاني . وثالثا يشبه نفسه بالطير الظامئ الذى

ورد ساقية ولم يرتو من مائها . اكان يخشى موت هذا الشوق اذا تحقق ام هي العفة حالت

ما بينه وبين عناق جيدها ؟ يلج لي ان الحافزين يتضافران ولا سيما انه اعتبر تطويق الجيد

تحقيقا لرغبة دون ان يتوق الى ما هو ابعد . ويربط الشاعر ربطا وثيقا ما بين قداسة الموقف

(١) ديوان فوزى المعلوف : ٦٧ .

(٢) المصدر السابق : ٦٧ - ٦٨ .

(٣) المصدر السابق : ٦٨ .

وخشوع المساء واحترامه . ولا شك انه لم يرد ان يلوث طهر المساء بلذة حسية وان كان ذلك على تحرق . .

والحقيقة ان الخوف من موت الاشواق لدى تحقيقها والعفة التي كان يبشر بها
مظهران جليان في نتاجه الشعري . يقول فوزى عن حالة الصدود في الحب :
فيا لك حالة غبن غدت مثلها حالتي
احب التي نبذتني ولست احب التي
تموت بحبي (١)

فلماذا تموت بحبه ؟

الانه تحقق ؟ ام انه يسعى لم هو يصعب تحقيقه ويعجز عن ادراكه . ان العنصر
الملحي في هذا الموقف يتلخص في قصة العجز عن التحقيق ، وهذا العجز هو شرارة تمد الاشواق
بحرارة لا تنطفئ او تكاد . وفي العجز عذاب ممتع عند الشاعر الرومنطيقى لانه يحمله الى عالم
خيالي تتراعى له ان احلامه تتحقق فيه ، فيتحرق من وقر الاحزان والالام ، ويغرق في لجة من المتعة
والنشوة . وفي هذا التعلق تلوح شواعره رؤى واحلاما وتشوقا مستثارا ، وقلقا وخنا .

اما العفة التي يقدها فوزى فهي ظاهرة بارزة في قصيدتين احدهما قصيدة "خلوة" (٢)
ويصور لنا فيها الشاعر خلوة غرامية اشتعلت فيها نيران الهوى ، ومال العاشقان الى نهر الهوى
يفترقان منه رشقات الهنا . وفجأة يضج في مسامعنا هذا النغم الغريب بالنسبة لموقف غرامي :
ولم نخشى عما كان لومة لائم فمن حبنا العذرى قام لنا عذر

وكأنما اراد فوزى ان يبدد الظنون التي راودت نفس القارىء ، فعصف بببت واحد بكل
ما تجمع في ذهنه من صور سابقة ومشاهد توحى بسؤال الظن . اما القصيدة الثانية فهي قصيدة
"بائعة الهوى" (٣) وفيها تتجسد فكرة طهارة النفس وسموها ، ويرى الجمال في محاسن النفس
المترفعة عن الملذات ، وهكذا يضحى الحب بالذات مظهرا من مظاهر الاخلاق ، في نزعة المثالية:
فقلت : حسن الجسم فان ، وما من دولة للحسن الا تدول
غير جمال النفس بين السورى فهو جمال خالد لا يزول

(١) ديوان فوزى المعلوف : ١٠٦ .

(٢) المصدر السابق : ٨١ .

(٣) المصدر السابق : ٦١ .

وهذه حقيقة بالنسبة للرومنطيقين خاصة ان انهم ينحتون من خيالهم تمثالا للمحبوبة يرفعونه للعبادة ويربأون به غن ان يخالط الواقع ، وهم ان يفتنوا في اعماق اللا شعور ليستخرجوا منه اوصاف الحبيب المثالي والحب الصادق يحسون بانفراج نفسي من الشعور بالكبت الذي يضطرهم اليه الواقع . وقد رسم فوزى لنا صورة حية عن هذا اللون من الحب في قصيدة " نجوى " (١) :

الـحـب في الحـلم بعد نـوم العـذول	اخبرني اما اناك مـلاك
الـهـدب كم انت فتنـة بالنـحول	هامسا في جفونك المطبقات
قطرات تشع في اكليـل	حاملا في يمينه من دموعي
وقد سال بالدم المـطلـول	رافعا قلبي الجريح ببسـراه
هو فوق الجـبال والتـجمـيل	مكبرا ما حوته من جمال
سكب الشوق فيه كل جمـيل	اصفرار لكنه لون عـاج

ليتني ذلك المـلاك فأدعـك الهـا للعـالم المـجهـول

ان الصورة التي تألقت في خيال فوزى هي صورة المسيح المصلوب ، واحس بذاته انه هو المصلوب ان يتساءل فيما اذا حمل ملاك قطرات دموع تشع في اكليل . وكأننا هـذه الدموع هي قطرات دم تفجرت من رأسه واخذت تندى الاكليل كما حدث مع اكليل المسيح المصنوع من الشوك . والقلب مطعون كجنب المسيح الايسر والملاك يحمل هذا القلب ببسراه وقد سال بالدم المطلول كما سال الدم من جنب المسيح . هذه الصورة هي صورة الاله المصلوب ، فهل كان قلبه الهـا مصلوبا ؟

ويمتضى فوزى ان يكون ملاكا ليدعوها الهـا لعـالم مـجهـول ضبابي يتوق اليه الشاعـر الرومنطيقـي حيث ينفرد بمن يحب متعبدا مبتهلا . وهذا التسامي في الحب هو دعوة دائمة وان كان مصدرها الجسد . ففي قصيدة " الحمام على الشاطئ " (٢) يصف لنا فتاة في ثياب البحر ، حسنا مكشوفة الساقين والنحر :

فتخالها حواء عارية لولا الذي في الوسط من ستر

ولكن هذه المشاهد الجسدية الفاتنة لا تطفئ على الحالة الروحية عنده بل تستحيل المادة الى روى روحية . يقول :

(١) ديوان فوزى المفلوف : ٧٨ .

(٢) المصدر السابق : ٨٢ — ٨٣ .

هو مشهد ما كان أجمله وأحب ذكراه الى فكـرى
اشركت روحك في سقاه فلا تسأل عن الباقي من الامر
فهل هذه الروحانية نتيجة لمفهوم روحي للجمال ؟ وهل رأى في جمال جسد هذه
الحواء فنا سما به الى عوالم روحانية كما يسمو الفن بروج النحات والرسام لدى نحت تمثال او رسم
صورة ؟

الحنين في الحب :

ويلعب الحنين دورا هاما في شعر الحب عند فوزى . وفي الحنين عذاب متمتع
لان مثاره ذكريات الامس ، والروى الفاتنة ، وفيه راحة للنفس وتلذذ هادئ . ففي قصيدة
" يا ليتني " (١) يبدأ فوزى المعلوف بنجوى شوق وطلب فيه لون من التوسل :

اعيد وا على مسمعي ذكرها فاني بذكر اسمها اسكر
فتعرف طعم المنام جفوني ويكفي جفوني ما تسهر
عسى طيفها ان يزور فراشي فأكرم مثواه ما اقسدر
وا حجزه في نطاق الضلوع على عرش قلبي فلا يدبر

وهذا التشوق ولید بحث مستمر عن قلب ضال ، عن ينبوع حيا دافق ظمي ، قلبه اليه ،
وتأقت نفسه الى منهله . فخيال الحبيب ضل عن مضجع الشاعر وطار بقلبه ولم يرجع ، وهو يريد
ان يلتقي بنفسه مرة اخرى وينصت الى نداء قلبه ومعزوفة الحب العذبة :

اضل خيالك عن مضجعي فطار بقلبي ولم يرجع
الم فلم يرولي غلصة وراح فلم يبيت من مطعم
تحملت وقع النوى والصدود لو ان نوادي ياق معي
ولكنه نام في مقلتيك على مضجع بل بالادمع (٢)

وهذه حالة تمزق اوتار قلبه وتسبب له عذابا ، فيصرخ متأوها طالبا اليها ان تـرد
اليه قلبه وبالتالي ترتد هي اليه مع قلبه ، ويكون لقاء بين ذاتين : ذات الشاعر ، وذات الحب
المتجسد في قلبه .

وفي حنينه الى تذكارات الماضي يزفر آهة حرى تمزق نياط القلب :

(١) الملحق : ١٨ .

(٢) الملحق : ١١ .

واها على الماضي وايامه
فرت فرار لذيذ احلامه
ايام انس ما احيلها
قلبي يذوب جوى لذكرها
ما كان اسعدا واقصرها
لم تبق لي الا تذكرها
واحب صورتها الى فكـرى
في اضلعي ، ومدامعي تجري (١)

وهذا حنين عميق الى الذات التي تخلفت مع الماضي ، الى صرخة الحب اللاهبة
التي لم يبق منها الا صدى ذكرى ، وهذا الصدى بالرغم من خفوت جرسه وخفائه ، ما زال يناديه ،
فيحن شوقا اليه . لهذا يذوب قلب الشاعر جوى لذكرها ، فتجري دموعه ودماؤه ، ويضج صدره
بالشكوى :

فبالله ردى عليّ فؤادى
ويتمنى الشاعر ان يكون زهرة لتقبلها او طائرا هازجا لو نسما خاطرا او قطرة ندى
لا تقطر الا على خد من يحب (٢) ، لان منى النفس ان يذوب بها ذوبان الروح في الجسد ،
لعمرك هذى منأى وهذا
وهل تشعيرين ببعض الذى بي
غرامي وهذا الذى اشعر
وهل تذكرين كما اذكـر (٣)

ان ما يذكره الشاعر يحرك كوامن مشاعره ويشده الى الامس فيحاول ان يجوس خلاله
عبر احداث تتراكم في درب الزمن السحيق ، فيرى ان عنصر الحلم خير دواء يعالج به آلام الذكرى .
ولكن ماذا يحدث للشاعر حين يستفيق على الواقع القاسي ؟ وكيف يكون موقفه من الحياة وقد رأى
احلامه تتبدد ؟

تظل الاحلام هي الملاذ الوحيد لتفريج الكربة عن النفس . والدافع الاعمق للاحلام
هو الحنين الى الذكرى ، لان الواقع الحاضر يبعث على الاسى . فاسمعه يقول عن نفسه التي
تهوى الظلام وهو مرتع الاحلام :

تهوى الظلام تهيم فيه
والحب اجمل ما يكون
وكم يلذ لها السهر
اذا تخلله الكـدر (٤)

اما الكدر فهو ناجم عن المقارنة ما بين الحلم والواقع ، واللجوء الى الحلم الممزوج
بالحنين يجعل الحب بالرغم من الشوائب . وهذه بحد ذاتها رومنطيقية حالمة .

(١) ديوان فوزى المعلوف : ٩٤ - ٩٥ .

(٢) المطلق : ١٨ .

(٣) المطلق : ١٨ .

(٤) المطلق : ١٧ .

التمرد في الحب :

ولغوزى قصيدة تحتد فيها عواطفه وتمرد على الوجود والكون والحياة والله ، وفيها تأليه جلي للمعبودة التي ينبذ من أجلها كل التقاليد وكل المعتقدات ويكفيه حبها وجوارها حتى ولو كان هذا الجوار في الجحيم :

اني عبدتك جاحدا	ربي وما امر الكتاب
فاقضي علي ولا تبالني	بالاله وبالعقاب
سيحين يوم فيه يرجعنا	لعنصره التراب
فعسى يكون نصيب روجينا	جهنم والعذاب
كي نلتقي فيها هنالك	سوية بعد الحساب
ونتوب عما قد مضى	منا اذا قبل العتاب
أولا نجدد يا مناي	هناك ايام الشباب (١)

فهذه صرخة رومانيقي ثائر مدغم بالشباب والاشواق ، ولا يرى الدنيا سوى حب لاهب اقوى من الدين واعظم من التقاليد ، وفيه كل الشباب لان الحب في تجديد مستمر . اما لماذا يرجو ان يكون نصيب روجيها جهنم والعذاب فذلك لانه عبدها من دون الاله ، وهناك يتطهران ويتوبان ويجددان شباب الحب . بل لعله يرى في عذاب الحب المرير عذابا يشبه عذاب جهنم ، وفي هذا العذاب انصهار وتطهير

وهذا الحب الذي يدفعه الى التالى والامبالاة بكل تقليد وشريعة يوقد في نفسه عزما اشد هولا من عزم قطار الشوم الذي يقل محبوبته في " ساعة البين " (٢) ويتهدده بالدمار اذا خطا بها خطوة واحدة :

رويدك قطار الشوم حتام تلتوى	وتنجد في عرض البلاد وتتهم
مكانك لا تنقل عن (الخط) قطعة	ولا تتحرك ان ذلك اسلم
سلبت التي كانت لقلبي نعمة	ونورا لعيني تجتليه فتنعس
وكأنما صورة فراق الحبيبة تمتد بنفسه فيلوح بيديه متوعدا القطار الذي هم بالمسيره	
فدعها فما لي غيرها وهي ما لها	سواى على ارض بها الحب يحكم
والا تصاد منا ومثلي في الهوى	على كل انواع المخاطر يقدم

(١) الملحق : ٢

(٢) الملحق : ٣

(٣) على بساط الريح : ١٢٧ •

وذلك يرجع لاسباب نكاد نجهلها .

ومما يدعو الى الاسى اننا لم نحظ بمذكرات فوزى ، والذين عنوا بدراسة انتاجه وحياته اعياءهم ان يلقوا ضوئاً على هذا الجانب الغامض من حياته ، وان يربطوا شعوره بالاعراض والاحداث التي تكونت بها تجربته . وجل ما يمكن قوله ان الشاعر تعذب في جحيم الحب ، لا تنتفع له غلة ، او اعاشه لونا من اللون التمني ما يرشف رشفة حتى يعاوده الظمأ فلا يرتوى . ولعل هذا الاخفاق مهما كان مصدره حرك في اعماقه شجوا الاسى ، وعزف على وتر وجيع في قلبه فانبعثت منه انغام مشحونة بالاشواق والقلق والالام ، سكبت في نبضات شعره فيضا من اللواعج ، فتعلملت سفونية حزينة رجعها الفاصدى .

وهذا الاسى العميق اتسم به شعر فوزى منذ بواكير انتاجه ، بفعل حساسية

مرهفة :

حب كتمت عن العيون وجوده	ولوانها علمت به لم تهجع
ما زلت اخفيه ويفضحه الضنى	ابدا فاطفيه بماء الادمع
والقلب مشتعل الجوانب خافق	يحيا الحياة بأنة المتوجع (١)

اطلق فوزى هذه الصرخة المتوجعة وهو لم يجاوز الخامسة عشرة من عمره . ويبدو لنا من عنوان القصيدة " قلب موجع " طبيعة الموقف الذى عبر عنه فوزى في هذه الابيات . وهو يرحب بالالام ، ولكن اى الم ؟ الم ينهش القلب ويمزق النفس ، الم نهم الى الدم ؟

مرحبا بالعذاب يلتهم العي	ش التهاما وينهش القلب نهشا
مشبعاً نهمة الى الدم حرى	ناقعا غلة الى الدمع عطشى (٢)

وكان من شأن هذا الالم النابض به شعر فوزى ان شاعرا هو محمود ابو الوفا راي ان فوزى لم يمت الا " بضربة غدر اصاب قلبه في مأمنه " (٣) ، ولجأ الى شعره يستقره

(١) الملحق : ١ .

(٢) ديوان فوزى المعلوم : ١٣٣ .

(٣) المقتطف - على بساط الريح - للشاعر محمود ابو الوفا ، المجلد ٢٨ (١٩٣١) ع آذاره : ٧٤ . ان الشواهد التي استعان بها ابو الوفا هي ما يلي :

١ - في مقطع قرب النجوم من على بساط الريح (٧٨) يقول الشاعر :

ايه يا نجعتي الم تعرفيني

شاعرا ينصت الدجى لنواحه

ولفظه يا نجعتي التي اضيفت اليها يا المتكلم تلفت الانتباه ولا سيما ان الشاعر يتحرى الصدق في الالفاظ والدقة " وحينئذ لا بد من القول بأن الاضافة هنا مقصورة بواى شئ يقصد خلاف هذا الذى اردناه " .

٢ - ان فوزى حين ختم نشيد قرب النجوم بالصورة التي بينها اسرع فالتفت لنفسه لفظة تقطع نياط

ويستمد منه الشاهد تلو الشاهد . وهي ان عرضت على مجهر التقصي والبحث لا تزيد ان تكون ظنونا واوهاما غالى فيها صاحب المقال دون مسوغ . وكأنه غفل عن طبيعة الشاعر الرومنطيقية وتلذذه بالالم ، ولو كان موته نتيجة لضربة غدر اصابت قلبه لما رأينا هذا النغم الاليم ينبجس من شعره منذ ان رَفَّ طير الحب فوقه بجناحين من الم . ولست اشك لحظة ان فوزى عانى من الحب ، ولعله اصيب بخيبة امل . ولكن نغم الالم الذى لم يبرح شعره لم يكن نابعا عن موت ينخر فيه بفعل حب فاشل . ولا شك في ان الحب فَجَّرَ ينابيع مشاعره فامتزجت بالعذاب الحلو والالم اللذيذ والكآبة الواحدة . بل انه يتوق الى الياس لم في هذا الياس من تأثير عميق على نفسية الشاعر :

الف الياس قلبه ، فهو والياس يحاكي بثينة وجميعا
واذا الياس صَدَّ عنه قليلا راح يبكي على نواء طويل (١)

ان الالم هو رمز حياة لانه دليل الاحساس بالوجود والحياة . والشاعر حي يتأثر وينفعل ويتألم ولعل شعوره بالحياة الممزوجة بالالم عمق في وجدانه طبيعة الشعور ، فسزاده قوة وانفعالا .

ولعل قصيدة " انين " تتضمن تلك اللوحة الدامية المعذبة التي كانت ثورتها تضطرم في صدر فوزى ، فهو يقف امام جوهر العذاب وقفة تحد وينعت ذاته بنعوت الالم والثورة والتمرد والتعبد في الهوى والتلذذ بالعذاب . يقول (٢) :

الا ، فاكشفي عني الرداء وحدّقي بصدري ترى ما لا ترى اعين الناس
ضلوع ولكن لاويات من الجوى وقلب ولكن كالمدامة في الكاس
تحطها الايام ما لا تطيقه وتسكبه الاشواق للشغف الحاسي
ويرد فوزى هذه الابيات بشكوى مريرة يصور فيها حالة الشجن التي اصبح عليها :
بلغت اقصى التعاسة في الجوى فحاتم هذا الدهر يطلب اتعاسي
فيالي من روح تعذب ما جنسى عليها سوى قلبي ورقة احساسي
وتالله لولا قوة لم تزل بها لارديتها خنقا بكفي من ياسي

= القلب . وان كان في اثناء ذلك يرسل نغما شعريا حارا جدا حتى لنكاد نشم في الفاظه روائح الاكباد المحترقة والافئدة الممزقة .

٣- ثم لا ننسى اطلاقه على هذه الانغام - اى النشيد السابع (٨٥) - اسم "اوراق متناثرة" لان هذه التسمية وحدها لا يقع عليها الا المحب المخفق . . .

(١) على بساط الريح : ٧٨ .

(٢) الملحق : ٣ .

ولا يلبث هذا النغم ان يتحول الى زمجرة هادرة تعصف في صدره وتتجلى فيها الذاتية المطلقة :

انا الليل مسودّ الجوانح مرعوب
وانت على بعد المزاراة نبراسي
انا الحزن مرسوم انا السقم ظاهر
انا الحب مصدود انا الالم الراسي
انا العابد العاني انا هيكل الهوى
الم تسمعي من اضلعي صوت اجراسي
صلاتي اشعاري وانجيلي الهوى
ود معي قرباني وذكراك قداسي (١)
ان لفظة " انا " تتجلى فيها كل الغنائية الرومنظيقية وتؤكد على الذاتية المتوجعة التي هي الليل المسود والحزن المرسوم والسقم والحب المصدود والالم الراسي . وهذه الصور يضي عليها المتعبد في هيكل الهوى خشوعه فيستحيل شعره الى صلاة متوجعة ، يتلوف فيها اناجيل الهوى ويقدم على مذابحها قربان ذكراها . وفي ذلك خروج من واقع وجوده الى حالة شعورية غنائية يتحد بها حتى الثلاثي . ولكن عنصر الالم هو العنصر الطافي عليه حتى وهو في معبد حبه لانه بلغ من التعاسة اقصى الجوى ، ولولا بقية امل ، ولعلها الشعور بوجوده ، بل لعلها التلذذ بالالم لخلق روحه المعدبة .

وحين يجيب على السؤال الصامت الطائف في عيني ربة شعره : " من انت " ، يقول :

ان تسألني عني فهنا
عني الصحيح من الخبر

روح معدبة يقلبها
الغرام على صقـر

.....

فتطيرني جو الخيال
وتهم فيه بلا ضجـر (٢)

(١) لا شك في ان فوزى متأثر في هذه القصيدة بخليل مطران في قصيدته الاسد الباكسي ، فهذه الصرخات شبيهة بصرخات مطران حين يقول :

انا الالم الساجي لبعدي مزافرى
انا الامل الداجي ولم يخب نبراسي

انا الاسد الباكسي انا جهل الاسى
انا الرمس يمشي دا ميا فوق ارماسي

غير ان عنصر الالم في قصيدة فوزى اكثر وضوحا منه عند مطران في حين ان الم مطران اكثر كبريا واشد تماسكا وتحفظا ورواقية .

(انظر ديوان خليل : ١٧ مج ٢ ،

طبعة ١٩٤٨) .

(٢) الملحق : ١٧ .

يبدو ان العذاب كان حافزا على الانطلاق الى عالم الخيال يستشرف منه على
افاق جديدة ويهيم فيه بلا ضجر . وكأنما الشاعر كان يميل الى هذا اللون من العذاب لانه
يبدع له افقا ارحب تحلق فيه روحه ، هو عالم الرومنطيقى المثالي .
وهكذا نرى ان الم الحب كان ينبض باللذة وترفرف فيه اجنحة تحمله الى البعيد
الابعد وتوقظ في وجدانه اطياف الاحلام . وسنرى في بحثنا في شعره التأملى عنصر الالم
يمتزج في فلسفته في الحياة ويتخذ معنى جوهريا في نتاجه .

ثالثا - الطبيعة في شعر فوزى المعلوف

اهتم فوزى المعلوف في بواكير انتاجه بمظاهر الطبيعة . ولعل ابرز قصيدة
استوحى فيها الطبيعة هي قصيدته " الطبيعة " وفيها يصور لنا اثر الطبيعة في حياة الانسان ؛
طبيعة كأنها دميعة
لولا هواها ما عرفنا الهوى
ولا نظمنا الشعر لولا ندى
ولا اجدنا النثر لولا هوا
ولا عرفنا الحب يجرى دما
لولا اعتناق البان في ايكها
صنع يدى مصورا هـــــ
ولا ابتسمنا للغد الحائر
منتظم في سلكها الناضر
ينثره بحكمة الناثــــر
في جسمنا بالجواهر الطاهر
وقبله الطائر للطائر (١)

وهذا حديث عن الطبيعة يفيض بالسذاجة ويرتبط عنده بفكرة الحب في بداية
تكوينها اذ انه ، وهو ما يزال غرا في صناعة الشعر ، يلجأ الى الطبيعة من حيث هي جمال ،
واغريد طيور ، ومثار حب . ونلاحظ انه لم يخرج في وصفه للطبيعة عن حد الاعتقاد بسان
الطبيعة هي مصدر الهام الشاعر وروحيه ، ويكتفى بذلك .

غير اننا نحس فيما بعد ان فوزى المعلوف قد تحرر من اسر الطبيعة الساذج
ومفهومه البدائي لها ، واخذ يخوض في معترك الاحداث وجدا نية كانت ام سياسية ام اجتماعية .
ويرجع ذلك الى ان الاحداث التي ألمت بالبلاد واعلان الحرب ، والظلم والجوع والجراد ، وغيرها
من الخطوب الناجمة عن الحرب تركت اثرا بليغا في حياته . اذ ان البؤس الذى كان يعم الوطن
كان يسخر من جمال الطبيعة ، بل كان يبعث على السخرية في نفس الشاعر . وحين ينادى روح
" هيكو " لتحمل نسمة الى الاحياء ، يصف هؤلاء الاحياء بأنهم (٢)

(١) ديوان فوزى المعلوف ، ٧٩ . وجاء عنوانها في الذكرى : ٢٣ " كتاب الطبيعة " .

(٢) انظر الملحق : ٢ .

هم موتى النفوس ، موتى الاماني
رغم ما في جسومهم من روا

نبذتهم اهل الدني فعساها
لبلاء هم ترق اهل السماء
فالاحداث بحد ذاتها واحكام الظروف ، والكشف الجديد للحياة ، جعلت فوزى
ينظر الى الوجود نظرة اشد عمقا واكثر غورا . وراحت هذه النظرة تنمو وتتطور حتى تم نضجها
في قصيدته : " على بساط الريح " و " شعلة العذاب " .

ولعل احساس فوزى بلامبالاته بالطبيعة تولد عن شعوره بأن الطبيعة لا تعباً
به ولا تأبه لاحزانه ، ففي قصيدة " لـو " وهي ايضا من بواكير انتاجه ، يقول :
لو يعلم الزهر الحبيب الهوا
لذوب البلسم من عطـره
ما في فؤادي من جراح الهوى
فيه ليشـفـيني

ولو رأى البلبل بين الغصون
لحوّل المحزن من شـعره
نار ضلوعي في مياه الجفون
شـدوا يسـلـيني

ولو ذرى البدر عشيق النجوم
لا همل الشهب ومن قصـره
بما الاقي من فنون الهموم
اهـوى يواـسـيني

ولو ذرى الفجر يائي ارق
لبلل الاضلع من قطـره
من نسمة الفجر لطول ا ل ا ر ق
وراح يبكينـي (١)

ولكن الطبيعة لا تأبه له ولا تريد . ولو كانت تعنى بشأه لساغت اليه تحنو
عليه ، وتسكب على نفسه بلسم العزاء . ففي قصيدته " الطبيعة " كانت الطبيعة مصدر
كل الهام . اما في " لـو " فأن الطبيعة فقدت سر سحرها عليه لانه اكتشف انها لا تبالي
به وبالتالي لم يعد هوييالي بها .

غير ان هذا لا يعني ان الطبيعة امتحت من شعر فوزى انما اتخذت في وجدانه
مفهوماً آخر واصبحت مصدرا من مصادر الذكرى والحنين . فهو فيما بعد ، كما سنرى ، يستسلم

لدغدغة الذكريات ، وتأخذ صور الماضي تشير في أعماقه رؤى مفعمة بالحنين . فالقمر لم يعد غاية بذاته وإنما غدا عنصر إثارة يرتبط في ذهنه بتذكريات قديمة ، بل إن هذه التذكريات تستحيل في وجدانه إلى شعر غنائي LYRIQUE كما في " قبل القمر " (١) . فاسمع هذا النغم الشعري الذائب في غمرة لحن فرج :

فهنا ترين على الأكف فجرا كأحلام الشباب

غض الأهباب

ملئت نواظره ضمر

أما النسـم

فيه ، فباردة عذاب

وعلى أنامله خضاب من مسح دمع ذوى العذاب

فالطبيعة لم تعد غاية ، إنها مثار انغم وحياة . ومع هذا كله ، فأنا كلما

تأملنا في شعره المتأخر يتضح لنا أن فوزى ينعتق يوما بعد يوم من سحر اشراك الطبيعة

الـا بمقدار ما تتفاعل مع مفهومه للحياة . وأخذت الحياة ذاتها تطفئ على تفكيره بكل ما

فيها من مأس وأفراح ، واحزان ومباهج .

ولعل امتزاج الحنين في أغاريد الطبيعة هو من أبرز المظاهر الوجدانية في

الشعر المهجري عامة وهو وتر ضرب عليه معظم الشعراء من المهجرين الشمالي والجنوبي (٢) .

ونجد في قصيدة " حنين " (٣) خير مثال يسعفنا على سبر غور هذا المظهر

من مظاهر الحنين المتجسد في وصف الطبيعة عند فوزى :

هذى أعاليهـ

هذى نفوح التلال

تجرى مآقيـهـ

هذى عيون الجبال

هذى مآويـهـ

هذى ربوع الطبـا

يا ليتني فيهـ

هذى ديار الصبـا

. . .

(١) ديوان فوزى المعلوف : ٩٦ .

(٢) للتوسع انظر " الطبيعة في الشعر المهجري " لانسداد . والشعر العربي في المهجر

لمحمد عبد الغني حسن : ٥٥ - ٦٠ .

(٣) قصيدة حنين في الملحق : ٨ .

اهل الحى والحمى	في ذمة الله
والصب يشكو الظما	والمرتجى لاه
كم ذا المحب اشتكى	للكوكب الزاهى
يتلو البكا بالبكا	والاه بالاه

وفي احدى قصائد اغاني الاندلس يتغنى فوزى بسماء لبنان وهو في طريقه الى المهجر ، وكأنما الدنيا كلها اصبحت سماء لبنان فيناجي ربة شعره ان تقف معه ليتلميا الجمال من ربي لبنان وسمائه وشاطئه لان التناهي حان :

انظريها والليل مد عليها	من نسيج الحلى وشاحا ثمينا
فتخالي الاديم فيها غديرا	وتخالي النجوم فيها عيونا
واخشعي للظلام فهو اله	كم عبدنا في بردتية السكونا

واسمعيه يدعو الشفاء الى الصم ~~ف~~ ويدعو الى الهدوء الجفونا (١)

فالتبيعة في شعر فوزى استحالت الى مشار للذكرى ، الى مبعث للاشواق والحنين ، والاماني . ولم تعد غاية بذاتها ، وهو كما رأينا لا يختلف عن سائر شعر المهجر الا على تفاوت في العمق من حيث رقة الشعور وانفعاله . فمن قصائده التي اختصر فيها كل معاني اشواقه قصيدة " حنين المهاجر " (٢) :

واطول اشواقى الى الوادى	وادى الهوى والحسن والشعر
ملهى صباى ومهد ميلادى	وعسى يكون بحضنه قبرى

فهو كما ترى قول ينبض بكل انفعال ذاتي ، يتلمل بالشوق وكأنه يندب الماضي ، ويتشوق اليه . وهو يحن الى وادى رحلة ، الى الكرم الذى يكسوه سنى الشفق بالوانه ويشع بالعنب متألقا كالذهب :

فترى به في صفرة الورق	عسلا بلؤلؤة على ذهب
-----------------------	---------------------

اما الليل ففيه تمشي مواكب الاحلام والشعر :

والى الربى والليل كللها	بسكونه المملو بالسحر
ومشى الهوى فيها فظللها	بمواكب الاحلام والشعر

(١) ديوان فوزى المعلوف : ٨٢ .

(٢) المصدر السابق : ٩٣ .

ان هذه الخيالات تثير في اعماقه الحنين الى الماضي فيندبه مرة ثانية بنداء " وا " (١) :

واها على الماضي واياها
فرّت فرار لزيد احلامها
ايام انس ما احيلها
قلبي يذوب جوى لذكرها
ما كان اسعد لها واقصرها
لم تبق لي الا تذكرها
واحب صورتها الى فكري
في اضلعي ، ومدامعي تجرى
ارأيت الى هذه الرومنطيقية الرقيقة المفعمة بالاحساس العميق وهذا الامتزاج
بالطبيعة والانفعال معها ، وكيف ان الطبيعة تحولت الى وشائج انسانية تربط فوزى السى
بلده .

وفي موشح اندلسي رقيق يستغل فوزى الطبيعة استغلالا فنيا يفيض بالغنائية
والقوالب البديعية والبيانية التي ترتاح اليها النفس . يقول (٢) :

ايا هزار الغدير - حيت بين الطيور - من نائح مستشير
بالنوح عطف الزهور
حيا الاله صباحك
اخذت عني نواحك - خذه وهات جناحك
اطربه في الاثير
لا غلّ قيد سراحك

وهو يريد ان يحلق الى اقصى رحب الفضاء ، الى السديم ، بل الى ما فوق متن
النسيم ، حيث يتحرر من الاثقال فيبدع ويصوغ الجمال :

اطربه في السديم - ما فوق متن النسيم - بين السما والغيوم
اصوغ نثر النجوم
اصوغ دم الغمامه
عقدا اجيد نظامه - لجيد خير حمامه
تحوز دون الريم
من البيان زمامه

(١) ديوان فوزى المعلوف : ٩٤ .

(٢) المصدر السابق : ١٠٠ .

ان فوزى ، كشاعر رومانسي ، لا يرى في الطبيعة الا تعبيراً عن هذا الانفعال ، بل ان الطبيعة تغدو رفيقا وعزاء يخفف من تباريح آلامه . وفي شعره المجرد للطبيعة كقصيدة " نحن في نيسان " (١) نتلمس ملامح الوجدانية ، ويسخرها للتعبير عن الذات بقلب شعري جميل ، لان شهر نيسان هو شهر الهوى ، يستثير عواطف الشاعر وغرامه . فقيمه تتعاضد بمقدار ما يولد في الشاعر انفعالا ، ولعل مطلع القصيدة يوحي بهذا المضمون :

نحن في شهر الهوى ، شهر الامل نحن في شهر نيسان

. . .

كل ما في الارض ، ما في الجلد يستثير الوجد . يستهوي الهوا

حرقة النجم . انين الزبد نفحة الزهر وانفاس الهوا

ولكن هذا المناخ الشعوري المتفتح يتألق في نفس الشاعر فيرى في الوجود ، وفي

حركة الاغصان تنامي الحياة لم فيها من اشواق وحب :

وانظري الغصن على الغصن التوى هكذا خصرك تلويه يدي

والهوا في مبسم الزهر هوى راشفا مثلي لى الشجر الندى

والجدول النائح يحمل الى العشب انة القلب الواله المتفطر ، وهو قلب الشاعر الشاكي من العناء والصبوة :

واسمعي الجدول للعشب نقل انة الوله لسان

. . .

شاكي مثلي تباريح العنا حاويا مثلك كل الرونق

وانظري الليل تردى الشجنا ماسحا مد معه بالورق

فالتبيعة استحالت لديه الى " حالات " عاطفية شعورية فاستكان اليها ورأى

فيها ذاته ، واقبل عليها يخلو اليها ويناجيها ويبث الى قدسها آهة الجوارح وخفقة الجوانح .

وهذا المفهوم للطبيعة لا بد ان يهيأ له جو رومانسي حالم ، بلغة حانية هامة لتكون اقرب الى

النفس واكثر تجاوبا مع الروح والقلب . فصور الاحلام ، ونأمة النسيم ، ورقة الجدول ، وحفيف

الاوراق ، ويسمة الزهور ، وسجوا الليل ، وخفقات النجوم ، والطرف الساهي ،

وانظري النجم على الروض اطل ناعس الاجف لسان

. . .

ساكبا فوق صدور الزنبق قبلات الوجد • قبلاتي انا
سا هي الطرف اليك القلق خافق الاضلاع حبا مثلنا (١)
وفي هذا المناخ الرومانسي انين وحنين ينسجمان مع سكون الليل ؛
كلانا هنا يا ظلــــوم دجى في دجى
على ان فيك نجــــوم وما لي رجــــا
وليلك اما يــــدموم ومهما دجــــا

يلاقي اخيرا صباح
ندى الهوى والجناح
ومالي صباح يــــرام (٢)

ان هذا الحنين من خلال الطبيعة يمثل الهروب النفسي من معاناة الشاعر للشقاء ، وهي حاجة ملحة في النفس ، بغض النظر ان كان هذا الشقاء ناجما عن مقاساة من المصاعب والاعتاب او بفعل الوان من العذاب النفسي والاشواق الروحية • ويتميز هذا اللون الشعري بالصدق في العاطفة ويتولد عنه ابداع في الاخيلة والصور التي هي مزيج من الصور الحسية والرؤى الوجدانية • فالطبيعة عند الرومنطيقيين كما هي عند فوزى ، تحيا وتتمجد وتصادق الانسان وتأسو جراحه وترعى احلامه • والرجوع فيها الى السهل والجبل والقرية ، والوادي ، والزهور هوردة فعل بوجه الحضارة ، لان في الطبيعة كما فهمها الرومنطيقيون وفهمها فوزى ايضا هجرة الى البساطة والنبيل والى الاحساس العميق بوحدة الكائنات • ولعل قصيدة " هناك تحظى بي " تكشف لنا عن سمو الخيال فوق الجزئيات ان يقدمها لنا الشاعر من خلال حلم شعري امتزجت فيه الحقيقة بالخيال ، وتجسدت فيه الطبيعة الحية ، وانجلت مشاهدنا على اختلافها مظاهر متعددة لجوهر واحد •

وفي قصيدة " طاقة الزهر " (٣) يتحدث اليها فوزى حديث الرفيق للرفيق يحمله اعطر التحيات لفتاة القلب ، ويحدثها حاسدا لانها ستنعم بلذة لقاءها والتمتع بالنوم على صدرها ، ومن النهل من ثغرها ؛

(١) ديوان فوزى المعلوف : ١٠٤ •

(٢) المصدر السابق : ٩٩ •

(٣) المصدر السابق : ١١٤ •

يا طاقة الزهر
عطرا الى عطـر

سيرى الى معبودتي الزاهرة
عاطرة تهدى الى عاطـره

. . .

يهنيك هذا الحظ لو كان لي
يا نعم ذاك الشفر من منهل
وغير عبء الهم لم احمل
في حبها المعـضـل

سوف تنامين على صدرها
وتنهلين الشهد من ثغرها
وتحلمين العطر من شعرها
يهنيك هذا الحظ لو كان لي

وفوزى اذ يقارن حالته بحالة طاقة الورد يبت جمود الزهرة حياة ويحولها الى كائن
نظيره ، يغار منه لانه سيحظى بلقاء محبوبته . ومع ذلك لا يعثر على غير تلك الوسيلة يلجأ
اليها ليحملها اعطر تحياته . وهنا تلوح لنا علائق انسانية تربط الانسان بالطبيعة . ويؤكد
فوزى على هذا الموقف حين يقول :

رسالة صامته ناطقة
عن اد معي السابقة اللاحقة
في اضلعي نيرانه عالقـه
عن صبوتي الصادقة
عن أمني النضـر
عن حبي العـذري (١)

يا باقتي كوني لها من يدى
يروى الندى في جيدك الاغيد
وترمز الوردية عن موقـد
رسالة صامته ناطقة
تقرأ في اوراقها الناضرة
تنبئها الزنبقة الطاهـرة

هل هي باقة زهر ما تزال ؟ ام ان الباقة استحالت الى ذات الشاعرتنطق بمشاعره
وتعبر عن اشواقه ؟ وهو في لجوئه الى الزهرة انما يلجأ الى الطبيعة كمنفذ للترويح عن النفس ،
ومجتلى للاحزان .

غير ان الطبيعة عند فوزى لم تكن مشكلة فلسفية قط ، ولم تكن مدار تساؤل وحيـرة ،
بل رضي بها كما هي ، وبكل بساطة استعان بها على تفريج همومه . ، يلوذ ~~بها~~ باحضانها ويسعى
الى احيائها في وجدانه . وكانما رأى في تشرح الطبيعة انتهاكا لحرمتها وتدنيها لقداستها ،
واستباحة لمعبدها .

رابعاً - فوزى في شعره الوطني :

يقول شفيق المعلوف في " ذكرى " ان فوزى " تقلب في اطوار ثلاثة منذ ايام الترك حتى الاحتلال فالهجرة " (١) . ومن خلال سيرة الشاعر يلوح لنا ان الطور الاول وهو طور الحكم العثماني واستبداده لم يتجسد احداثاً في شعره نظراً لانه كان لا يزال غرا ولم يفق على الواقع الاليم الا على نار الحرب العالمية الاولى . ويمكن القول بشي " من الاحتراز ان فوزى قد شهد اولى الفواجع ذات الاهمية في حياته في اثار الحرب . فبسبب الحرب اغلقت المدارس وحمل على العودة الى زحلة بعد انقضاء سنة واحدة من دراسته في مدرسة الفرير الكبرى ، وحلّت المصائب في بلده فميت بالجوع والفقر والجراد والمرض . وانعكس اثر هذه الويلات في القصيدة الوحيدة التي بلغتنا " من اشعار الحرب الكبرى " . ولا ريب ان هذه القصيدة لم تكن يتيمة دهرها في شعره الوطني لتلك الحقبة ، الا اننا نعلم ، كما اوردنا سابقاً ، ان فوزى احرق بعض قصائده .

ومن ناحية اخرى فانه يبدو من سيرة حياة الاسرة المعلوفية انها كانت على صلة طيبة بالباب العالي في اواخر القرن التاسع عشر واول العشرين ، فلم تعان من ظلم الاتراك وجورهم كما عانى سواها وبالتالي ، كان من الطبيعي ان يكون موقف هذه الاسرة موقفاً محايداً ، بل ان عيسى اسكندر المعلوف يذكر لنا قصيدة من نظمته في مدح السلطان والدعاء له لانه انعم على والد زوجته برتبة ميرلوا (٢) . ويذكر ايضا ان ابراهيم نعمان باشا " رفع من فوره عريضة برقية الى الاعتبار العلية السلطانية يظهر فيها عبوديته للمعرش الحميدى الانور شاكر بلسانه ولسان اسرته هذه النعمة السنية " (٣) .

من هذا ، نرجح ان فوزى المعلوف لم يكن حتى بداية الحرب ناقماً على الدولة العلية اذ لا نستشف حتى في قصائده المتأخرة ما ينم عن هذه النقمة والروح الساخط النافر في العصر . ولكن المجازر التي انتشرت في البلاد ، والاحكام العرفية ، وما وقع على الرعية من ظلم ولد ثورة صامتة في قلب الشا عرفنقراً له من آثار عهده الاول :

لعلني بما يرمى به قائل الصدق	تجافيت في شعر السياسة مدة
لكان نصيبي ان اساق الى الشنق (٤)	وعندى شؤون لو اردت بيانها

(١) ذكرى فوزى المعلوف : ٣٨ .

(٢) المعلوف ، عيسى اسكندر - دواني القطوف : ٢٩٤ .

(٣) المصدر السابق : ٢٩٤ .

(٤) ذكرى فوزى المعلوف : ٢٨ - ٢٩ .

ولسنا نعلم شيئا عن اصل هذه القصيدة واذا قيلت بعيد الحرب عن عهد الحكم التركي او انها نظمت في ابائه . وما يهمنا ان هذه القصيدة ، حسب ما ذكر شفيق المعلوف ، هي من آثار العهد الاول ، وهي تعبر عن تلك النقمة التي اعتلجت في صدره على الوضع السائد حينذاك .

اما الطور الثاني الذي رافقه فوزى ، فهو العهد الفيصلي في سوريا والذي لم يكتب له الحياة اكثر من بضعة اشهر انتهت بمعركة ميسلون (١٩٢٠) . وليس بين ايدينا اى نص من شعر فوزى عن هذه الحقبة من التاريخ ، ولا ندرى لذلك سببا او تعليلا معقولا سوى ان يكون بعض ما نظم قد فقد ولم يعثر عليه بعد .

في هذه الفترة فتح فوزى عينيه على الحركة العربية الاستقلالية في الشام ، وراودته الاحلام كما راودت سواء . بيد ان تلك الامال العذاب لم تلبث ان خمدت في الصدر امام هجمات الاستعمار الاجنبي . وفي هذا الطور الثالث ، طور الانتداب ، اطلق فوزى زفرات غاضبة ، وتأوهات نائحة . الا ان هذه الزفرات لم يصعد معظمها في ارض الوطن ، ولم يبد منها الا النزر اليسير ولكننا نحس انها كانت تتعلم في صدره ، اذ ما كادت قد ما تظآن متن الباخرة حتى ارسل زفرة حرى في قصيدته " المأسدة الخالية " ، وهي زفرة نفس حرة لم تعد تطيق صبرا على الضيم . يذكر البدوى الملم لفوزى مقطعا من " خطبة مستفيضة ارتجلها في حفل ضم رعيلا لجبا من شباب العرب بدمشق ، وقد استهلها بقوله : اننا امة تجمعننا ثلاث حلقات ، حلقة من نزار وهي امجاد جدودنا العرب ، وحلقة من حديد وهي قيودنا التي نعانيها ، وحلقة من ورد وهي آمالنا في المستقبل الذي نريده عهدا جديدا للعرب " (١) .

الا ان مفاهيم فوزى المعلوف الوطنية مرت في مرحلتين :

المرحلة الاولى وهي المرحلة التي عطف فيها على الحركة العربية الاستقلالية وكان واحدا

من الذين حاولوا ان يساهموا فيها شعرا ونثرا .

والمرحلة الثانية هي مرحلة الانفصال عن الاحداث والانطواء على الذات فيما بعد عام ١٩٢٥ (٢) . وفي هذه الفترة تبدلت مفاهيم الشاعر وراح يسعى نحو شعري يكتب له الخلود (٣) . وتجسد المفهوم الوطني في حنين الى ارض الوطن وهو حنين المغترب ، وتحول نحو التأمل الذاتي في الكون والوجود والمصير الانساني .

(١) البدوى الملم - شاعرني طيارة : ٣٢ .

(٢) مجلة الرسالة المخلصة ، زيتون ، نظير - اضواء على فوزى المعلوف - ص ٣ ، ع ١١ : ٨٢ .

(٣) المصدر السابق : ٧٩ .

شعر فوزى الوطنى فى المرحلة الاولى :

لم يكن فوزى فى مواقفه الوطنيه متهورا ، وانما كان يحاول ان يكتنه سر الداء الذى
ينخر جسم الامة ، ويحكم ببصيرة وترو على الاوضاع العامة . ولقد احب فوزى وطنه حبا جما ولكن
هذا الحب لم يتركه غافلا عن مسؤوليته امته فى المصير الذى آلت اليه ، ذلك ان العلامة لا تقع
على كاهل المستعمر الاجنبى وحده ، وانما يشاركه فى ذلك ابنا الوطن :

ارى امتي تمشي بكل غباوة الى حيث لا تلقى سوى البؤس والسحق
لقد قيل ان الشرق اتعسامة ونحن لسوا الحظ اشقى بني الشرق (١)
بل ان مصدر هذا الشقاء هو ابنا امته الذين استكانوا للغريب ، وقنعوا بحكم
الاجنبى . فمن موشحة له بهذا المعنى :

فكرت فى امرنا المعيب فقلت ما الذنب للغريب
وقمت امسي بحال يومي وانما الذنب ذنب قومي (٢)
وهو ان يقر بالواقع الراهن لا يرجو من ذلك غير يقظة ابنا امته ، وتوعيتهم على ما
تردى فيه الوطن ويستفزه عسى ان ينهضوا باصلاح حاله فيواكبوا قافلة الحضارة والتقدم . وبهذه
النغمة تتميز قصيدة له اخرى من قصائد الوطنية " المأسدة الخالية " حيث يقول :

تالله اني قد وقفت عليهم واذا انتقدتهم فما لي غاية
روحي وافكارى وكل جهادى الا قيادتهم لنهج سداد
خبطوا بظلمات الضلال ولم يقم فيهم الى السبل القويمة هادى
واستعذبوا ذل القيود فأصبحوا يتفاخرون بنير الاستعباد (٣)
فموقف فوزى هو موقف الناقد الساعى الى هدى قومه الى الحرية والكرامة بعد ان
استعذبوا ذل القيود حتى غدا به لبنان مأسدة بلا اساد (٤) . وتتفاقم نغمته لانه يرى ان
ابنا وطنه هم الذين ضيعوا ارث الجدود :

هم ضيعوا ارث الجدود فنالهم غضب الجدود ولعنة الاحفاد (٥)

-
- (١) ذكرى فوزى المعلوف : ٢٩ .
(٢) المصدر السابق : ٢٩ .
(٣) ديوان فوزى المعلوف : ٢٧ .
(٤) المصدر السابق : ٢٨ .
(٥) المصدر السابق : ٢٨ .

ولعل ذكرى سقوط غرناطة العربية على يد الاسبان ، وخروج السلطان ابي عبد الله منها ذليلاً مقهوراً كانت تلوح له وهو يضرب في عرض الامواج مبتعداً عن الشاطئ الرملية على اعتبار ان هذه القصيدة نظمت وهو على الباخرة في طريقه الى المهجر (١) . وانها لتوبيخة قاسية رهيبة يقذفها الشاعر الابي في وجه ضعاف النفوس الذين اضاعوا ارث الجدود واذعنوا للذل والعبودية ، ومالوا الى الخنوع والاستسلام فنالهم غضب الجدود ولعنة الاحفاد . وان مشاعر مختلفة تنتاب المهاجر وهو يفارق اهله ووطنه : من شوق وحنين ودموع فراق وذكريات ممتعة وحب واحلام . وهذه جميعها تفجرت في وجدان فوزي ، الا ان فكرة المصير العربي كانت تستحوذ على جل اهتمامه فيما يبدو ، لانه كان يدرك ان الداء كامن في ابناؤا الامة بالذات . وما عساها تكون العلة ؟ واين تراه يكون مكن الداء ؟

في قصيدة اماري المهاجر (١٩٢٤) يطلق فوزي صرخة متوجعة اختصرت كل صنوف الاداء التي ابتلي بها العالم العربي . قال :

صرنا وصارت حمانا منزلاً خرباً
والجهل والدين والاهمال علتة
فينا الدوا وفينا الداء واعجبي
فأذا الجهل والتناحر والدين والاهمال هي العلل التي تمزق جسم الامة وتنخر به لترديه صريعاً تحت اقدام الغازي والمنتدب . وهذه العلل مصدرها المجتمع ذاته ، فلا ندحة للمجتمع العربي اذا شاء ان يتحرر وينمو في روضة الحضارة من ان يثور على الجهل والطائفية والاهمال ويهدم هذا المنزل الخرب (٢) .

وثورة فوزي ونقمة على هذه الاوضاع كانت بدافع حبه للوطن . وهذا الحب يتجلى في الحنين العميق الذي كان يحسه تجاه وطنه وامته ، فهو يقول :

يا حنيني الى مغانيك لولا
والى الافق صافيا فيك لولا
والى الماء طيب الورد لولا
والى الريح من صرودك لولا
صارم فيك سل للتهديد
ما به اليوم من غمام سود
ما جرى فيه من سموم الوعيد
نفثات الفساد بين الصرود

(١) ديوان فوزي المعلوف : ٢٥ .

(٢) الملحق : ٢٣ .

(٣) الملحق : ٢٣ .

والى البحر في شواطيك لـولا انه نم بالعداء الشديد

والى الارز شامخ الرأس لـولا انهم حملوه ذل السجود

وضعوه طي المثلث ، تحت البيض ، بين الدما وبين الحديد (١)

فالحنين والاشواق تعتلج في قلبه تجاه وطنه وهو لا يستطيع ان يتخلى عنه ولو فكرا ، لان صورته ماثلة لعينيه حتى لو كان عنه مغتربا . ولكن هذا الشوق وهذا الحنين معزجان بنقمة الشاعر لوطنه السليب الذى تجنى عليه الانتداب الفرنسي وشوه محاسنه في البر والبحر والفضاء . والارزة رمز القوة والمجد والخلود قد اصبحت عبدا يسير في ركاب العلم الاجنبي . وتلمس هذا الحب العميق للوطن واهله في قصيدة المأسدة الخالية حيث يقول :

اواه من ذكرى القديم وحبذا عود القديم وان عدته عوادى

اشتاقه شوق المحب الى الهوى مهما ارى فيه من استبداد

واحبه بالرغم عما نال مني منه وامحضه صحيح ودادى

ومهما يجروطني عليّ واهله فالاهل اهلي والبلاد بلادى (٢)

وفوزى في اشارته للجور يقصد به الجور السياسي الذى رضى به ابناؤ الوطن ، وجاروا عليه بما ارتضوا به . اما ذكرى القديم الذى يعشق اليه فهو عهد المتصرفية الذى يؤثره على عهد الانتداب بالرغم مما كان فيه من جور (٣) .

والتأسي على القديم والعهود السالفة يتردد في شعر فوزى اكثر من مرة ، ففي قصيدة

البنانية يقول :

ايه لبنان كم بكيت وتبكي بين عهد مضى ، وعهد جديد

كيف تبكي منه وها انت تبكيه على رغم بؤسه المعهود (٤)

(١) ديوان فوزى المعلوف : ٢٦ - ٢٧ .

(٢) اقتبس فوزى هذا البيت من قول الشاعر :

بلادى وان جارت عليّ عزيزة
(٣) نسمع مثل هذا النغم عند ابي الفضل ابن الوليد حين يقول :

احب بلادى فوق كل محبة
ارى شرف الانسان في حب ارضه
واشتاق منها شائطا وبقاعا
فان امرته الواجبات اطاعا

(الانفاس الملتهبة : ٥١ ط ٢) .

(٤) ديوان فوزى المعلوف : ٢٠ . البيت الثاني يذكرنا بما قاله حكيم المعرة :

رب يوم بكيت منه فلمـ
صرت في غيره بكيت عليه

ان فوزى لفرط حبه لوطنه يتألم لمصيره ، ويعذبه ان يراه على هذه الحال من
البؤس ، وهو يريد له الخير العميم . فالتفجع هو تفجع المحب حين يرى من يحبه منكوباً
ومصاباً تنزف منه الجراح . وقصيدته " المأسدة الخالية " تذكرنا " بعراشي ارميها
لا وروشليم فيها قلب يشفق ويتوجع وعين تئن وتدمع وحجارة تغص وتسجع وكبرياء تنفخ وتنصدع
وامل يائس ينهار ويتفجع " (١) . يقول :

اطلق لمدمعك العنان وخله
ودع الضلوع تذيبها نيرانها
واترك جواك وشأنه يقضي على

وهذا الرثاء والبكاء لفراق ارض الوطن من ناحية ولمصيره من ناحية اخرى يثير اشجاناً ،
فهو يرثي لبؤسهم ويندب حالهم :

ارثي لبؤسهم فاندب حالهم
هذا الساني لا يجي بذكرهم
ويراعتي ما ان تمر بأبييض
بغبي ، وارثي حظهم بمدادى
حتى يلعشمه انين فؤادى
الا وتلبسه ثياب حـداد (٢)

رثاء المحب الصادق المتفجع ، وهو رثاء يحمل الامواج الساحبة اذ يالها الى الشاطئ
الرملي وقد امتزجت فيها دموعه واساه . وهذه الانات هي زفرات حزينه في شعره الوطني
فنراه يستهل قصيدته اللبنانية برثاء نادب (٤) :

عاد عهد الشقا اليه فعـودى
حوّلت شدوك الليالي نواحيـا
كان روص المنى فبات واهلـوه
يرهق الدهر كل حر عليـه
واندب به يا طير فوق العـود
فارجعي فارجعي عن التفريـد
لحدود تسير بين لحدود
فهوفيه المسيح بين اليهـود

الوطن الحرحين يستعبد يشبه المسيح المعذب بين اليهود ، وانها صورة تعمق
فكرة العذاب الذى يعاينه الوطن النائق الى الحرية والعزة والكرامة . ولعل مشهد الخراب

(١) مجلة الرسالة المخلصة - نظير زيتون - اضواء على فوزى المعلوف - ص ٣ ، ١١٤ هـ ٨٠ .

(٢) ديوان فوزى المعلوف : ٢٥ .

(٣) المصدر السابق : ٢٧ .

(٤) المصدر السابق : ٢٠ .

والموت والبهين في الابيات الثلاثة الاولى يوغل بنا الى مجاهل الفناء المتخلف عن معركة ضارية
 نشبت في بقعة آهلة بالسكان . فالناس باتوا لحدود تسير بين لحدود ^١ موتاً منتزحاً بموت .
 يا للنبي يقف على اطلال اوروشليم يرثيها ويتحرق شوقاً الى امجادها الدائرة وتذكارات الاس.
 غير ان الشاعر لا يطول به القنوط والياس ، فهو ان يرثي وينتقد ويتألم انما ليوظ
 مشاعر الناس ، وينبه فيهم الشعور بالكرامة ، ويذكى في نفوسهم جمر التمرد على واقع الحال .
 ونلمح تباشير هذا التبدل منذ ان نقرأ الابيات الاولى من قصيدة " امانى مهاجر " ، وهي
 احدى قصائده المهجرية التي نظمها قبل عام ١٩٢٥ . وفي هذه القصيدة يقف فوزى وقفة
 تحد . وعدم الرضى بكل ما في الدنيا من حسب ونسب اذا لم يكن في بلاده المجد والنسب ؛
 لا المجد في ^{الارض} يرضيني ولا النسب ان لم يكن في . بلادى المجد والنسب
 ولا السعادة بين الناس تقنعنسي ان كان من حظ قومي الضيم والنصب ^(١)
 ولكن كيف يمكن ان يتمتعوا بالسعادة ويرفلوا بنعيم العز ؟ ولاول مرة نجد فوزى
 المعلوف يخطط الطريق الى حياة الحرية والكرامة . وهذا التخطيط لا يلجأ به الى الماضي
 او الحسب او النسب او التاريخ ؛

ما لي وللغفر بالماضي وقد درست
 اثاره ومحتاياته الحقب
 فليس يكسبني بين الورى نسبي
 فخرا اذا لم يزنه مني الحسب
 ما الفضل اني لا فضل ولا ادب
 وان زينة اهلي الفضل والادب ^(٢)
 فالماضي ، والاصل الرفيع ، والنسب التليد ، لا يمكنها ان تكون مدعاة للفخر والزهوان
 كان صاحبها راسفا في قيود الذل والهوان ، يمزقه داء دفين اشد هولاً من حكم الاجنبي . والمرء
 اذا اراد ان يفخر فما له الا ان تسمو به الرتب والفعال ؛

والفخر ما سمت بي للعلی رتب
 لا ان سمت بجدوى للعلی رتب
 كم بين قولك : كنا سادة نجساً
 وبين قولك : نحن السادة النجس ؟ ^(٣)

وهذه صرخة الانسان الذى يدرك المصير المنتظر ، وهو مصير رهيب ان ظل متعلقاً
 باحلام الماضي ، يلوذ بها هرباً من واقعه المرير . والشاعر هنا يريد لابناء الوطن ان يواجهوا

(١) الملحق : ٢٢ .

(٢) الملحق : ٢٢ .

(٣) الملحق : ٢٢ .

هذا الواقع ليعملوا على اصلاحه . ويثور على كلمة " كنا " لانها اصبحت افينونا يخدر الاعصاب ، يفر اليه الفرد العربي ليوارى خزيه وعاره ، ويتعلق باذيال الجدود ومفاخرهم . ويحز في نفس الشاعر هذا الاستسلام للماضي والاعتصام باوهامه :

كنا ، وكنا ، فهل بعد الجدود لنا الا مفاخر حالت حالما ذهبا
الناس نحو الترقى مشيها خيب ونحن نحو التلاشي مشينا خيب (١)

وهذه مقارنة مولمة ، فالشاعر وقد رأى تقدم الغرب ونمو حضارته ، وقارن بينه وبين العالم العربي ، رأى الهوة سحيقة ، وادرك ان عجلة التطور لن تتوقف ليلحق بها ركب المجتمع العربي بل ستظل تدور عبر التاريخ . وعلى العالم العربي ان يسرع بخطوه كي لا يفوته قطار الحضارة . ومع ان هذه حقيقة ظاهرة الا ان العالم العربي ما زال في غفلة ومشيع خيب . وفي جدل منطقي يواجه المتبجحين بامجاد الجدود بسؤال عاصف لا جواب له :

ابقت لنا كتب مجد الجدود فما تبقى لاحفادنا من بعدنا كتب؟ (٢)

سؤال وجيه ، فبماذا سيفخر احفادنا ؟ وما هي المآثر التي نخلفها لهم ؟ خزي ، وعار . ولكن الشاعر لا يتوقف عند هذه الناحية السلبية ، فبعد ان يحتدم غيظا للواقع الاليم ، وبعد ان يصب جام غضبه على قومه لفرط محبته وتقمته على تخاذلهم يدعوهم للعزة والرقى . والخطة التي يرسمها لتحقيق الطموح العربي تعتمد على ركائز اربع ، هي : العزم ، والعمل ، ونبذ التنافس الديني ، والعلم :

هلموا الى المجد ولننشيء لنا وطننا قوامه العلم لا الخطية القضب
وليرفع العزم والاعمال سد تناسله فوق السماكين لا الاقوال والخطب
ديني لنفسي ولكن قبله وطني ودينه الوفاء والاخلاص لا الشغب
تالله لا نرتقي الا متى اتحدت تلك المآذن في الاوطان والقبب (٣)

وهذه الركائز تطالب ابنا الوطن ان ينبذوا كل تنافس طائفي وسياسي ويتوسلوا بالاعمال في سبيل بعث المجد الدارس على اسس علمية بناءة . ولقد تبوأ العلم مكانته اللائقة في قصيدته ، لان العلم لا دين له ، بل هو فوق الدين وفوق الطائفية ، هو للانسانية جمعاء .

(١) الملحق : ٢٢ .

(٢) الملحق : ٢٣ .

(٣) الملحق : ٢٣ .

والعلم في رأيه يقضي على التنابد والتنافس والخلافات :

ولنكرم العلم ايا كان مصدره
لا دين للعلم في الدنيا ولا وطن
فأنه للتآخي والعلى سبب
فالعلم كالنور لم تحصر به ترب^(١)
والدعوة الى الاتحاد والالتفاف حول راية واحدة هي راية الوطن كانت دعوة شبه عامة
عند شعراء المهجر الجنوبي^(٢) ان ادرك المهاجرون ان الخلافات شرويل يجب القضاء عليها
لبناء مجتمع افضل وحياة امثل .

ويصر فوزي في هذه القصيدة " على قومية ينتسب اليها ، فلا يجهد نفسه كثيرا
بالبحث عنها ان يلقاها فوراً في كل ما يحسه وكل ما يغمر كيانه يلقاها في قلبه وروحه
ولسانه " ^(٣) فيقول :

فلتحي قومية كانت لنا نسبا
ومن يكون بلا قوم يدل بهم
يضم اشتاتنا ما فاتنا النسب
فلا يشرفه دين ولا لقب

.....

ولتستعد لغة الضاد التي بعيت
ان لم تكن كلنا في اصلنا عربا
ام اللغات شبابا برد قشب
فنحن تحت لواها كلنا عسرب^(٤)

ونحن نرى مما تقدم ان فوزي كغيره من شعراء ذلك الدور يفصل بين الدين والوطن ،
ويجعل من اللغة العربية ركنا من اركان العروبة والقومية نفسها تصبح نسبا للعرب اجمعين ،
واعتقد ان الدين لله فلا يجدر بابنا الوطن الواحد ان يعزجوا بين الدين والقومية . ورأى
ان يتحد المسيحيون والمسلمون في ظلال لغة الضاد والقومية ويتسلحوا بالعلم ليجدوا شباب
لغتهم التي وحدت اصولهم وجمعتهم تحت لوائها .

ولكن ان كانت هذه المشاعر الوطنية تهز فوزي فيغلي صدره بالثورة والحماس ، فلماذا
هاجر وطنه وارتحل عنه ؟ ولا نحتاج الى كثير عناء لكي نعر على جواب ضمنه فوزي ابيات شعره :
قسما بأهلي لم افارق عن رضى
لكن انفت بأن اعيش بموطنسي
اهلي وهم ذخرى وكل عمادى
عبدا وكنت به من الاسياد^(٥)

(١) الملحق : ٢٣ .

(٢) من أبرز شعراء المهجر الذين اطلقوا مثل هذه الصرخات الشاعرة القروى في ديوانه الاعاصير
بخاصة .

(٣) مجلة الرسالة المخلصة - اضاء على فوزي المعلوف - ص ٣ ، ١١٤ : ٨٢ .

(٤) الملحق : ٢٣ . وفي البيتين الاخيرين لفظة صريحة الى الحديث النبوي القائل " ليست
العربية لاحدكم باب وام وانما هو اللسان . من تكلم العربية فهو عربي " .

(٥) ديوان فوزي المعلوف : ٢٨ .

وهذه روح نائرة تأبى الضيم وتتوق الى الحرية حتى ولو كانت في ارض الاغتراب .
ولكن بخيل لي ان فوزى لم يجد ما كان يطمح اليه بعيدا عن وطنه اذ نحس بنبرة الالـم
ترتعش في صدره من خلال قصيدته امانى مهاجر ، وهي نبرة من غره الوهم فانساق وراء
بريقه الخداع حتى اذا اكتشف الحقيقة كان الاوان قد فات :

لولا طموح الى العليا غرْبِي	ما كنت عن ربعم واللـه اغترب
انا الغريب فلا اهل ولا وطن	اذا انتسبت امام الناس وانتسبوا
ولا لواء اذا دق النفير مشى	يحميه من صيد قومي العسكر اللجب
ومن يكون غريبا في موطنه	لا بدع ان انكرته الارض والشهب (١)

وفوزى كما ترى ينتقل من غربة الى غربة ، من غربة في ارض الوطن بعد ان استبد به
المستعمر الى غربة في المهجر بعيدا عن الـاهل ومرتع الصبا . وهو يكشف لنا عن سبب آخر
غير العامل السياسي وهو العامل الاقتصادي (٢) الذى حفزه على الهجرة . يقول :

اطوى وقومي بلاد الله لا فشل	يفت من عزما فيها ولا تعب
كاننا شعب اسرائيل نضرب في	تبه ونشرب بالكأس التي شربوا
ضاقت بنا ارضنا وهي التي رحبت	قد ما وسال عليها الدر والذهب (٣)

(١) الملحق : ٢٢ .

(٢) من رسالة لفوزى المعلوف - مجلة المعارف - س ٤ (١٩٢٠) ، ع ٤ : ٢٥٨ ، جاء فيها
مانصه : " هذه الاماكن المقفرة كانت من قبل آهلة بعدد كبير من الاحياء ،
تسير في طرقاتها وتحيا في محيطها . وهذه الاطلال المائلة اليوم كانت امس قصورا فخمة
شاهقة ، ومدنا عظيمة زاهرة تتماوج فيها الجلبة والضوضاء ، وقد خلفتها الان وحشة الموت
وصمت المقابر . فأصبحت قصور الملوك وكنا للضواير ومدابح للحشرات ، والبرارى الغاصة
بالقرى والمزارع والحقول المحروثة والطرق المزدحمة والمنازل الالهة اصبحت كلها بلقعا قفرا
ينعق عليه اليوم . انها كانت تقوم بأود عشرين مليوناً من السكان وهي اليوم تكاد لا تكفي
اقل من مليونين . فماذا اصابها ؟ واى انقلاب طرأ عليها ؟ لهني عليك يا سورية ، يا
بلادى المحبوبة . وداعا والى اللقاء القريب اذا قدر لي ان اجني ثمرة عزمي وقوتي وشبابي
فارجع لادفنها فيك مفضلا قراك الموحشة على المدن العظيمة ، ومناظرك الطبيعية على كل
ما في العالم من بدائع اصطنعتها يد الانسان " .

(٣) الملحق : ٢٢ .

فهذان العاملان السياسي والاقتصادي ، كانا من اهم الدوافع التي حفزت فئة من ابناء البلاد الى الهجرة وبالاخص شاعرنا . ومن هناك ، عبر المهجر ، اطلق هذه الصرخات الداوية في الفترة الاولى . والصورة التي يرسمها لنا عن المهاجرين وكأنهم بنو اسرائيل في التيه هي صورة حية للمصاعب التي لاقاها المهاجرون وشظف العيش الذي قاسوه . ومع ان فوزى - كما بينا - لم يشق او يتعذب الا انه رأى نفسه في كل المهاجرين ممن حملوا مصيرهم على اكفهم وانطلقوا بجيوبهم ارض الله الواسعة طلبا للرزق .

ان الشواهد الآلفة تعكس لنا الروح الوطنية الحرة الابية التي سرت في شعر فوزى المعلوف " وما ران عليها من نزعة قومية عربية متمردة على كل سيطرة اجنبية ، وعلى كل ما يقسوس بناء الوطن الجديد . وكان عنيفا في حملته على التخاذل والاستخذاء للاجنبي ، ولا سيما حين استل اللعنة من افواه الاحفاد ليقذفها في وجوه الانذلاء الخانعين الذين رضوا لوطنهم ما يستنكره ذلك التاريخ المجيد المرصع بالبطولات . كما نلمس ما يفتك بجسم الوطن من امراض الطائفية والجهل والاهمال - وكما عالج بعض المشكلات الاجتماعية " (١) . وكان صريحا جريئا متحديا كأنما شعر انه يحمل رسالة القومية والحرية . فهل ادى فوزى المعلوف - في مهجره هذه الرسالة العظيمة (٢) ؟

المرحلة الثانية :

اننا نقع على الاجابة عن السؤال الخطير الذي وجهه نظير زيتون في المرحلة الثانية من عمر هجرة فوزى القصيرة . والحقيقة ان نظير زيتون يحاول ان يجيب على هذا السؤال بشيء من الصراحة ، ولكنه يؤكد على الناحية السلبية فحسب . يقول زيتون عن فوزى المعلوف ما نصه (٣) :

" ولكنه لم يلبث ان انفصل عن هذه الجماهير التي احبت فيه شاعرها ونغم امانيتها وانتفاضاتها ، وانطوى على نفسه في ما يشبه البرج العاجي منصرفا الى ميدان جديد يطلق فيه خياله ووجدانيته الذاتية ، وكأنه يبحث عن الشعر الذي يكتب له الخلود ثم يستطرده قائلا :

(١) مجلة الرسالة المخلصة : ٨٢ .

(٢) المصدر السابق : ٨٢ .

(٣) المصدر السابق : ٨٢ .

" قد نلتزم له عذرا اذا رأيناه ساكتا ، واذا لم توجج له هذه الثورة المحررة قافية ، (المقصود بها الثورة السورية الكبرى ١٩٢٥) • ولا هزت له نغما •••• ولكننا نحارشد الحيرة في تفسير هذه الدعوة الانهزامية (يستشهد زيتون بقصيدة على شواطئ ريو ١٩٢٧) التي كان الناظم في طبيعة خصومها ، وفي تحليل هذه النصائح المنتكسة المنتكسة التي تقود الى التفهقر والخمول والهوان • ترى لماذا تنكر فوزى المعلوف في هذه القصيدة الانهزامية ، لفوزى الشاعر الحر الابي ؟ وما هي العوامل التي دفعته الى مناقشة الشعراء الوطنيين في بث الروح القومية والتعبير عن ارادة الامة التي تدفع الذل والخنوع بالدم والارواح ؟ " (١)

يبدو لي ان فوزى المعلوف قد تبدلت بعض مفاهيمه الفكرية والسياسية في هذه المرحلة • ولعل ذلك يرجع الى لون من القنوط تملكه من ناحية والى وعي اعمق من ناحية اخرى • ومن يقرأ قصيدته " على شواطئ ريو " يدرك في يسر ان فوزى المعلوف لم يكن متخاذلا بقدر ما اصبح واقعيا • فاسمعه يقول :

ودع السياسة حربها وسلامها	واحفظ لنفسك في الحياة سلامها
شط المزار فما صياحك نافع	شيئا وقد ألوت بلادك هامها (٢)

لا ريب انه يلجح لنا للوهلة الاولى ان فوزى قد استولى عليه القنوط وفقد كل امل في خلق مجتمع كريم حر • ولكن المتأمل للبيت الثاني ولا سيما الشطر الاخير منه يتبين ان يأس فوزى نجم عن تخاذل بلاده لانها هي التي ألوت هامها ، وهي التي اذعنت للاجنبي ، وذهبت كل صيحات القومية والدعوة الى الاصلاح ادراج الرياح :

هذي بلادك ما نفعت قيامها	فهي ما نظمت ولا بعثت نيامها
هي لم تزل هي رغم كل شكية	ابدا تسوس ذاتها بها اغنامها
ومنى رأيت كما ترى حكاهمها	فاحكم بفوضى ضعفت احكامها (٣)

ومع ان هذه شكوى يأس مريع الا ان فيها كل تأنيب وتقريع لبناء الوطن النائم على الضيم • اهم اموات لا يستفيقون على هذا الدوى ؟ وما جدوى الصراخ وصوت النذير ان اصمّ

(١) مجلة الرسالة المخلصة : ٨٣ •

(٢) ديوان فوزى المعلوف : ٤٠ •

(٣) المصدر السابق : ٤١ •

السامع اذنيه واغمس عينيه عن الواقع ؟ فوزى يتهم امته ، وفي هذه التهمة التي يصم بها وطنه يود لو يثير فيهم الشعور بالكرامة لعلهم يتمردون . ولا يقتصر الموقف على ابناء امته ، بل يلتفت الى الداعين الى الثورة على المستعمر من ابناء المهجر ويخاطبهم بشيء من القسوة :

اتكون فارسها وتحجم دونها	مستنجد احرانها وثأمها
والبحر بينك في الجهاد وبينها	وقاك نيران الوغى وسهامها
لله من حرب تثير ضرامها	لترى سواك وقيدها وطعامها
ان الالى استلوا هنا اقلامها	غير الالى استلوا هناك حسامها
والحاملون على الصدور كلامها	غير الرواة عن الصدور كلامها (١)

يخيل الينا ونحن نقرأ هذه الابيات اننا نلمح فيها طابع السخرية المبطنة بالاضافة الى النقمة العارمة التي تشتعل في صدره على الداعين الى الحرب ، وهم بعيدون عنها يفصل بينهم وبينها محيط يقيهم شر ضرامها . وكأنما يقول فوزى لتلك الفئة الداعية للثورة ، ان اردتم لبلادكم الحرية وكنتم من فرسانها فهبوا الى ساحة الوغى ، ولا تتستروا وراء الالفاظ والاقوال . ولو كنتم ممن نزلت بكم ويلات الحرب لما ملأتم الدنيا سياحا وضجيجا . والحقيقة ان بذور هذا الموقف لم تكن وليدة اللحظة ، بل اننا نتأثرها في قصيدة امانى مهاجر حيث كانت دعوته تقوم على الهمة والعمل والعلم والمحبة دون الاقوال والقضب . ففوزى يسعى وراء عمل فاعل في نهضة الامة ، ويتنكر للخطب والدعوات التي لا تقترن بالعمل الخلاق . ولا مشاحة ، فأن فوزى في هذه القصيدة ينعطف عن خط سيره الاول اذ ادرك عدم جدوى الكلام امام واقع لا يبشر بخير ، ولا سيما ان الذين يدعون للثورة من شعراء مهجرة يتقاعسون عن خوض غمارها ويتركون لسواهم يبتلون بويلاتها .

وفي قصيدة " مقتل السردار " (٢) (١٩٢٥) ، نرى لفوزى عودة الى النغم القديم

النائر على خفوت في الجرم الصاخب :

وضج من السخط وادى الملوك	وزمجر فرعون من لحده
وكاد الصعيد بأهرامه	يثور على الظلم من وجده
ويعشي ابو الهول في موكب	فراغة المجد من حشده

(١) ديوان فوزى المعلوف : ٤١ .

(٢) الملحق : ٢٥ .

جوى النيل يزيد في سلكه

وسار المقطم في عقده

ليحتج للارض اول للسماء

ايا امة النيل صبرا (وخلصي

عدوك يسرف في كيدته)

الضعيف (ويقدم في زنده)

فلم ار كالظلم يبعث عزم

اولا نجد في هذه القصيدة " فوزى المعلوف " كما رأينا في قصيدة امانى مهاجر ،

والمأسدة الخالية ؟ وهل هو حقا منفصل عن الشعب يعيش في برجه العاجي ؟ ان هذه الابيات تتضمن الاتهام الشديد للمستعمر الذى ينكل بافراد الشعب مما ادى الى مقتل السردار . وهناك دليل آخر على هذا الرأى نعثري عليه في قصيدة فرعون وقبره (١٩٢٦) حين يهتف ببني التاميز قائلا :

فالظلم كم يجني على اربابه

مهلا بني التاميز في غلوائكم

وذعرت في البرق سور غابه

اقلقت في البحر حوت عبابه

وتزعتم في الجوحكم عقابه

وثلثتم في الارض عرش ملوكها

ووضعت الاغلال فوق رقابه

وسحقتم الشعب الضعيف بجوركم

بعد الجهاد وبعد طول عذابه (١)

قدعوا المكفن آمنة تحت الشرى

وانها لصرخة حانقة يتميز بها صدر الشاعر حين يعدد مظالم المستعمر الذى لم يكتف

بما يسوم به الاحياء من شر بل اوغل في طغيانه حتى راح يلقى الاموات ويجني عليهم . فالذين

اتهموا الشاعر بالانهزامية والنكوص اساءوا فهم قضيدته ، وتوهموا انه تنكر لمواقفه الثورية

السابقة ولجأ الى عوالمه البرج عاجية وحدها ، على انفصال تام عن المجتمع . وهذا رأى

يصعب قبوله لتوفر الشاهد والدليل .

ولكن الملاحظ ان فوزى في هذه الفترة بالذات ، اى في عام ١٩٢٦ نشر ملحنته

على بساط الريح . وهذا يعني ان الشاعر كان يبحث عن منافذ جديدة يطل منها على العالم

ويسبر غور الوجود ان استطاع . والحقيقة ، انه بالاضافة الى قصائد فوزى في المرأة والحسب

والطبيعة والوطنية فهناك الجانب الاهم والاعمق والاشمل من شعره ، غنيت الجانب التأملية

الفلسفي . ولعل فوزى قد استغرقه هذا الاتجاه بحيث تغلب على موضوعات شعره الاخرى ،

وان لم يفصله عنها فصلاً تاماً . ولعل هذا الاستغراق المتولد عن احداث الحياة وتناقضاتها ومظاهرها اخفاقها وعجزها عن تحقيق اشواق النفس ، طغى على الحوافز الوطنية الحارة التي كانت تتأجج في صدره كلما هبت رياح الثورة في بقاء العالم العربي . ولاذ بنفسه يغموص على الذات ، على ما هو اعمق وثابت ، ومن هنا ، بفعل القنوط من الواقع العربي ، وبتأثير التناقضات ، ومزاج فوزي ، اشرف على عالم ارحب هو عالم النفس والكون والوجود .

خامساً - شعر فوزي التأملی :

اتسم شعر فوزي المملوف التأملی بطابع التشاؤم .
والحقيقة ان لفظة " التشاؤم " هي مفتاح هذا الشعر التأملی ، والنافذة التي يمكن ان ندخل منها الى طبيعة حسه بالوجود ، ونظرته الى الحياة . ومن الصعوبة بمكان عظيم ان نتبين علة هذه النظرة الكثيبة للحياة عند فوزي الا اذا نظرنا اليها من خلال نفسية شاعر مرفقة ، تتوق الى عالم متسام لم تعثر عليه على الارض ، فعذبها التناقض ما بين الخير والشر ، ما بين النفس والجسد ، وبين اشواق الاولى ورغائب الثاني . اصف ، ان الحياة بكل ما فيها من شـرور وآلام اسدلت على نفس الشاعر ظلاً قاتماً ، ولم تساعد الاحداث ، فيما بعد ، على تبديل هذه النظرة او محوها .

يقول شفيق المملوف ان التشاؤم " اصل في روح فوزي لم يكن للطوارئ يد في تكييفه فهو ماشاء منذ الطفولة ، ففتح عينيه في المهد واغلقهما في اللحد " (١) .
ولا يعدو شفيق الحقيقة ان خطبة فوزي عن فقير يموت في قارة الطريق تنم عن اسى عميق يختلج في النفس ولا سيما حين يردد قائلاً :

" الموت ، الموت ، كلمة رهيبة مكتوبة في كل مكان ، على اديم الغمام ، على صفحة الارض ، على متن الرياح ، على كم الزهرة ، على جذع الارزة ، على جبهة الانسان " (٢) . ففكرة الموت بكل ما تشحن خيال صبي لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره تغلف نظره الى الحياة بلون اسود وتصب في رواه صنوف الشقاوة والمرارة .

وهذه المرارة ليست شخصية " وجذورها لا تقوم في حب خاب ولا في صفقة خسرت ولا في حاجة الى مادة ، ولا في موقف اجتماعي خاص يتسم بالضيق والحر ، وانما هي في هذه التعاسة الروحية التي يعانيتها المجتمع من حوله وتلقي على الناس في دنياه ، في بلاده ، ظلاً كثيفاً من الهجوم والافواج " (٣) .

(١) ذكرى فوزي المملوف : ١٢ .

(٢) المصدر السابق : ٩ .

(٣) مجلة الرسالة المخلصة - مزاج كتيب وشاعرية اصيلة - شرارة ، عبد اللطيف - من ٢ : ٦٩٦ .

ويرى البعض ان تشاؤم فوزى يعود الى باعثن (١) ،

اولهما باعث وطني وانساني عام .

والثاني باعث اجتماعي .

والباعث الاول هو الحقبة المظلمة التي سادت عالم فوزى المراهق ، حقبة الحرب الكونية

الكبرى بما فيها من مآسي الطفولة المشردة ، والجوع الفتاك ، والموت الذي ينشر ظله الرهيب .

والباعث الثاني هو التناقض بين الواقع والمثالية وعلاقة الانسان بمجتمعه .

ويرى نظير زيتون ان تشاؤم فوزى قد يكون بداعي " ازمة حادة من بؤس روحي عميق تجلى

في تشاؤمه وتمرده على الحياة ودعوته الى العدمية ، بعدما يئس من ان تقتلع له الحياة جذور

هذا البؤس الروحي الضارى الذي كان يعانيه باطنيا ويتجسد حروفا متمردة متحقة " (٢) .

وفي رأى الاب جبرائيل ابو سعدى ان تشاؤم فوزى ناجم عن فساد الناس وشر المجتمع

وطغيان المستعمر " فتحول حزنه الى تشاؤم ، والتشاؤم عنده عقيدة يقيس بها الحياة وشؤونها ،

وهذا التشاؤم قاد فوزى الى النظر الى الحياة والاجتماع نظرات غير التي نألفها " (٣) .

ويقول الدكتور زكي المحاسني : " وقد وجدته مريضا كغيره من العباقرة . وكان مريض

نفسيا ، فانطوى على الم دفين قد ينشأ مثله من الخيبة في حب عظيم ، او لوجود داء عضال

يوقن المرء بحتفه . وقد كانت هذه البواعث مجدية في شعر فوزى المعلوف " (٤) .

او قد يكون ارهاصه الباكر بالموت ، على غير ما وعي منه ، على حد ما رأى بعضهم في

قوله : " ولا ارى وراء هذه الظلمات التي تغمر جو فوزى النفسي غير شعور صادق بالموت ،

تسلل الى سريره خفية ، ودون وعي منه ، ثم اقام فيها لا يبرح ولا يزول . وجاءت الاحداث

الخارجية من بعد ، بما تنطوى عليه من خطوب ورزايا ، ان في حياة الوطن ، وان في سيرة الام

والشعوب ، جاءت تؤيد ميله الى الكآبة وتشد نزعتة الى التبرم . واسترسل هو مع احساسه الخافية ،

ونزعاته الدفينة ، ولم يحاول قط ان يقاوم جرثومة التشاؤم ، ولا فكر بالوقوف في وجهها ، وايقافها عند

حد من تغلغلها فانتهى آخر الامر الى حالة مرضية واضحة الاعراض ، وانتقل العرض النفسي مع الزمن

الى داء جسسي لم تؤخذ دونه وقاية ولا سبق ان وقفت في طريقة مناعة . . . " (٥) .

(١) مجلة الرسالة المخلصة - س٣ - بين فوزى المعلوف وحكيم المعرة - ها شم ، جوزيف : ٢٠٩ - ٢١٠ .

(٢) المصدر السابق - اضواء على فوزى المعلوف : ٢٢٠ .

(٣) ابو سعدى ، جبرائيل - فوزى المعلوف : ٢٠ - ٢١ .

(٤) مجلة الرسالة المخلصة - شاعر قبلت فمه الالهة : ٧ .

(٥) المصدر السابق - مزاج كئيب وشاعرية اصيلة - شرارة ، عبد اللطيف : ٦٠ .

وهذا المزاج الكئيب ، انما كان يوغل في الكتابة لان صاحبه شاعر ، " وشاعريته كانت تسد على الفكر طريقه الى درس ما يجري داخل النفس وتصرفه عن التأمل والعمل على التخلص الجدى من الآلام ، والآلام النفسية خاصة . اى ان فوزى كان يستجيب فوراً لاحتياجه الحزينة المنبثقة عن مزاجه ، ويصبح همه واهتمامه في التعبير عنها ، في بيانها ، في وصفها ، دون اى تفكير فيها او اى تعقيب ذاتي عليها " (١) . بل انه في حكم المؤكد ان فوزى كان يستعذب الالم ، ويتلذذ باناته ، كما اشرنا اعلاه . وهذا شعور لازم العصر حتى غدا " داء العصر " .

يتبين لنا مما تقدم في هذه الدراسة ، ان آلام فوزى ونظرته التشاؤمية تولدت عن عوامل عدة اهمها :

- ١ - الاوضاع السياسية الفاسدة ، وقد بحثناها في شعره الوطني .
 - ٢ - الاوضاع الاجتماعية التي اصطدمت بمثالية فوزى فتولد عن هذا الاصطدام ذلك الذوب الشعورى الاسود الذى انبثق من حشاشته تشاؤماً دافقاً .
 - ٣ - شرور الانسان وغدره وخيائنه .
 - ٤ - الصدمع الناشئ في وحدة الكيان او الذات بداعي المتناقضات والثنائية ، فتولد عنها الالم الفاجع ، اضاف الى عجزه عن ادراك مصيره ومآله .
- وحين نلجأ الى شعر فوزى نستقرئه مراميه التأملية ، ونغوص على كنه اسراره ، نرى ان مظاهر التشاؤم هي الصبغة العامة التي تصبغ شعره التأملى بالوانها ، وتضفي عليه كآبة قاتمة ماثرا احزان النفس الممزقة .

أ - الالام :

ان المصدر الاكبر للالام في شعر فوزى هو التناقض والفجوة المحيطة بين اشواق النفس المتسامية ورغائب الجسد الفانية . وهو في سعيه الدائب نحو تحقيق اشواق النفس والتعالى بها لا يجد مفراً من ان ينصهر في بوتقة المعاناة ، ويقاسي آلاماً براحاً . والانكى من هذا كله ، انه يرجع الى واقعه الرهيب ، وقلبه ينزالما لانه عجز عن الانعتاق من قيود الجسد :

عشت بين المنى يراود نفسي خلّب من طيوفها وعقام
اقتفيتها وفي يديّ فــــوادي ثم الوى وفي يديّ حطام (٢)

(١) مجلة الرسالة المخلصية - س٣ ، ١١٤ - مقال مزاج كئيب وشاعرية اصيلة ، شرارة ، عبد اللطيف ، ٦٠ .
(٢) على بساط الرّيح : ٩٣ - ٩٤ .

وهي مأساة فاجعة لان القلب التواق الى الرؤيا المتحررة من شوائب المادة قد اخفق في التسامي نحو الذات العليا التي راودت احلامه ، فعاد الى الارض حطاما . والشاعر يدرك ان ما يتوق اليه هو حلم ذهبي ، بيد ان النفس بطبيعتها ، تلجأ الى الاحلام هربا من عالم الواقع الرهيب :

اي حلم سبكه ذهبيًا	لم تذبه بنارها الايام ؟
ورجاء حبكه من خيوط	النور ، لم ينسدل عليه الظلام ؟
اي عود حملته للتلهي	لم تقطع اوتاره الآلام ؟
ونشيد وقعته للتأسي	لم يعكره بالانين الغرام ؟
اي كأس قربته من شفاهي	لم تحل حظلا عليه المدام ؟
وفؤاد ذوّبت فيه فؤادي	لم يضع عنده لعهدى ذمام ؟
اي طيف عانقته في منامي	لم يكلله دمع عيني السجام ؟
وهنا زرعته في ضلوعي	لم يكن منه للذبول طعام ؟
ليت شعري ، والليل يعقبه	الفجر ، متى يعقب البكاء ابتسام ؟ (١)

اسئلة قلقة معذبة يلج منها الشاعر الى تلك الظلمة المتكاثفة في اعماقه . وهي اسئلة لا يجد لها جوابا ، بل تلون الحياة في عينيه بظل قائم يبعث على الاسى والشقاء . وهو من خلال هذا الشعور القانط الفاجع ، يحس بالتناقض العجيب بين ما يريد وبين الواقع الاليم الذي يحياه . وماذا كان يريد الشاعر ؟ :

ضاع عمري سعيا وراء رسوم	خططتها في الشاطئ الاقدام
عشت ابني على الرمال وهل يثبّت	ركن له الرمال دعائم (٢)

اهي الاحلام المتنامية في وجدان الشاعر لعالم مثالي مسحور ، يصبوا اليه لعله ينجوه من الوقوع في قبضة المجتمع الفاسد ويتحرر من عبوديته وشقائه ؟ وما هذه الرسوم التي خطها على رمال الشاطئ ، فبلغتها الامواج في مداها ومحت أثارها ؟ وما هذه الصرخة التي يطلقها بعد ان درست معالم احلامه فيقول :

لم يبق لي في الارض من بغية	ما الارض الا جنة الاحمق (٣)
----------------------------	-----------------------------

(١) على بساط الريح : ٩٥ .

(٢) المصدر السابق : ٩٥ .

(٣) الملحق : ٦ .

ان الشاعر يتعذب لانه يدرك بأن عالمه هو عالم آخر لا يستطيع الوصول اليه . وكلما حاول ان يحلق الى اجوائه على اجنحة من خيال عبقرى يصطدم بالواقع المرير . وهو ان يكتشف هذا الواقع يتألم ، وفي قرارة علمه ان موطن الشاعر هو ليس في هذه الدنيا وانما هو فيها غريب ،
في عباب الفضاء فوق غيومه

فوق نسره

ونجمته

حيث بث الهوى بثغر نسيمه

كل عطره

ورقته

موطن الشاعر المخلق - منذ البدء - لكن بروحه لا بجسمه
انزلته فيه عروس قوافيه / بعيدا عن الوجود وظلمه (١)

فهذا هو موطن الشاعر . وحين يمضي فوق تراب الارض فهو يمضي على ارض غريبة بعيدة كل البعد عن مرتع احلامه وموئل حبه واشواق نفسه ، وكأنما هو سقط من جنة الفردوس كسقوط آدم وعاش في ارض لم يخلق لها منذ البدء . وما الجسد الذي اصبح اسيره الا الخطيئة التي افضت الى طرده . وحين يتطلع من بعيد الى " ارض الوطن " ، ويستشف روعة الاحلام الاولى ، يدرك الخسارة الجسيمة التي مني بها حين وقع اسيرا في قبضة الجسد . ومن المولم حقا ان يتوق الشاعر الى عالمه ويرغمه الجسد على العبودية والقبول بالواقع قسرا ؛

ليت شعري ما الشاعر ابن لهذى الارض الا بلحمه ويعظمه
فاذا اختار هجرها برضاه اقماءها مقودا برغمه ؟
هو منها وليس منها فمما زال غريبا ما بين ابنا امه (٢)

فنفس الشاعر هي ليست من هذه الارض . ولانها ليست من هذه الارض هي غريبة عن ابنا امه . وما زالت هذه النفس غريبة فأنها تتعذب لانها في شوق دائم الى الموطن السعيد . فالقصور عن تحقيق هذه الرغبة الجياشة ولدت في نفسه الما دفعها بالكآبة والاسى . وقد استمر هذا الالم الى حد الالفة . يقول الشاعر عن روحه ؛

(١) على بساط الريح : ٣٧ . وهذا يذكرنا بقول الخيام :
(٢) المصدر السابق : ٣٩ . ان روحا من عالم الطهر جاءت لك ضيفا ما التاث بالغبراء
(رباعيات عمر الخيام - ترجمة السيد احمد الصافي النجفي : ١١٩) .
بيروت .

لست من عالم التراب وان كنت
انت من عالم بعيد عن الارض
تقمصت بالتراب عليه
يفيض الجلال عن جانبيه (١)
فقد طرد من هذا العالم ، واضطر مرغما على هجرانه ، وسكن الارض التي يفضل عليها
رمن القبور :

هو بالرغم عنه من عالم الار
سكن الارض مرغما وهو لـ
ومن حيث ان هذه النفس قد حرمت نعمة الحياة في عالمها النوراني ، ولم تتوسد الثرى
بعد ، فانها تقاسي من العذاب الوانا ، وتئن بعد ان ضاقت بها الآمال العذاب ، وحطمها
الواقع . ومما زاد في سعيها الامها ان تلك الاشواق لم تمت بل تفاقت ضراوتها وازدادت حدة
واشتعالا ، فجاءت النفس من الارض تبحث عن ذاتها :

جاء من ارضه يفتش عنسي
بائسا فاخشعوا ليأسه (٢)
ان الشعور بالغربة شعور رهيب حين يساور الانسان . والشاعر غريب ، ويظل غريبا
حتى يلتقي روحه (٤) . ولا شك في ان فكرة الغربة تمسح شعر فوزي بمسحتها الحزينة اذ امتزجت
بغريتين : غربة الهجرة ، وغربة النفس التي راحت تطلب ذاتها في العلا الاعلى .
والشاعر ان يخفق في الانعتاق الكلي ، ويدرك ان القوى التي تشده الى الارض هي
قوى القاهرة ، يفيض قلبه اسى وكآبة . ولفرط هذا الحزن والواقع الاليم :

الف اليأس قلبه وهو اليأس
بحاكي بشينة وجميعلا
واذا اليأس صد عنه قليلا
راح يبكي على نواه طويللا (٥)
وانها لصورة تبعث على الرعب ان يصبح الانسان اليأس ، وخدين الشقاء ، يتشوق
اليه على رغبة ، وينشده كلما نأى عنه ، لا يريد من اليأس هربا ولا يبغي منه نجاة .

(١) على بساط الريح : ٤٦ .

(٢) المصدر السابق : ١٢٦ . وهذا يذكرنا بأبي العلا المعري حين يقول :

دعا لي بالحياة اخو وداد
رويدك انما تدعو علي
وما كان البقا لي اختيارا
لوان الامر مردود السي

(اللزوميات - ج ٤ : ٤١٥ . تحقيق ابراهيم الاعرابي ، بيروت ١٩٥٢)

(٣) على بساط الريح : ١٢٧ .

(٤) المصدر السابق : ١٣٣ .

(٥) المصدر السابق : ٧٨ .

ان العجز عن الانعتاق من قيود الجسد واطلاق سراح النفس التائفة الى عالمها العلوى التي هي منه ، يولد في الشاعر الما فيصبح شارد الفكر ، حائر الطرف هائما في المجهول ، تاه في عالم الخيال فضاعت نفسه وهي تنشد المستحيل^(١)

ولعل طلب المستحيل هو الحافز الاعظم على الالم ، لان طلب المستحيل اكبر معزق للنفس . وما ذنبه في هذا الشوق وروحه هي من عالم الالهة ؟ فجوهر نفس الشاعر من مادة تختلف عن مادة الجسد ، تتوحد في ذاتها اشواق ومنى ، ابعد ما تكون عن عالم الارض . ولكن ما تصبو اليه هو المستحيل ما زالت اسيرة هذا الجسد ورغائبه . فأى الم يعترى النفس ما بين طموحها وعجزها ؟

اما المصدر الثاني من مصادر الالم فهو الشر . والشر يغمر الارض ويملاءها فسادا فتشقى ويشقى معها الناس . وليس في الوسع الخلاص من هذا الشر ما زال الانسان عبدا للمادة :

هو في الارض حَفْنَةً مِّنْ تَرَابٍ
فَأَبْهَرَهُ

طَيْبٌ مِّنْ وَمِمْ

.....

وكما كان اصله من تراب الارض يغدو مصيره لترابه^(٢)
اذا يلج هنا عنصر التراب ليخلق بذور الخير التي تحطمها النفس . وفي هذا صراع اليم ما بين الخير والشر ، وعنصر الشر هو الاقوى اذ يستمد طغيانه من طبيعة المجتمع الذى فيه ينمو . اما الخير فهو غريب عن الارض ، وعن المجتمع ، موطنه عالم الروح ، وبالتالي يتغلب الشر على الخير ويشعر الشاعر بغرته ، ولا ترى النجوم في الشاعر غير الشر :
هو يخيا للشر ، فالشر يحيا ابدا حيث حلَّ شؤم ركا به^(٣)

(١) على بساط الريح : ٧٩ .

(٢) المصدر السابق : ١٠٩ .

(٣) المصدر السابق : ١١٠ . وهنا نلمح نفسا علائيا اذ نسمع صوت المعرى يقول :

الشرفي الجد القديم غريزة
في كل نفس منه عرق ضارب

(اللزوميات ج ١ : ١١٤) .

او حين يقول :

حوتنا شرور لا صلاح لمثلها

فان شد منا صالح فهو نادر

(اللزوميات ج ٢ : ١١٧) .

هذا ما يجترحه الناس استئثارا وانانية ، وهذا هو الشر بعينه لانه يفتقر الى الحب والاخاء . وقد استغل العقل والعلم استغلالا شنيعا في سبيل الخراب والدمار ، فحول الانسان الارض التي شاءها الله جنة خلد الى جحيم موت وقتل وخراب . فالطائرة ما بناها الا لسفك دماء الآخرين :

ما بناها الا لهدم المباني ولسفك الدماء في طيرانه
ليته لم يكن ذكيا فكلل المويل في الكون من نهى انسانيه (١)

فهو في نغمته على الذكاء البشري والرقى ينقم على الغاية التي اخضع لها الانسان ذكاءه ورقيه ، اذ ان مدى القتل قد اتسع ، ونتائج العلم والاختراعات الى الدمار والموت على نطاق اشم . فمثل هذا الرقى هو رقى كاذب لان المدنية الاصيلة تدعو الى السلم والبنا والتفاهم بين افراد الجنس البشري . لهذا يهتف متألما :

قالوا تقدمت الشعوب فقل لهم هذا التقدم للهلاك رواح
ما زال قتل الناس شرعا جائزا لا امن نومله ولا اصلاح
فيم التنازع والحياة قصيرة وجميعنا في ساحها سياح
اين التمدن يا دعاة وجوده والارض يخضبها الدم السحاح
لم تندمل فيها جراح شعوبها الا لتخلفها هناك جراح
ان كان هذا في الحياة تمدنا فليهنأ القروى والفلاح (٢)

فألم الشاعر يتفجر عن واقع رهيب يخضب العالم بدماء سحاح بأسم المدنية والتقدم والرقى . وهو ينقم على هذا التمدن لانه كان سببا لويلات جسام واخطار مرعبة ، وقتل وموت . فالعودة الى البداءة ، الى الطبيعة الصريحة التي لم تدنسها آثام المدنية خير الف مرة من التمرغ باوحوال الحضارة ، ان كانت هذه الكوارث ناجمة عنها . ومهما حاول الانسان ان ينجو من اثارها فان مظاهر وجودها تطل عليه اتى التفت ، لانها دمغت الوجود البشري بطابعها الدموى . ومن هنا ، يهتف الشاعر متمنيا لو ان عمر التمدن قد تأخر اجيالا فلم يكن في عهده :

ليت عمرانه تأخر اجيالا
فكل الخراب من عمرانه (٣)

(١) على بساط الرج : ١١٩ .

(٢) ديوان فوزى المعلوف : ٥٤ - ٥٥ .

(٣) على بساط الرج : ١١٩ .

فويل للانسان من هذه الحضارة الكاذبة لانها ستؤدي به الى كارثة فاجعة .
ومظاهر الشر لا تقتصر على هذه النوازع لان هذه النوازع تسعى الى غايات استعبدت
الانسان هي : عبودية القوة ، والشهرة ، والغريزة ، والحب ، والمال (١) . وهي عبوديات
عمياء ينقاد لها الانسان فتطوح به الى مهاوى الهلاك ، ويعجز عن التحرر من استبدادها :
كل ما في الكون اعشى ومنقاد على رغبة لاعشى نظيره (٢)

وكأنما يرى الشاعر ان الانسان مسير ، بل انه يقول بالحتمية والقضاء الذي لا بد منه .
فهو اعشى ، يخطب خطب عشواء ، ومنقاد لاعشى يقتاده في مناهات مجهولة . فما هو المصير ؟ وماذا
يحمل اليه الغد ؟ انه لا يدري . ولكنه يحس احساسا حادا بأنه عبد للقضاء ، بل ان الكون
باسره مستعبد لهذه الحتمية ولا فرار .

وليس هناك آلم للنفس الحرة من ان تصبح مستعبدة لشرور الحياة . فنفس الشاعر هي
حرة تتحرق الى عالمها المثالي ، وهي اذ ترى الشر يتفاقم تود لو تنعتق . وفي اعتاقها تزداد
اشواق الشاعر للحاق بها ، لان الالم الناجم عن المتناقضات الم مساوى ، اذ ان هذه المتناقضات
تولد صدعا في الذات ما بين الروح والجسد ، ما بين المثل والمادة :

بين روحي ، وبين جسي الاسير

كان بعد

نقت مره

انا في الارض وهي فوق الاثير

انا عبد

وهي حرة (٣)

فالنوازع الخيرة التي فيه ، النائقة الى المثل العليا تتعذب لانها مستعبدة بل اسيرة
في قبضة العبودية العمياء . عبودية كلية سيطرت على جسمه وعقله وقلبه وشعوره وحسه (٤) .
اما روحه فهي حرة وهو يتوق الى هذه الروح كما يتوق الظام الى قطرة ماء لان في اللقاء
انعدام الشائبة ، وفناء للشر وتحرر من العبودية ، وتلاشيا للصدع . ولكنه كان يطلب المستحيل .

(١) على بساط الريح : ٥٣ - ٥٤ .

(٢) المصدر السابق : ٥٤ .

(٣) المصدر السابق : ٥٥ .

(٤) المصدر السابق : ٥٥ .

والمجتمع الانساني مرتع الشر . والانسان هو صانع هذا الشر ، والدنيا مفعمة
بالخداع والنفاق والمراوغة . فلا صديق وفيا يركن اليه ، اذ ان الغدر اصبح ديدن الناس ،
والمصلحة الذاتية والطمع يحرضان الانسان على ارتكاب الفظائع والويلات :

الناس ، ما فيهم سوى غادر
مراوغ او مفسد مقلق (١)

وهؤلاء الغادرون لوثوا الحياة بادرائهم ، ودنسوا كرامة الانسان . وفوزي يؤلمه
الغدر وعدم الوفاء ، ويعذبه ان يرى مجازاة الوفاء بالخيانة ، فهو حين يصعد الى مراقبي
النجوم ، وتتجاهل احداها الشاعر القادم اليها من الارض قائلة :

" وقاك البعد
اختي ، شر انطلق جناحه (٢)

يتألم الشاعر ، ويناجي النجمة بكآبة وعتاب حزين :

ايه يا نجمتي الم تعرفيني	شاعرا ينصت الدجى لنواحه
كم ليال في الروض احببتها	ابكي واشكو اليك بين اقاحه
ساكبا في القواد من طرفك	السيال بالنور بلسما لجراحه
وسواد الظلام في قلبي حبر	اوشي به بياض صباحه
سامح الله فيك قلبا نسيما	وهو في الكون مثل قلب ملاحه (٣)

فهو على الرغم من نغم العتاب الرقيق فإنه يتألم لهذا القلب الذي ينسى الذكرى ،
والنجوى ، والحب ، ويجازيه بالجفاء ، والتناسي ، وسوء الظن . ولعل في هذه الابيات
انعكاسا عميقا لصدى فشل قد انتاب قلب الشاعر فزاد من ألمه وشقائه .

ان اشد ما يحزني النفس الرقيقة الوفية هي الخيانة التي لا تتكافأ بأى حال من
الأحوال مع الاخلاص والتضحية والوفاء التي تكنها للآخرين ، فيتملكها يأس جارف ، يعذبها ويعمق
جراحها .

ومصدر ثالث من مصادر الم الشاعر هو عدمية الحياة :

وعدمية الحياة تتجلى في عدد من الابيات التي بلغ فيها يأس الشاعر منتهاه . فهو
لا يرى في الوجود الا الشقاء ، كأنما الانسان ما خلق الا ليشقى ويعنى بمأساة الموت :

(١) الملحق : ٦ .

(٢) على بساط الريح : ٨٦ .

(٣) المصدر السابق : ٨٧ .

برعم الزهر ما وجدت لتبقى
هذه حالنا ، خلقنا لنبقى
بل ليمضي بك الخريف
ولتقضي ، بنا الحثوف (١)

وهي عدمية تستحيل معها كل ألوان العزاء لان الشاعر ادرك عبثية الحياة وعدم قدرتها على اضافة اى رجاء على النفس المظلمة . ولا يساور الشاعر اى شك في ان هذا الوجود لا يشبع رغباته ولا يحقق آماله . فلا المال ولا الشعر ولا السيف ولا العلم ولا الحب في وسعها جميعا ان تمنحه السعادة وتعطي لحياته معنى ، وان كان يرجو ان يلح محبوبته قبل الردى فلانه يقف على اطلال يدرك انها لن تدوم :

المال ؟ ليس المال عندى سوى
الشعر ؟ بحر كامل وافـر
السيف ؟ (والفرد) بطيـارة
العلم ؟ والكاسب من معول
الحب ؟ قف يا موت واشفق على
جراة العيار والزئبق
وليس يروى غلة المستقي
اقوى من الفرقة والفيلق
خير من الكاسب من مهرق
قلبي ودعه لحظة يخفق (٢)

ان الوجود لا عجز من ان يحقق رغبات هذه النفس لانه وجود شقي . وكل ما يصنعه الانسان مصيره الى الفناء :

ايها السائرون في الارض كبرا
خففوا الوطء فالتعجل يدنيكم
ان كل الذى عليها ظلام
والقصور التي بنيت على رمل
ثم ان هذا العيش مزروع بالشقاء فأنى تلفت لا ترى فيه غير النكد والعبرات والانات
كل ما يحويه هم فهم
ينقضي بين ليله ونهاره (٤)

ويتخذ الشاعر من الورد مثلا ، فبعد ان يكون نضرا فاتحا للندى جفونا تدرسه
الرياح وتذويه ارجل العابرين :

ثم ابصرتموه تحت تـراب
الم كلها الحياة فلا تضحك
الارض يختال فوقه السائرون
نغرا الا لتبكي عيوننا (٥)

(١) ديوان فوزى المعلوف : ١٢١ .

(٢) الملحق : ٦ .

(٣) الملحق : ٧ .

(٤) الملحق : ٢٥ .

(٥) الملحق : ٧ . وهنا نعود فنلتقي بالروح المعرية وهي تطلب من النامس ان يخففوا =

ويقول فوزى ايضا :

تلك القبور وهل وطئت ترابها
الا على قوم هنالك نسوم (١)
اذن ، فالحياة ، قد استحالت في ناظره الى عدم . وان من سخرية الاقدار ان
تكون الارض التي يطأ عليها الانسان بقسوة ولا مبالاة مكونة من اجساد الناس المتحللة .
وعدمية الحياة وعيشها يتجليان بصورة خاصة في قصيدة " نصيبك " اذ يعصف
فيها ذلك النغم المتشائم الرهيب ، فلا تكاد ترى في الدنيا طيف ابتسامة ترف على ثغر
الحياة . وتنسرب الى النفس كآبة غامرة ، هي كآبة قلب الشاعر ، وقد انقضى عمره في شقاء
دائم . فما هو نصيب الانسان من هذا الوجود ؟ يقول الشاعر :

نصيبك من هذا الوجود مصائب	وداء تقاسيه وموت تحاربــــــــه
تسر بمولود وتأسى لراحــــــــل	وطالعه رهن الفناء وغاربــــــــه
لعمرك ان العيش صفقة خاســــــــر	اذا وزنت لذاته ومتاعبــــــــه
وتقضي سني العمر سعيا لمطلــــــــب	فتقضي ولا يقضى الذي انت طالــــــــب
فما احقر الدنيا واشقى نزيلهــــــــا	ومرجعه هذا الثرى وغياهبــــــــه (٢)

فان كان هذا هو نصيب الانسان من الوجود ، وكان الشقاء حليفه عبر مراحل حياته ،
والعيش ليس سوى صفقة خاسر ، فلم الحياة ولم لا يلجأ الى الموت ؟ بل لماذا يولد اصلا ؟
ان نظرة فوزى التشاؤمية تقوده حتما الى مثل هذا التساؤل . فهو يصور لنا قبح الحياة ، فيرجع
بنا الى يوم المولد ليثبت بطلان محاولة الوجود اصلا ، فيقول :

ليت شعري ، لمن بستم ؟ اللآتي	الى النكون مستهلا بعبــــــــره (٣)
------------------------------	-------------------------------------

= الوطء عن الارض لانها من هذه الاجساد التي تحللت فيها :

خفف الوطء ما اظن اديم الارض	الا من هذه الاجساد
سران اسطعت في الهواء رويدا	لا اختيلا على رفات العباد
تعب كلها الحياة وما اعجب	الا من راغب فيها زديــــــــاد

(١) الملحق : ١٩ . (المعرى - سقط الزند : ٧ ، ط دار بيروت وصادر ، ١٩٥٧) .

(٢) ديوان فوزى المعلوف : ٣٧ .

(٣) المصدر السابق : ١٢٥ .

ان الطفل حين يولد يطلق صرخة عويل وكأنه ادرك انه يفتح عالما غريبا عنه بالرغم
عن ارادته ، فيستهر وجوده بعبرة يذرفها اسى وحسرة ، فما يولد الطفل الا للعذاب :

يولد الطفل للعذاب ، وهذى
بين اوجاع امه دخل المهد
سنة الدهر وقى الطفل شره
وبين الاوجاع يدخل قبره

. . .

من يمت الف مرة كل يوم
" تعب كلها الحياة " وهذا
وهو حي يستهون الموت مره
كل ما قاله فيلسوف المعصره (١)

فالمرء من مهد الى لحد يشقى ويتعذب ، وهذه هي سنة الدهر ولا مفر من قضائه .
ويقنع فوزى براى المعرى ويرى فلسفته تتلخص بأن الحياة كلها تعب ، وليست هناك بارقة امل
تضيء ركنا قصيا من نفسه المظلمة ، ويرسم الشاعر لوحة معتمة ليوم مولده ويتمنى لو انها لم تكن :

ايه يا يوم مولدى هجت فيا
لجنين راى الوجود فخبيا
خير عبره - وشرد كبرى
فيك فجره - لا كان فجرا (٢)

لقد بلغت الالام بفوزى المعلوف مبلغا راح معه ينعى يوم مولده الذى استنزف خير
عبره لاسوأ ذكرى . فهو ييكي اسفا لانه ولد تكتفه سويدا مكثفة ، واسود فيه فجره .
ويزداد شعوره بتفاهة الحياة وعدم قدرتها على اثارة نفسه حين تمر به الايام رتيبة مملة مخالية
من كل ما هو مشير وجديد :

غده مثل يومه تلعب الاقدار فيه
ويومه مثل امسه (٣)

وهذه الرتبة " تفرغ الحياة من معناها ، ولا سيما حين يدرك المرء انه لا يستطيع
ان يغير من طابعها لانه مسوق بارادة القدر المتلاعبه بمصيره . وهذا مما يولد قنوطا اعمق
تلوب به النفس .

فأن كان الشقاء سنة فهل هناك مفر منه ، ونجاة من قبضته ؟ ونحن نجد فوزى
يرحب بالعذاب باستسلام ورضى لانه يدرك عجزه عن المقاومة ايضا . يقول :

مرحبا بالعذاب يلتهم العيب ————— التهاما ، وينهش القلب نهشا (٤)

-
- (١) ديوان فوزى المعلوف : ١٢٥ .
 - (٢) المصدر السابق : ١٢٧ .
 - (٣) على بساط الريح : ١٢٦ .
 - (٤) ديوان فوزى المعلوف : ١٣٣ .

ولهذا صدف أبو العلاء عن الزواج والنسل فلم يشارك أباه في هذه الجناية .

الهدا لم يتزوج فوزى ؟ أم كان موقفه هذا موقفاً فنياً ؟ أم تراه مزج ما بين الحياة والفن ولم يتزوج فجاء امتناعه عن الزواج تعبيراً عن موقفه من الحياة ؟ انني اشك بذلك ممن حيث المبدأ لأن عنصر الحب ، وإن كان الشاعر يحاول أن يضفي عليه مفهوماً روحانياً مثالياً يحمله على التفكير بالزواج ، لا سيما أن فوزى ممن يقدسون الأمومة والمرأة كما بينا آنفاً . يبدو أن الشاعر كان يخفي سراً مكتوناً في صدره . ولكن من حيث نظرته إلى الوجود ، بصرف النظر عن دواعيها ، نرى فوزى يشارك المعري ^(١) في هذا الموقف العدمي . وفي قصيدة "الشبح الهائم" الضال في هذا الوجود ، يصف لنا نغمته على الزواج والولادة ، بل يلعن الأم ويتمنى نقض الزواج لأن الأم لم ترحم طفلها ولم تتركه في عالم الغيب يسعد بدنياً السديمية وينعم بالهنا :

يتمنى نقض الزواج من الناس	فلا يحبلون أو يلدونا
يلعن الأم تكثر النسل للرغبة	في النسل ثم تشقى البنينا
تحمل الطفل في حشاها شهوياً	ثم تلقيه للعذاب سنيناً ^(٢)

ذلك لأن في استمرار الحياة تفاقمنا في الشر ، وبالتالي تفاقم الألم . ويلوح لنا أن الشاعر ، أو الشبح الهائم ، يدرك عن وعي حقيقة الشقاء إذ يقول :

ينظر الناس يكثر على الأرض	فيبكي لأنهم يكثر علينا ^(٣)
---------------------------	---------------------------------------

لاعتقاد الشاعر أن بتكاثر الناس يتكاثر الشر ، وبتكاثر الشر تزداد سلبية الحياة ويتوالد الألم . وهذا موقف تشاؤمي مطلق جسده الشاعر في هذا البيت .

ومصدر رابع من مصادر الألم هو جهل الشاعر لمصيره :

والمصير مشكلة من حق الشاعر أن يجد لها حلاً لأنه يتوق إلى المعرفة ، غير أن الحل الذي يرغب فيه لا يمكن إدراكه ، فهو يتساءل :

كيف جئنا إلى الدنيا ممن أين جئنا ؟	والى أي عالم سوف نقضي ؟
هل حيننا قبل الوجود ؟ وهل نبعث	بعد الردى ؟ وفي أي أرض ؟
هو كنه الحياة ، ما زال ســــمرا	كل حكم فيه يؤول لنقــــس ^(٤)

(١) يقول المعري :

أرى النسل دنياً للفتى لا يقاله

فلا تنكح الدهر غير عقيم
(اللزومات - ج ٤ : ٢٠٠) .

(٢) الملحق : ٧ .

(٣) الملحق : ٧ .

(٤) ديوان فوزى المعلوف : ١٢١ .

ان الحديث عن المصير افضى به الى الحديث عن بدء التكوين ، عن الوجود الغيبي السابق للوجود المادى . وهي تساؤلات فلسفية حاول الشاعر ان يفرص على ابعادها ، على غير نجح كبير وان اورثته الحيرة والقلق . ولكنه يعود ويتغافل عن التفكير بالماضي والمستقبل ، لانه لا يستطيع ان يكتنه سر حاضره فكيف يكشف ما هو غيبي :

كيف اجلوغدى ؟ وادرك امسى ؟ وانا حرت كيف يومى سيمضى (١)

والتساؤل الذى اقلق فوزى عن اصل وجوده ومصيره ، اثار ايضا حيرة الخيام وان كان موقفه منه موقف اللامبالاة الذى همه من دنياه كأس خمر وقينة وغناء . (٢) وفي هذا ، عودة الى فكرة وجود الانسان بالرغم عنه ، والتساؤل عن اصله ومآله مع انه لم يكن له يد في مجيئه او غيابه . لم يحاول فوزى ان يفرص على اعماق الفكر الفلسفى في بحثه عن الاصل والمصير ، لانه كان ينظر الى المشكلة من وجهة نظر وجدانية وليس على غرار المعرى الذى كانت مشكلته مشكلة عقلانية ، نتيجة لازمة فكرية ومعاناة . ومن هنا كان موقف فوزى من هذه التساؤلات موقفا سطحيا دون استقصاء .

ولكن ما هو طريق الخلاص من شقاء الحياة وآلامها ؟

ان فوزى وقد خاب فآله من هذا الوجود ، ورأى فيه العدمية ، يبحث عن طريق النجاة

في العالم الاخر عبر الموت .

ب — الموت :

يرى فوزى في الموت نجوة وانعتاقا لانه يحرر نفسه من قيود الجسد التى تشده رغا ئبها الى الارض ، ولانه ينعق ايضا من حدود المكان والالام . لذلك نراه يرحب بالموت لان هذا

(١) ديوان فوزى المعلوف : ١٢١ . وهو في هذا لا يبتعد عن المعرى حين قال :
ارواحنا معنا وليس لنا بها علم فكيف اذا حوتها الاقبر
(اللزومات - ج ٢ : ١١٤) .

وهذا يشبه قول الخيام :
سر الحياة لو انه يبدول لنا
لم تعلمن وانت حي سرها
لبدا لنا سر المعات المبهم
فغدا اذا مات ما ذا تعلم
(رباعيات الخيام : ٩) .

(٢) ويقول الخيام ايضا :
لا تحسبني جئت من نفسي ولا
ان يك منه جوهرى ومنشئى
قطعت وحدى ذا الطريق المعنتا
فمن انا واين كنت ومتى
(رباعيات الخيام : ٤٠) .

الانعقاد الفلسفي من حدود المكان ينقذه من قبضة الاسى :

والان يا موت اليّ اقترب يا مرحبا بالموتق المعتق

معتق نفسي من قيود الاسى موثق جسمي في المدى الضيق (١)

فهو ان يسعى الى الحرية لا يجد ذلك الا عن طريق الموت . كان عزاء فوزى الاسبق

في لحظات من العمر ان الشعر كان يفك جناحي روحه من العبودية ، او بمعنى آخر هو اللجوء

الى الفن من حيث هو حرية ، وعالم سحرى ترتاده النفس وتحقق ذاتها ،

غير روحي فالشعر فك جناحها فطارت في الجوفوق نسوره (٢)

فعالم الفن هو العالم الذى تنعدم فيه المتناقضات ، هو عالم الحرية حيث تغنى الثنائية

وتولد الوحدة . ولكن هذا الانعقاد لم يكن ليديم طويلا ان هذه الروح كانت تعود دائما الى

عالم الواقع والشروع . لذا لا يرى هناك انعقادا كليا قط الا في الموت الذى يحرر من رقة العبودية .

يقول الشاعر :

ما وليد الالام غير اسير والردى وحده يحرر اسيره

ضائق الارض في الحياة عليه وكفته في الموت اضيق حفره

وهو ان مات ليس يخسر الا عيش بؤس فكيف يهرب خسره (٣)

فالردى اذا يحرر الانسان من الاسى حيث تنطلق الروح في فردوس الحرية تتغنى هائثة .

فسر الانعقاد ان يكون في الموت ، وبهذا يعتبر الموت سبيلا للحرية . ويصور لنا الشاعر ان النفس

تتوق الى الموت لانها تجد فيه تعبيرا عن اشواقها التي ستتمتع بها حالما تنتقل الى الضفة الاخرى

الحقيقية من الوجود . ففي قصيدة الشاعر المنتحر يقول عن الموت :

كيف احببته ؟ ومــــا اذا تصــــباك فأسرعت في اختيار جواره

باسما لاعتناقه ومشوقا للقاء وموجسا لفــــراراه

اهي الروح فيك جازت الى حد تكل العقول عن اظهاره ؟

ام هو الجسم ضاق عن ضم نفس حرة حملته فوق اقتــــداره (٤)

فهذا الشوق للموت هو بدافع الخلاص والتحرر ، لان الانسان ينجو أولا من عيش محتقر :

(١) الملحق ، ٦ .

(٢) على بساط الريح ، ٥٥ .

(٣) ديوان فوزى المعلوف ، ١٢٦ .

(٤) الملحق ، ٢٤ .

هجر العيش باحتقار فهل العيش شيء يدعو لغير احتقاره (١)
لذا ، فإن الشاعر يذهب الى القبر بملء اختياره بعد ان عجم عود الحياة فلم يرفيها
الا كل شيء يدعو الى الاحتقار والازدراء ، فإن كان الناس يذهبون الى القبر مرغمين فإن الشاعر
يسرع اليه الخطو عن رضى :

يذهب الناس مرغمين الى القبر وقد جاء بملء اختياره (٢)
لان في القبر راحة وهدوءاً وطمانينة تنشد لها النفس :

انما القبر راحة الجسم من آلامه والفؤاد من اكداره (٣)
فخير له اذا ان يختصر العمر لان عمر الشقاء طويل :

ان عمر الشقاء عمر طويل ومصيب من يعتني باختصاره (٤)

ومن خلال هذا المفهوم نرى الشاعر يشجع على الانتحار ، ما يزال هذا الانتحار هو درب
خلاص ابدى ، ولا سيما اذا كان الموت خيراً من عار البقاء الملوث بالشرور :

ليس عار في الانتحار مشين فهو خير من البقاء وعار (٥)

وليس الموت والقبر طريقاً الى التحرر من العبودية ، ووسيلة من وسائل الراحة والخلاص
من الآلام فحسب ، وانما في الموت خير عميم للبشرية ، ذلك ان الانسان الشرير افسد الارض وبذر
فيها الشقاء ، ولكن حين يموت يتحول الى قوة مغذية لا تضر بخيرها على النبات وبالتالي على
الكون :

وهو لا ينفع البسيطة الا حين يثوى في القبر بين رحابه

حين يمتصه الثرى فيغذى منه ما في الاديم من اعشابه

يا لعمرى كل النبات الذى في الكون من زهره الى لبلابه

ليس الا عصير اجسام ماتوا فزانوا الثرى باجعل ما به

تلك حال الانسان حيا وميتا رب خير الشر من اسبابه (٦)

(١) الملحق : ٢٥ .

(٢) الملحق : ٢٤ .

(٣) الملحق : ٢٤ .

(٤) الملحق : ٢٥ .

(٥) الملحق : ٢٥ .

(٦) على بساط الريح : ١١٠ - ١١١ .

فالموت بذاته تحول من صيغة وجود الى صيغة وجود اخرى . فهو يضيء غذاء
للنبات وتحولاً من شر الى خير . فالانسان اذا كان حياً كان يدوس على الازهار ويطأ اوراقها
باقدامه مع انه يغذيها بلحمه ودمه وعظامه ، فخيرها اذا ينجم عن موته ، وفي ذلك تحقيق
لاحدى فكر الخير ان الانسان الذي سبب الدمار في حياته اصبح الان مصدراً للجمال وغذاء
للزهور . (١)

وفي الموت يمزول التمايز ما بين غني وفقير ، وفي الموت تجتمع الاضداد وتلتقي غصص
السعيد وراحة المتألم :

عظم الحياة بهم هياكل اعظم	حالوا تراباً في التراب فاصبحت
رب القصور مع الضعيف المعدم	وتكافؤاً بعد الممات ، الا تسرى
غصص السعيد وراحة المتألم (٢)	يا للقبور وعندها اجتمعت معاً

ولعل فوزى رأى في عالم الموت رمزاً لتحقيق عالمه المثالي حيث يتساوى الكل وحيث لا
طبقية ، ولا فقر ولا غنى ، مرتع واحد لجميع القادمين من عالم الشر المنعتهين من اغلاله . فأن
كانت نفسه تتشوق الى مثل هذا العالم فلأنه عالم يسوده العدل والمساواة . فأمام الموت وفي
القبر يتساوى الكل ، لا فرق في ذلك بين شيخ وشاب وامرأة وصبية . في الموت يتم معنى المساواة .

(١) وهذا يشبه الى حد بعيد ما قاله الخيام :

الا وكان دما جرى لامير	لم ينم في الصحراء روض شقائق
خال بدا زماً بخد غريب	وكذاك كل ورقه بينفسج
(رباعيات الخيام : ٨٣)	

ويقول ايضا في مكان آخر :

قد نما من شفاء ظبي اغرر	كل عشب يبذ وبضفة نهـر
فهو نام من مزهر الخد نضر	لا تطأ ويحك النبات احتقارا
(رباعيات الخيام : ٦٩)	

(٢) الملحق : ١٩ . وبمثل هذا المعنى نقرأ ابيات للمعري ، ولعل فوزى كان قد تأثر بها :

ضاحت من تراحم الاضداد	رب لحد قد صار لحداً مزاراً
في طويل الازمان والآباد	ودفين على بقايا دفين
(سقط الزند : ٧ - ٨)	

وهكذا نرى الموت سبيلا الى الانعتاق ، ووسيلة الى الخلاص من شرور المجتمع ، وفيه خير عظيم له ، وفيه مساواة وتكافؤ . وهذا ما كان يتوق اليه الشاعر ويسعى لتحقيقه .

ج - الخلود :

وماذا وراء الموت ؟

وكيف يخلد الانسان عند فوزى ؟ لا نرى عند الشاعر اى مبدأ فكري للخلود الاخرى

كما هو مفهوم في الاديان السماوية ، وانما فكرة الخلود عنده مرهونة بما يترك الانسان من ذكر

حسن من بعد موته من ناحية ، وما يخلفه من اثر ابداعي من ناحية اخرى . يقول فوزى :

انما المرء خالد بالـــــــذي يبقيه في العالمين من آثاره

كم توارى القبور حيا وكــــم يمشي على الارض ميت لم تواره (١)

فالانسان خالد بآثاره ، وبما يترك من ذكر وعمل . فإذا الخلود في الاثر هو بداية ظهور

ابعد مدى اذ يظل الاثر مرتبطا باذهان الناس بالذين اجتروه عبر العصور ، في سلسلة حلقات

التاريخ البشرى . ومن حيث ان الاثر يخلد الانسان فإن ذلك واضح لدى عدد من الادباء

الذين خلدوا بعد موتهم ورجلهم الناس ويكبرون اثارهم :

هو خالد بعد الممات مكرم وقضى الحياة وكان غير مكرم (٢)

وفي مكان آخر يقول :

حيّ لعمرك من يموت وذكره ملء الحياة مرافقا اجيالها

سر الخلود مآثر تبقى اذا شدت سنوك الرحيل رحالها (٣)

ولقد رأى الشاعر ابان حياته ان العظيم هو من ترك اثرا في الحياة يفيض خيرا ،

وساهم في تقدم الحضارة عن اى سبيل ، فكريا كان ام ماديا ام اجتماعيا ام صناعيا . المهم ان

يكون قد ترك اثرا صالحا يرويه الالباء للابناء والاحفاد ، ويكون مثلا يحتذى به :

وابسم وحيّ مكرمك وقل لهم " هذى حياتي فاقتفوا اعمالها " (٤)

اما الخلود الحقيقي في مفهوم فوزى فهو خلود الشاعر عبر فنه :

ايه يا موت ، لن تمسّ خلودي فاقضى ما شئت لست وحدك تقضي

(١) الملحق : ٢٤ .

(٢) الملحق : ٢٥ .

(٣) الملحق : ٢١ .

(٤) الملحق : ٢١ .

وإذا كنت مالكا امرروحي
مثلما انت مالك امر نبضي
فانا خالد بشعري على رغم
زمان عن قيمة الشعر يغضي (١)
فالشعر هو الخلود ، لانه تجسيد لذات الشاعر . اولم يكن الفن سبيل الانعتاق
والحرية ؟ فقيمة هذا الشعر تصبح في تحقيقه لذاته ، وفي تحريره ، وفي هذا التحقيق
خلود . فشعره هو ذاته .

اما الخلود الروحي ، فذلك ظاهر في ملحته على بساط الريح ، ولا سيما في نشيد
عالم الارواح . فالنفس خالدة ، وتلك ترتقب نظائرها المتحررة حيث ترجع الى جوهرها . يقول
فوزي ،

ذاك شأني بالجسم في الارض نكته
جوهرى في مصيره غير عرضي (٢)
فالنفس جوهر ، ومن هنا خلودها الابدى . ولكنه خلود " يختلف اختلافا كلياً
عن الذى يفهمه الكهنة المسيحيون وينادى به اللاهوتيون الكاثوليكيون . فأن هؤلاء يسكنون
النفس دار النعيم ، اى محيط الرب الاوحد اما المعلوف فيعطي ذاته مرتعا عالم
الارواح ، مستقلة عن نفوذ الالهة . وهذا العالم الذى يتغنى به الشعراء وتؤمن به مخيالاتهم ،
. لا يحاكم النفس بجزيرة المادة التى كانت متلبسة بها بل يطلق لها عنانها بعمد
الانفلات ، ويريدها تنعم بكل ما يروق لطبيعتها الطاهرة " (٣) .
وهذه نتيجة حتمية لمفهوم فوزي بأن الانسان لم يأت الى العالم باختياره ، فما ذنبه
إذا دنست المادة طهارة النفس ؟

وهناك مظهر اخر من مظاهر الخلود عند فوزي يتعلق بمفهوم وحدة الحياة . يقول
فوزي :

قد حيننا قبل الولادة لكن
وسنحيا بعد الردى بينينا
بجدود قضا كما سوف نقضي
في كيان نعطيهِ بعضاً لبعض (٤)
وهذا موقف رومنتيقي اذ ان الرومنطيقية ، كما بينا ، تؤمن بوحدة الحياة ، بل بالحلولية
ايضا . ولعل في مفهوم فوزي هذا شيئاً من الميل الى فكرة التقمص ، اذ اننا نقرأ في موضع آخر ،

(١) ديوان فوزي المعلوف : ١٢٢ .

(٢) المصدر السابق : ١٢٢ .

(٣) المكشوف - هل كان فوزي المعلوف يؤمن بالتقمص ؟ مقال لخليل بركات - ص ٣ ، ع ١١٥ ،

٢٩ ايلول ١٩٣٧ ، ص ٧ .

(٤) ديوان فوزي المعلوف : ١٢٢ .

في مقال كتبه عن الاديب البرتغالي ملبا طحان ما نصّه :

" ومن يدري فقد يكون ولد بدويا صحيحا ولكن في حياة سابقة ، وكم في هذا

الكون من اسرار لا ندركها . وهكذا يكون قد زار بغداد فاستنزل الحكمة من قصورها " (١)

لهذا لا عجب اذا تولد في نفوسنا بعض الميل الى الاعتقاد بأن في شعر فوزى مملو

لهذا الاتجاه ، وان لم يكن على عمق كما نراه عند نعيمة وجبران . على كل ، فان هذا

الاتجاه يدخل في باب الخلود لان فيه استمرارا للحياة في العالمين الارضي والروحي .

* * *

(١) مجلة الشرق البرازيلية ، س٢ (١٩٣٠) ، ع ٤٢ : ١ - ٢ .

الخلاصة

ينتمي فوزى المعلوف الى جيل الشعراء الناشئين في الحرب العالمية الاولى الذين شهدوا ويلاتها ، فتركت اثارها في نفوسهم ، واحسوا بآساة الانسان الذى قاسى من الواقع الغم بالاحزان والافجاء ، وخيبة الامل المريرة ، والشعور بالضيق ، في عالم يحس فيه الشاعر انه غريب . ولم يكن فوزى منعزلا عن احداث امته او منطويا على ذاته ، بل كان يتأثر بها فتبدوا مظاهر هذا التأثير في نتاجه .

فعلى صعيد النثر ، ألف فوزى مسرحية " ابن حامد " في وقت كانت الهزات السياسية والحروب تعصف بالبلاد . وكان العالم العربي بمختلف اتجاهاته وتياراته يسعى للتحرر من استبداد الحكم التركي . وكأنما اراد فوزى في مسرحيته التاريخية هذه التي تقوم على الصراع بين العرب والاسبان ، ان يرسم انعكاس هذا الصراع بين العرب والأتراك باعتداده موضوع المسرحية . وكان فوزى حين كشف عن مواطن الضعف في شخصية السلطان ابي عبد الله يحاول ان يشير الى ادواء العالم العربي التي تتخرق في كيانه من اهمال ، وجهل ، وانسياق وراء الصلحة الفردية ، وتعصب . ولعل احساس فوزى بالواقع المرير ، والحالة التي تزدى اليها المجتمع العربي ، وشعوره القومي ، وحب لوطنه ، حفزته جميعا على انتاج هذا الاثر الادبي ، مستمدا من التاريخ العربي احداثه وشخصياته . فكانت شخصية ابن حامد التي هي تجسيد لشخصية موسى بن ابي غسان التاريخية الواردة فيسي تذييل رواية آخر بني سراج ، المثال الذى كان يترأى في ذهن المؤلف ، اذ كانت شخصية ابن حامد امتدادا وجدانيا لشخصية الشاعر الساعية نحو المثالية .

وكانما كان فوزى " مغلولا " في تصوير شخصياته التاريخية فلم يستطع ان تطورها ، بل ظلت شخصيات اقية غير فصول المسرحية ، على عكس ما تبدى لنا في شخصية علي التي ابتدعها خيال الشاعر لتكون رمزا للشعر . فكانت شخصية علي غنية بانفعالاتها وشاعرها وتقلباتها ، بل كانت المحرك الاول لاحداث المسرحية ، بينط نلمح في دريد صورة الفتاة المثالية التي كان الشاعر يتوق اليها . وهكذا نرى ان التاريخ فرض على فوزى نماذج معينة من الشخصيات لاقت صدى في نفسه فكان جهده محدودا في تطويرها ، في حين ان فوزى كان اكر ابداعا وحرية في تطوير شخصياته اللاتاريخية التي ابتدعها .

والحقيقة ان فوزى حاول ان يجعل كلا من شخصياته تمثل ناحية معينة من الخير والشر ، فنجح في ذلك . ولقد عرض علينا المؤلف عقدة القصة منذ بداية الفصل الاول . وهي عقدة الصراع بين الحب والواجب . وطور هذه العقدة ، ومن خلالها كشف لنا عن شخصيات مسرحيته ، حتى اذا ما بلغنا الفصل الثالث نرى ان العقدة قد وصلت ذروتها في حبك ألأمارة على ابن حامد وتنفيذها ، ثم اتهامه بالخيانة . وكان الحل في موت ابن حامد وجنون دريد وموتها واعتراف علي بما جنت يداه ، وسقوط غرناطة تحت حكم الاسبان .

اما بنية المسرحية فقد كانت متماسكة اجمالا الا ما لسناء من تطويل في بعض المواقف كما في الفصل الاول والمشهد الثاني والثالث ، ومقدمة المشهد الثالث والرابع من الفصل الثالث ، وندب دريد في الفصل الاخير . الا

ان هذه الاستطرادات لم تدخل في بنية المسرحية اخلاقيا خطيرا ، وان كانت تعميق نمو الحركة وتطورها -
بعض الشيء .

ان قيمة هذه المسرحية من بواكير انتاجه هي في تبيان مدى اهتمام فوزى باحداث العصر ووعيه
لاهمية البناء الداخلي لكيان الامة ، كما انها تكشف عن موهبة اصيلة في الشاعر بالرغم من صغر سنه ، وعدم
تعرضه في صناعة التأليف المسرحي .

ولكن مما لا شك فيه ان فوزى كان شاعرا اكثر منه مسرحيا ، اذ انه لم يخلف في المسرح غير هذا
الاثر ، وكان معظم جهده منصبا على الشعر . وقد ظهر لنا ان بعض شعره لم يكن في معزل عن واقع
مجتمعه ، وان ما عرضنا له من شعر وطني كان تعبيرا ، على الاغلب ، عن احتفاله بالاحداث التي تسدور
حوله ، وعن مدى اهتمامه بتقدم وطنه وازدهاره ، دون ان يكون شديد الهوى الى منزع قومي بعينه ، ودون
ان يتعامى عن اخطاء ابناء امته . ولعله في هذا يمثل موقف الطليعة الواعية من ابناء الوطن الذين لم
يتخافوا عن حقيقة الادواء التي كانت تدب في جسم الامة . فكان فوزى مع امثاله من الشعراء يدعوا الى
استئصال جرثومة الداء قبل ان يستفحل الشر ، وطلبا لانقاذ مصير وطنه .

ويستفاد ايضا ان مشور الرومنطيقية قد برز بمعظم صيغه في شعر فوزى ، على تفاوت في العمق
وغلبة العاطفة على الفكر . وذلك لان ثقافته الفلسفية ، على ما يستشف ، لم تتجاوز حدود تجربة الذات
والمواقف الفكرية العامة . وقد تصنى لنا ان نعرض لبعض الجوانب الفكرية على نحو ما تجلت في التفاتاته
الشعرية . واعتبرنا ان هذا النمط الادبي قد غلب عليه الدفق الشعوري ، واللوحه الوصفية ، وان الغسور
الفلسفي التأملي ليس الميزة الملازمة له . فبرزت نظراته في موضوعاته ، كالحب والمرأة والطبيعة ، والانسان
والمجتمع والموت من خلال مفاهيم الرومنطيقية .

ولقد تبين لنا ايضا ان فوزى قد مرّ بمرحلتين : المرحلة الاولى هي المرحلة التي كان يلمح الوجود
فيها من خلال نظرة ضيقة نزعته به منزعاً قومياً محدوداً . ونرى ذلك في شعره القومي او في مسرحية ابن حامد ،
او نزعاً وجدانية سطحية كما نرى في قصائده الغنائية في الحب والطبيعة . ولكن الشاعر عاد فانفتح على
الحقل الانساني وتخطى الاعتبارات الجزئية الى حدود التأمل الانساني ، اذ وجد فيه اغوارا ابعد مدى
فاتحه نحو بعض التأملات الفكرية العامة . وقد اخذت البذور الفكرية الاولى في شعره صيغها التأملية
الاخيرة في كتابه على بساط الريح .

غير ان الفكر عند فوزى قد انحصر اقله في بديهيات عقلية اولية ، اذ لم يتولد عن ازمة فكرية عقلية
كما هي الحال عند ابي العلاء المعري ، وانما نتج عن ازمة شعورية مشربة بالمرارة . فاضع انتاجه للتعبير
عن شكاته واكتفى باللجوء الى عبراته واحلامه ، اذ ادرك ان الانسان عاجز عن الانعتاق من شر الجسد
وليس امامه الا الموت او الفن ، وهما مآزنان للنجاة . والحق يقال ان اللحظات التي انعتق فيها الشاعر
هي لحظات الانخطاف الفني حيث هي السبيل الاوحد للحرية ، خطفا ولعاما ، من رقة العادة . وهذا ،

الهنديات الشعرية المشرقة كانت بمثابة نوافذ يطل منها اطلاقا خاطفا على الوجود الجديد وقد انطلق الشاعر من قيود المتناقضات المتولدة عن ثنائية بارزة في شعره ، صذر لها صدع عميق في الذات اثاره الفاجع الاليسم ، ليجد ذاته الضائعة في المطلق .

ولقد اذكى الواقع توقه الى عالم روحي مثالي ، فاصطدم بالوجود المساوي نظرا لوجود هذه المتناقضات وعدم قدرته على تذويبها في احدية منسجمة . ومن هنا جاء الالم ليكون ابرز مظاهر شعره التألمي المبنية على بديهيات فكرية .

ولقد كان اكمل تعبير عن هذه الحالة ملحمة على بساط الريح المتدرجة الصعود من واقع تعمس الى طبقات عالم يرتقي فيه مدارج الذات حتى يبلغ عالم الروح فتغنى الثنائية ، وتسترجع الذات وحدتها بعد انعتاق النفس من سجن المادة .

ان الوحدة ظاهرة بارزة في هذه الملحمة وتطورها من الواقع المحسوس ، من عالم الحس والمادة ، الى عالم الروح ، وتدرجها طبقة اثر اخرى حيث تتحرر الذات بارتقاها شيئا فشيئا ، من اغلال الدنيا يتجاوب مسيح طبيعة الاشواق التي كانت تتأجج في وجدان الشاعر ، وفي سعيه نحو استرجاع وحدته بالتسامي نحو ذاته . فتتدرج تدرجا طبيعيا يتخطى القيود والعقبات ويعرض في كل مرحلة لقضايا متعلقة بواقع الانسان ، ينظر اليه من عل ، حتى اذا ما تخطى عقباته ارتفع الى عالم النجوم . وهذه مرحلة اخرى نحو تحقيق الذات . وهنا يلقي عنه بعض انغاله وينطلق شبه حر متصاعدا حتى يبلغ عالم الارواح حيث يلتقي روحه ويحقق ذاته .

ان في هذا التدرج وحدة متكاملة بنى عليها ملحمة ، ترتقي بارتقا خيال الشاعر وتألقه . ويستوقفنا بالاخص المفسد السابح : قرب النجوم . الذي يقوم على مشهد النجوم حيث يدور بينها سر وتقف من الشاعر موقف العداة لا اعتقادها انه قد جاء عالمها مفتوحا ومستعمر ابداعي مظامعه وكأنما الارض لا تكفيه ، وان نزعة الشر الكامنة فيسه ، والتي سببت الويلات للجنس البشرى حتى استفحل العقل في سبيل الدمار داعبت احلامه لاستعمار السماء . والحقيقة ان النجوم كانت تعبر عن موقف الشاعر من شر الانسان . وهنا يطلق الشاعر صرخة حزينة ييوع فيها للنجوم باحزانه وآلامه وسخطه على الوجود المادي ، وان مطلبه عالم مثالي خال من المتناقضات . ويرتقي خيال الشاعر خطوة اخيرة حيث تنضم اليه روحه الطاهرة فيذوبان معا في نشوة مطلقة تغنى فيها الثنائية ويتحرر من كل ما يشغله الى العادة . وهذا الموقف الذي يتلاشى فيه كل صراع يخلو من الصور ويبلغ ذروة الغناء في جوضابي حالم تغمره السكينة . ولكن هذه الثنائية لا تلبث ان تبرز من جديد وهي اكثر عفا واشد عنفا لدى عودة الشاعر الى عالم الارض ، على اعتبار ان الشعر والفن كان سبيلا لخلاص مؤقت .

فاتضح اذا ان الشاعر في تدرجه المتصاعد كان يسعى الى الوحدة تتضافر فيها اشواقه لتستقر على غاية اخيرة : العودة الى وحدة الذات بعد خلاصه من عبودياته الارضية ومعانقة روحه الاثيرية . وفي هذا التدرج المتعاسك تتكامل الاناشيد بتكامل المشاهد الغضبية الى الغاية باعتبار ان كل مشهد منها يعرب عن موقف فكري يقفه الشاعر من واقع المجتمع الانساني ومن نفسه الغريبة في هذا المجتمع .

اما من حيث الاداء الفني في الملحمة فنرى قوافي الدور تختطف عن قوافي بقية النشيد ، ونرجح ان فوزى قد اعتمد في هذه الاناشيد من حيث عدد ابياتها صيغة فن " السونيت " الفرنسي ، واطاف اليها دور . كما ان صياغة فوزى الفنية قد اكتملت فيها بما اولاهها من عناية واهتمام .

ومع ان فوزى كان من قافلة المنادين بتحرير الشعر العربي من الجمود والتقليد لكي يفتح على افاق جديدة ، ويواكب الحياة المتطورة ابدا ، فإنه لم يقطع صلته بالقديم وتراثه . فنرى ملامح من نفس ابي العلاء المعرى في شعره التأمل ، ونفثات من خواطر عمر الخيام في ربايعاته . كما نتقرب تأثير فوزى بمطران وشوقي في بعض قصائده . اما المناخ المهجرى في نتاجه فابينه ما جاء في شعر الحنين والطبيعة والتأمل والحب .

وقصاراه ، فقد توفرت لفوزى ثقافات اربع هي : العربية والفرنسية والاسبانية والبرتغالية ، اطلع من خلالها على المفاهيم الادبية الجديدة وتأثر بها ، فكان احد ممثلي الحركة الرومنطيقية من شعراء ما بعد الحرب الكونية . كما ان مطولته هي احدى العطولات الشعرية البارزة التي ظهرت في الشعر العربي الحديث ، وحظيت بشهرة واسعة في الاوساط الادبية الاجنبية فترجمت الى عدة لغات . وفي المهجر تبوأ فوزى مكانة مرموقة بين شعراء المهجر وادبائه ، وتساقت الصحف على نشر نتاجه ، واحتفت به المحافل الادبية والنوادي فلقى من الشجيع ما لم يحظ به الاقله من الشعراء هناك ، ولا سيما بين الفئة الداعية الى التجديد في الشعر . فكان من حيث هو حضور شعري محط تقدير واعجاب لدى ابناء الجالية العربية وواحد من ممثليها في احتفالاتها الرسمية والادبية .

فهرس المحتويات

التوطئة .

الفصل الاول :

سيرة فوزى المعلوف :

- أ - لحظة عامة عن الاسرة المعلوفية .
- ب - عائلة فوزى المعلوف .
- ج - فوزى المعلوف .
- د - دراسته في رحلة .
- هـ - في بيروت .
- و - العودة الى رحلة .
- ز - في دمشق .
- ح - الهجرة الى البرازيل .
- ط - وفاته .
- ى - اخلاق فوزى ومزاجه .
- ق - ثقافة فوزى المعلوف .

الفصل الثاني :

نشر فوزى المعلوف :

- أ - انتاجه النشرى غير المنشور .
- ب - انتاجه النشرى المنشور : مسرحية ابن حامد .
- ج - تحليل مسرحية ابن حامد .

الفصل الثالث :

شعر فوزى المعلوف :

- أ - مصادر دراسة شعره .
- ١ - الديوان .
- ٢ - ملحمة على بساط الريح .
- ٣ - الملحمة .

ب - الدراسة التحليلية لشعر فوزى المعلوف .

١ - المرأة .

٢ - الحب .

٣ - الطبيعة .

٤ - فوزى في شعره الوطني .

٥ - شعر فوزى التأملية .

الخلاصة :

فهرس المحتويات :

الملحق :

المراجع والمصادر :

* * * *

الملح

* هدية البرتقال * (١)

١٩١٤

وخلأ من قبل ان صرت خمرأ
وتطر الندى يهـزك سكرأ
نحول بجانبيه استقرا
ضلوعي حتى تحولت صفرا
يوم لم يجرح الهوى لك صدرا
شاهدت "قرنة" هي "حمرأ"
هي في قلبك المحبب احرى
الندى، وابسمي يسعدك بشرا
يتولى قلبي فيفتخر ثفرا
فهني يعسوب قد اتته البشري

كنت خضرأ قبل ان صرت صفرا
اتراه الفرام انحـل عطفـك
ام رأيت اصفرار وجهي فأصباك
ليت شمري ذقت الفرام الذي بين
لم ينل منك ذا التحول قديما
عشا تتكرن ذاك ففسي قلبك
اتراها تكون حبة قلبك
في سبيل الهوى سيرك يا بنت
ليت حظا القاك بين يديها
ان تكوني قميص يوسف عندي

* * * *

* قلب موجه * (٢)

١٩١٤

جرحت فؤادي وهو بين الاضلع
لم يبق لي لهوى السوي من موضع
ولو انها علمت به لم تهجع
ابدا فأطفئه بماء الادمع
يحيا الحياة بأنة المتوجع

عجبا عيونك وهي تحت البرقع
وجمال وجهك بعد اول نظـرة
حب كتعت من العيون وجوده
ما زلت اخفيه وبفضحه الضنى
والقلب مشتمل الجوانب خافق

* * * *

-
- (١) مجلة الرسالة المخلصة - السنة الثالثة (١٩٥٢) - العدد ١١ : ٣٨
وهي في وصف هدية من البرتقال ارسلها اهل فتاة من قرنة الحمراء الى قريب له .
(٢) مجلة الادب وهي مجلة مخطوطة اصدرها فوزي المعلوف سنة ١٩١٤ : صفحة ١٤ .

* من اشعار الحرب الكبرى * (١)

روح (هيكو) من السماء اطلبي	واحملي نسمة الى الاحياء
هم موتى النفوس ، موتى الاماني	رغم ما في جثومهم من رواه
شارفي حالهم وقولي عزاء	فعمى بالكلام بمض العزاء
وصفيهم يا روحه فلقد كنت	على الارض حصة البؤساء
نبذتهم اهل الدنى فعمساها	لبلاءهم ترق اهل السماء

. . .

كم فتاة كان الحياء حلاها	قبل ان راودته كفا الشقاء
تبذل العرض وهو جوهرة النفس	رخيصا حتى بجرعة ماء
وتتادي في ساحة الفحش والفسق	على ما بقي لها من حياء

* * * *

* الشباب * (٢)

اني عبدتك جاحدا	ربي وما امر الكتاب
فاقضي علي ولا تبالي	بالاله وبالعقاب
سيحين يوم فيه يرجعنا	لنصره التسراب
فعمى يكون نصيب روحينا	جهنم والعذاب
كي نلتقي فيها هناك	سوية بمد الحساب
ونتوب عما قد مضى	ما اذا قبل العقاب
اولا نجدد يا ضلالي	هناك ايام الشباب

* * * *

(١) مجلة الاثار - السنة الرابعة (١٩٢٧) الجزء السادس : ٢٥١

(٢) مجلة الشرق البرازيلية - السنة الثامنة (١٩٣٥) العدد ١٢ : ٣

* ساعة البين *

(١) ١٩١٦

وتتجدد في عرض البلاد وتتهم
ولا تتحرك ان ذلك اسلم
ونورا لعيني تجتلي به فتعهم
سواي على ارضها الحب يحكم
على كل انواع المخاطر يقدم
فلي من غرامي جيش عزم عزمهم
ففي اضلعي من نار وجدي جهنم
تجدني ليثا في الهوى ليس يقحم
ولكن لدى الالفاظ قلب مسلم

رويدا قطار الشوم حتام تلتوي
مكانك لا تنقل عن (الخط) قطعة
سلبت التي كانت لقلبي نعمة
فدعها فما لي غيرها وهي ما لها
ولا تصادقا ومثلي في الهوى
فان تحو من جيش الحديد عزمهم
وان كانت النيران فيك كثيرة
منعتك عن سير فان تخط خطوة
له في لقا الاخطار عزم وهممة

* انيسن * (٢)

بصدري تري ما لا تسرى اعين الناس
وقلب ولكن كالدائمة في الكاس
وتسكبه الاشواق للشغف الحاسي
من النار لا صدري سليم ولا راسي
من الموت ان هبت على الخد انقاسي
يشوهه من ملصبي الشائك القاسي

الا فاكفي غني الرداء وحدقي
ضلوع ولكن لاويات من الجوى
تحملها الايام ما لا تطيقه
ولا تلصبي جسبي فجسمي شعله
اخاف على ورد بخديك ناضر
واخشى على آس بكفيك زاهر

.....

وانت على بعد المزارع نبراسي
انا الحب مهدود انا الالم الراسي
الم تسمعي من اضلعي صوت اجراس؟
ودمعي قرباني وذكرك قداسي

انا الليل مسود الجوانح مرعب
انا الحزن مرسوم ، انا المقم ظاهر
انا العابد المعاني ، انا هيكل الهوى
صلاتي اشعاري وانجيلي الهوى

(١) البدوي الطشم - شاعر الطائرة : ٥٢

(٢) الصدر السابق : ٥٣

فحاتم هذا الدهر يطلب اتعاسي ؟
عليها سوى قلبي ورقة احساسي
لارديتها خنقا بكلي من ياسي

بلغت الى اقصى التعاسة في الجوى
فيالي من روح تعذب ، ما جنسى
وتالله لسولا قوة لم تنزل بها

✽ القفاز المقنود ✽ (١)

عليه جناحيه النقيمين كالطهر
" كما انتفض العصفور بلبل بالقطر "
جوابا ، بلى كان الجواب شذى العطر
ونضمة ثمت على ذلك السر
به (عادة) او ضاع منها ولم تدر
يعاني عذاب البرد والذل والهجر
على الثغر منها والغدائر والصدر
وكم مسحت دما على خدها يجرى
فلا حيلة فيما قضت حكمة الدهر
بثلج حكاها بالبياض والنشعر
فكم عذبت قلب المحب على جمر
فيا سمد حظي منك باللمس والذكر
ضياح الذي انشدت فيك ، من الشعر

عبرت به في الارض والثلج باسط
وقد بث فيه البرد والثلج رعشة
فساهلته عن رماء فلم يحجر
تضوع منه في خلال نعومة
فلم يبق من ريب بأن التي رمت
فيا لك قفازا طريحا على الثرى
نعمت ببيضاها وكم لك قبلية
وكم مرة ثمت عليك بزفرة
الى ان قضى بالبعد دهري عليكما
ولكن عزاء عن بياض يعينها
ويهنئك ثلج عذبتك ببيردة
لشن صبح حساباني وكنت لفادة
وان كنت يا قفاز ملك فتى فيسا

❖ يا ليل الوحل متى غده ❖ (١)

١٩١٩

او بحر يزخر مزبده
للرأس وما من ينجده
و (الكثر) وما تتزوده
حاشا ، حاشا ، ما اسرده
لفتى مثلي يتصيد
ويريح الجسم ويرقده
قطوب الحاجب اسوده
او نجم الافق يبدده
يستهدي اللمس فيرشده
يهوي في الوحل فأسنده
في الارض وكفي تحصده
ويدب بجسمي ابرده
مطر ينهل معبرده
استهدي الافق وارصده
وحل تحتي اتوسده
" يا ليل الوحل متى غده "
فتقيني ممّا اشهد
واقسم الوحل واقعدده

هل سيل يهدر جارفه ؟
او وحل يغطس عابره
لا ينفج (كالوش) فيه
لم تهمله بلديتسا
لكن نصبت فيه شرکا
فكيف عن السهر العنفي
ما ينسى لا ينسى ليل
لا نور الشارع يخسره
اسري فيه سير الاعمى
ورجلي (كالوش) لزج
(كالوش) رجلي تزرعه
والبرد يقضض اضلاعي
ومع حيالي مضطجعا
نوقفت جزوا مضطربا
ظلم حولي ، مطر فوقني
وشرعت اغشي من ولهي
من لي ، من لي ، بمعا موسى
واشقى البحر واعبره

❖ ❖ ❖ ❖

* ١٧ كانون الاول * (١)

١٩١٩

يا مرحبا بالموثق المعتق
موثق جسي في المدى الضيق
وهاك قلبا نابضا فاخفق
ما الارض الا جنة الاحمق

والان يا موت السي اقرب
معتق نفسي من قيود الاسى
هاك شبابا ناضرا فاحتسب
لم يبق لي في الارض من بغية

.

مراوغ او مفسد قلبي
جرادة الميثار والزنبق
وليس يروي غلة السقي
اقوى من الفرقة والفيلق
خير من الكاسب من مهرق
قلبي ودعه لحظنة يخفق
تبكي على الورد ، على الزنبق
ما فيه من زاه ومن ريق
تنت فلم آسف ولم افرق
فنحن بعد اليوم لن نلتقي

الناس ؟ ما فيهم سوى غادر
المال ؟ ليس المال عندي سوى
الشمر ؟ بحر كامل وافر
السيف ؟ (والفرد) بطيارة
العلم ؟ والكاسب من معمول
الحب ؟ كف يا موت واشفق على
دع قلتي تبكي قبيل النوى
تبكي على روض غرام ذوى
لي بغية قبل الردى ليتها
وتلك ان المرح محبوبتي

* * * *

(١) ذكرى فوزى المعلوف : ١٣ .

نظمت هذه القصيدة بمناسبة ما نقلته الصحف عن نبوءة الفلكي الانكليزي بورتير السدي
انذر بخراب العالم ويققدان جاذبية الكون وحدوث الطوفان والزلازل في ١٧ كانون
الاول سنة ١٩١٩ .

* الشبح الهائم * (١)

شبح هائم يرى الناس اشد با
(منهم من يرى الحياة شقاء
شبح يكره النهار ويهوى
هائم شارد على الارض يبكيها
ينظر الناس يكثرون على الارض
يتمنى نقض الزواج من الناس
لعن الام تكثر النسل للرغبة
تحمل الطفل في حشاها شهورا
لا تكوني اصل البلاء لـذاك
انت ادرى بحسرة العيش اذ
ايها السائرون في الارض كبرا
خففوا السير فالتعدل يد نيكـم
ان كل الذي عليها ظلام
والقصور التي بنيت على رمل
هل رأيتم ورد الرياض صباحا
ثم ابصرتموه تنثره الريـح
ورأيتم غصن الشباب نضيرا
ثم ابصرتموه تحت تـراب
الم كلها الحياة فلا تضحك

. . . .

حا على الارض كلهم هائمين
منهم من يرى الحياة فتونا
الليل فالليل ملجأ اليائسين
وبيكي من فوقها يسرحون
فيبيكي لانهم يكثرون
فلا يحبلون او يلدون
في النسل ثم تشقي البنين
ثم تلقبه للعذاب سنينا
الطفل يا ام وارحمه حنينا
لاقيت من شقوة الحياة فتونا
انتم للردى بها سائرون
من القبر آه لو تعلمون
في ظلام عليه تخبطون
فحاتم فوقه تبون
فاتحا للندى اللطيف جفونا
وتدويه ارجل العابرين
باسما زاهيا ، فما عيوننا
الارض يختال فوقه السائرون

ثغرا الا لتبكي عيوننا

* * * *

* آخر الشهر * (١)

١٩٢٠

وفي كل طابق غرفتان
ساكن فارغ من السكان
الارض والزوايا والجدران
هذا بأخضر الائمة ن

مسكن فيه طابقان انيقان
شاهق مطلق لكل نسيم
هو حتى من الغبار نظيف
ومعد بكل ما فيه للايجار

.

وهي خلوا من الخفقان
الجوع في فارغ الحشا بامان
عنكبوتا مكفنا للاماني
فهي في مذهبي من الايمان

ذى جيب في آخر الشهر امست
يتمشى الشقاء فيها تمشي
واكف الافلاس تنسج فيها
هذا هذه النظافة عندي

* * * *

* حين * (٢)

اشكو لى امرى
جمرا على جمبر
في وجنة البدر
سما لى يسدر

اني انتظرت القمر
فازدت لما ظهر
هذا خيال الوطن
سموه محوا ومن

.

هذى اعاليها
تجرى ماقيها
هذى ماويها
يا ليتني فيها

هذى سفوح التلال
هذى عيون الجبال
هذى روع الظبا
هذى ديار الصب

.

في ذمة الله
والمرتجى لاه
للوككب الزاهى
والاه بالاه

اهل الحمى والحمى
والصب يشكو الظما
كم ذا المحب اشتكى
يتلو البكا بالبكا

.

يستنزف العيننا
ما اصعب البينا
ما بين حميننا
في البدر رسمينا

يا رب ان النوى
بنا فلق الهوى
ان كنت تاهى اللقا
فاجمع بروج التقى

* * * *

* عظمة المرأة * (١)

٧ تموز ١٩٢٠

بهما طاب مبداً وختام
فحولي الزهور والاكمام
فأغني ما شاء لي الالهام
فيك لا للجمال هذا السلام
حومت حول غصنه الاحلام
حيث لا كاس عندها او مدام
فحينما فجر وحينما ظلام
يخشع الفكر عنده والهمام
يذوى جبين ويستحيل قوام
وحنو وغفلة وغرام

سيداتى ، تجلّة واحتـرام
موقفي موقف الهزار على الروض
يصطبيني عبيرها لا بهـامها
فسلام لكـه للمـزايـا
لا احبي القوام فيك رشيقـا
لا ولا العين تملأ النفس مسكرا
والجبين الزاهي يداعبه الشمر
بل احبي حسنا احب واسمى
هو حسن في النفس يخلد اذ
هو عزم ودرية وشـمـور

.

وجود النعمى لعمري حرام
وقالوا ما شاءت الاوهام
لك ما ردهم نهى او ذمام
ولكم برحت بمنـلك الا لام
يوما فلتكسر الاقلام
فيك لا كان نشره والنظام
فـؤادى بحبها مستهام
أشيخ والكهل والفتى والفلام
قفصا لا يطيب فيه قـام
كلما وكيف يأتي الكلام
وهو في اغلال القيود يضام ؟

انكر الجاحدون نعماك ظلمـا
وعموا انك الضعيفة بالمقـال
وعزوا في الحياة كل بـسـلا
اى ، ورى جاروا عليك كثيرا
فاذا جردت لتحقيرك الاقلام
واذا استعمل البيان لطمـن
منك امي ومنك اختـي وحسـنا
انت حصن الهناء يرتاح فيه
كنت كالبلبل الذي اسـكـوه
ثم قالوا لـه تنن فلم يملك
اترى البلبل السجين يغنى

.

كنت كالوردة التي وضعوها
ثم قالوا لها اشري العطر في الكون
اتفوح السورود والماء مضوع
صنما كنت فيه يعبد جسم
كان هذا ولا تزال الى اليوم
ليت شمري، وهكذا هم ارادوا

.

لطلقوها من القيود ترفرف
اكرموها وقدسوا النفس فيها
هذبوها على قويم المبادئ
علموها العلم الصحيح فتبدي
افيرجى النجاح للشعب والمرأة
واذا لم تك النساء عظيمات
واذا لم يكن بها كرم النفس
واذا لم تكن مزيتهما المهمة
لا يكون البنفسج الغض من شوك
كل هذا ولا نريدك تشبيبي

:

لك عرش وللسلطين عرش
لك من هيئة الحياء جلال
لك من طرفك الكحيل سلاح
ان نحب النساء مرتقيات
لا نحب النساء مسترجلات

في محيط ما فيه الا الظلام
ولما لم تشر العطر لاموا
عليها والنور والابتسام
لا صفات وزينة لا احتشام
من البعض تعبد الاصنام
ان تكوني فهل عليك ملام ؟

فيرفرف على الحياة السلام
فجدير بعثها الاكرام
فهي فينا للمكرمات قوام
لكم ما جهلتكم الايام
فيه ذل العبيد تمام ؟
فهل ينبغ البنسون العظام ؟
فهل يرتجى الرجال الكرام ؟
توحى بها فأين الهمام ؟
ولا ينبت الوشيج الخزام
بك نحو المناصب الاقدام

ولك المعبد مثلهم والقام
لم تحزه القضاة والحكام
دونه بندقية وحسام
فاضلات يمدى لها الاعظام
يخلف اللين عندها الاقدام

* * * *

* القلب الضال * (١)

* ١٩٢٠ *

اضل خيالك عن مضجعي ؟	فطار بقلبي ولم يرجع
التم فلم يرولي غلصة	وراح فلم يبق من مطمع
تحملت وقع النوى والصدود	لوان فؤادي باق معي
ولكنه نام في مقلتيك	على مضجع بل بالادمع
وقد كان قبلا على شفتيك	يتعم تنمية المولع
تشبت بالشعر فهو عليه	كطفل تشبت بالمرضع
فماذا ترشف من مرشفيك	فاصبح من سكره لا يعي ؟
اراه هنالك بين الجفون	فلا تنكريه ولا تدعي
فرعشته داعبت ناظسرى	ونبضته عازلت مسمعي
فبالله ردى علي فؤادي	فقد اوحشت بعده اضلعي
وان ضل عني فنار ضلوعي	تريه مكاني من مضجعي
وسيل دموعي يقود خطاه	فاني رائي السيل يهرع

* * * * *

* الى دانونيزو * (٢)

* * ١٩٢٠ *

رب المهند والقلع	نام الجنود فقم ونم
اوت السيوف السمس	فكيف سيفك انت لم
وعنا النعيف لحكم دهر	لا مرد لما حكم
فالام يستهويك	تدعوه حقا مهتم
والحق كل الحق وقص	للقوى وان ظلم
اما الضعيف فضينه	حل وحرمته حرم
خل السياسة عنسك لا	اسفا عليها اونسدم
وارجع الى نظم القريض	وانت ابلغ من نظم
طال اعتناقك للحسام	وطال هجرك للقلع
اين الصليل من السرير	على التفاوت في النغم

(١) مجلة الشرق البرازيلية - السنة الرابعة (١٩٢١) العدد الخامس والسادس : ٢

— AOUN , FAIEZ - FAWZI MA'LUF : 167 *

(٢) الاسود ، ابراهيم - تنوير الازهان - الجزء الثالث : ٤٠٧

— AOUN , FAIEZ - FAWZI MA'LUF : 167 **

اولـهـنـسـكـ الحـمـر اـقـسـوى	نشوة من سفـكـ دم
والنـشـر يـلـعـب بالنـفـسـوس	الذ من نـشـر اللـمـسـم
واحب من تنـظـيـم جـهـشـش	الحـرـب تنـظـيـم الحـكـمـم

* * *

* شـذـرات *

كل هـذـى الحـيـاة وهم وهـذا الرـسـم وهم وما انا غـيـر وهم	غير ان الرـسـم تـبـقى طويـلا
(١) وانا امـحـى بـروحي وجـسـمي	

* *

امـرى عـجـيب — بـيـن الـامـم	اني امـيل — القـى المـحـن
انا الغـرـيب — فـلا عـلـمـم	(٢) ولا قـبـيل — ولا وـطـنـ

* *

وعـرب فـوزى قولا لـبـلـزـاك

قد يـذهـب القـلب الخـلي من النـفـور الى الهـيـام
لـكن اذا رـجـع النـفـور فـلا رـجـوع الى الغـمـرام (٣)

* *

(١) ذكرى فوزى المعلوف : ٥١ .

(٢) المصدر السابق : ٣١ .

(٣) مجلة الآثار — المجلد الخامس (١٩٢٨) الجزأ الاول : ٥٤ .

* السفر وس المستعاد * (١)

* ١ ١ ٢ ١

- | | | |
|-------|-----------------------------|---------------|
| ١ - | بعد عصيان امنا وابيننا | للا لـ (٢) |
| ٢ - | بعد عام مضى مضى السنينا | بيبي لـ |
| ٣ - | صرفاء يستنديان الجفونا | والجبه لـ (٣) |
| ٤ - | هو يشقى كذا ، وتبكي شجوننا | لشقاء |
| . . . | | |
| ٥ - | جلسا ، والمساء يسكب سحرا | وجمال |
| ٦ - | وشعاع الاصيل يشبه تبرا | فسي جبال (٤) |
| ٧ - | يريان الآمال تدرج تترى | للزوال |
| ٨ - | مع شمس تودع الارض سكرى | بالدلال |
| . . . | | |
| ٩ - | جلسا ، آدم وحواء ، بحزن | بيكيان |
| ١٠ - | بيكيان الحياة من بعد عدن | والجنان |
| ١١ - | ضيعاها ، فما الندامة تغني | والحنان |
| ١٢ - | كان ما كان ، هل يعيد التني | فعل كنان ؟ |
| . . . | | |
| ١٣ - | ثم جاء الدجى وراح وولسى | فأراح (٥) |
| ١٤ - | واذا بالصباح يحمل طفلا | كالصباح |
| ١٥ - | باهر الحسن ، بالبكاء استهلا | والصباح |
| ١٦ - | حول الحزن بهجة ، حيث حسلا | حيث ن لاح (٦) |

AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF : 167 .

*

- (١) مجلة الكتاب - المجلد الخامس - السنة الثالثة (١٩٤٨) ج ٣ : ٤٤٩ .
- (٢) الابيات التالية جاءت في مناهل الادب العربي (٥٣) - فوزى المعلوف : ٢٦ كما يلي :
- | | | |
|-----|---------------------------|-----------|
| ٣ - | قضايا يستنديان العيوننا | والجبه لـ |
| ٤ - | وكان الذى على الافق تبرا | فسي جبال |
| ٥ - | ثم جاء الليل البهيم وولسى | فأراح |
| ٦ - | حول الحزن بهجة حين حلا | حيث ن لاح |

- ٣٧ - فيك تنمو روحي ، وانت مقيمـه
 ٣٨ - ما فقدنا فرد وسنا ونعيمـه
 ٣٩ - هوحيّ فينا وهاك رسومـه
 ٤٠ - هو فيّ الهوى وفيك الامومـه
 . . .
 ٤١ - تحضن الحب في حشاك شهـورا
 ٤٢ - شعله في عناقنا فبـسـذورا
 ٤٣ - فتدنيه حياة ، شعـورا
 ٤٤ - ثم تلقينه وليدا صغيـرا
 . . .
 ٤٥ - فيك يلقي الوليد اما بحبـه
 ٤٦ - تسكب الروح بالحليب لشرـه
 ٤٧ - وتبث الصلاح دوما بقلبـه
 ٤٨ - فيرى نورها يضيء بقرـه
 . . .
 ٤٩ - يا لها من امومة للخلـود
 ٥٠ - ان فيها سرّ البقا والوجـود
 ٥١ - وبها شاء ربنا ان تعيـدى
 ٥٢ - ايه ، طوباك عند قول الوليد :
- (١) طي قلبـي
 لا ، ورـي
 عنه تنبـي :
 وهي حسـي
- (٢) ليكونـا
 فجنينـا
 وفتونـا
 للسنينـا
- تفانـي
 والحنانـا
 لا الهوانـا
 حيث كانـا
- هي ترمـي
 طي جسـم
 في الوري اسـمي
 انت امـي *

* * *

- (١) جاء هذا البيت في المنهل كما يلي :
 فيك تنمو روحي ، وانت مقيمـه
 (٢) الابيات من ٤١ - ٤٤ غير واردة في المنهل .
 * يبدو من دراسة عون ان القصيدة اصلا كانت ٤٨ بيتا (١٢٥) وما طرأ عليها من تغيير كان
 مبعثه التنقيح الذي اجراه فوزي على الارجح .

ضمّن قلبـي

* الشاعر * (١)

١٩٢١

يا له في الرجال من رجل يلعب الوجد في جوانحه	خافق القلب ساهد العقل لعب ربح هبت علس شعل
رق روحا ورق عاطفة علم الماء ان يثن كما	منهما فيه علة العليل لقن الطير نوحه الثكل
يعشق الحسن فهو خمرته يتغنى بالشعر مبتسما	وهو منها كالشارب الثمل ويغني للاعين النجل
ذاع في الكون صيته وغدا مع هذا ما زال معتنه القدر	شعره فيه مضرب الفشل رهن الشقاء والفشل
غاص في ابحر القريض فمن ابحر رحمة العباب ولم	كامل وافرا الى رمل يفنه ما بها عن الوشل
كم بيوت بنت قريحتيه ظن فيها الغنى فما قدر	بالمعاني تزهو والجميل ان تقيه نوما على السبل
البس الطرس من خواطره وتراه صفر اليدين وكم	حلا وهو معدم الحليل نظمت كفه عقود حلي
اسكر الناس وهو بينهم هم يتلون آه من طرب	فاقد الزهو خائب الامل وهو يتلو آه من الملل
ان هذا - وانت تعرفه - كان اشقى الورى بحالته	شاعر الامس ، شاعر الازل وسيقى كذا ولم يزل
هو " اعشى " بنوح مكثها هو " قيس " يجن من لسه	" وزهير " يشدو على الجمل " وابن حجر " يبكي على الطلل
حكم الدهر ان نماشييه في زمان يردى النبوغ ولا	فلك البعض من شقاء ولي فرق بالشعر فيه والزجل

انا اجفوطرسي الى اجل
دولة الشعر اتمس الدول

شفت حالة الاديب فيها
قل لي " يا حليم " (١) من لهف

* * * *

* انت واننا * (٢)

عني الصحيح من الخير
الغرام على مقعر
وترفع الدنيا مقعر
وتهيم فيه بلا ضجر
وفي الدنيا عبيد
على البسيطة والبشر
وكم يلذ لها السهر
اذا تخلله الكدر

ان تسالي عني فيها
روح معذبة يقلبها
تأبى التقيد في الضلوع
فتطير في جو الخيال
تستشرف الدنيا فتفتها
وتفضل الافق الجميل
تهوى الظلام تهيم فيه
والحب اجمل ما يكون

.

وهل ترى يخفى القمر
اذا نسيم الفجر مر
من نفحة الله الابهر
طين ولكن مسن در
كل القلوب لها اثر
والامان مع الخطر
سلك سوى سلك النظر

او تساليني عنك قلت
روح ارق من النسيم
خلقت من الاحلام لا
وضعت بجسم ليس من
اما عيونك فهي في
حوت العذوبة والقساوة
والكهرماء بهما ولا

.

من جنان الخلد فر
فيحسد الاذن البصر
كانه بين الشجر
فما لذ وما امر
همس النسيم الى الزهر
الى السامع والفكر
عيوننا لبررات در

اما قوادك فهو طير
يشدو اناشيد الغرام
ويهم في قفص العظام
فيه الاماني والعذاب
اما خديشك فهو مسا
يسرى به السحر الحلال
لو انه شي' تراه

.

البدو في زى الحضر
الايات فيه والسرور
الله اكبر يا بشر

اما جمالك فهو حسن
خط الغرام بدائع
فالجيد فيه آيسه

(١) هو حليم دموس الشاعر ابن زحله .

(٢) مجلة المعارف - السنة الرابعة (١٩٢١) - العدد الخامس : ٣٨٢

على اليدين مسطر
على الغدائر والجبين ؛
على العيون الناعسات ؛
على الفم المعسول ؛ دون
على ورد الخدود ؛ دون
على الجفون ؛ حذار كونوا
على بياض الصدر ؛ فاز

طوع البنان وما امر
هنا الدجى وهنا السحر
هنا القضاء وهنا القدر
الشهد لسعات الابر
الورد شوك ذو خطر
من ظباى على حذر
بما ابتغاه من صبر

.

هذا الذى شاهدته

والله يعلم ما استتر

* * * *

* يا ليتني * (١)

اعيدوا على سمعي ذكرها
فتعرف طعم المنام جفوني
عسى طيفها ان يزور فراشي
واحجزه في نطاق الضلوع
ايا ليتني نسّم خاطر
يقبله بشفاء الاثيم
ويا ليتني طائر هـانج
يصعد زفراء صدرى عليه
ويا ليتني زهرة في الزهور
فلا تفهمين بانى فيها
ويا ليتني في الندى قطرة
فلا تشعرين بروحي عليها
لعمرك هذى منى وهذا
وهل تشعرين ببعض الذى هي ؟

فانى بذكر اسمها اسكر
ويكفي جفوني ما تسهر
فاكرم مشواه ما اقدر
على عرش قلبي فلا يدبر
على غير شعرك لا يخطر
ولا تدركين الذى يضمّر
على غير قدك لا يظهر
ولا تعرفين الذى يزفر
يقبلها فمك الاحمر
على غير كفيك لا ازهر
على غير خدك لا تقطر
يقطرها الشف المسمر
غرامى وهذا الذى اشعر
وهل تذكرين كما اذكر ؟

* * * *

* في الحياة وبعد الموت * (١)

١٩٢٢

عج بالقبور وقف هناك وسلم
تلك القبور وهل وطئت ترابها
حالوا ترابا في التراب فأصبحت
وتكافأوا بعد الممات الا ترى
يا للقبور وعندها اجتمعت معا
سكنت جوانبها ، حوّم فوقها
يمشي واشباح الفناء محيطة
يحتازها قبرا فقبرا حاملا
حتى اتى قبر الاديب مرحبا
هذى مكافأة الاديب وليتها
هو خالد بعد الممات مكرم
يشقى فلا يشكو ويحمل ضيمه
فتكاد تبصر دمه في حبره
يا ويحه يشقى ليسعد قومه
هو شمعة تجلو الظلام بنورها
لم يحده القلم الذي في كفه
لورام خيرا لاستغفر صريره
واذا اراد الشر يبلغ غايته
يا روح " انطون " الاديب تحية
بشارك اذ قدرتك قدرك امة
عرفت مقام اديبها فأنت السى
واذا النوايح عززوا في موطن

واخشع فأنت امام اعظم ماتم
الا على قوم هنالك نسوم
عظم الحياة بهم هياكل اعظم
رب القصور مع الضعيف المعدم
غصن السعيد وراحة المتألم
ملك الخلود بوجهه المتسهم
بالراقدن على الاديم الاقيم
من عاطر الازهار كل منمنم
بميت يمضي لخبر ميمم
قبل الممات لعاشرة منعم
وقضى الحياة وكان غير مكرم
حتى يبيع به البراع عن الفم
وتكاد تلمس ناره في العرقم
ونصيبه منهم نصيب المجرم
وتذوب بين بكاء وتضرم
شيئا سوى الم عليه محتشم
كرم البخيل ورحمة المتحكم
لا السيف يبلغها ولا سيل الدم
تهدى اليك مع النسيم ترحمي
هبت الى العليا هبة ضيفم
تكريمه ، انعم بذاك واكرم
بشر مغانيه بكل تقدم

* * * *

(١) ملحق مجلة السيدات والرجال . العدد الخاص بفرج انطون : ٥٥ - ٥٦ ، (١٩٢٢)

حديث جرى بين عين وعين
مكللة برشاش اللجين
يطوق در الندى في الجفون
للشم الصباح ودمع الدحسون
لتهصرها من صدور الغصون
وفي قلبها حسرة وشجون
لقاء تطاولها وخزتين
من الهز خسرانها دمعتين

ولكن اسفت على الدرتين
فسن سن وعين بعين
فكان عقابك وخز اليدتين
وكم جرّ ولاء على العاشقين

على الرغم مني بخفي حنين
فأين الشماعة مني ايمن ؟
سوى انها ذات حسن وطيب
اشطر المحبة قتل الحبيب ؟
له في الهوى كل امر عجيب
فيديني البعيد فيقصي القريب

يقلبنا موجهها بين بين
وفي الارض من لذة الراحتين

نسيتهما لذوات السدلال
ترك جليا شرور الرجال
تزين الظهارة فيها الجمال
فمنته اماله بالوصال

يديه ليمسكها باليد
كما صد شوك عن الوردتين

الى ان تملك من هعفها
اذا ما تصدى الى قطفها

وقفنا وف نفسنا الحائرة
نحديق الو. وردة ناضرة
واعجبنا التبر في وجنتيها
كأنهما اشران عليها
فمدت اليها سلمي يديها
فأرجعها الشوك عن جانبها
وكان نصيب اليد الجائفة
وكان جزا الوردة العاطرة

فأطربني ما ألمّ بسلمي
فقلت لها في دعاب نعمتا
مددت اليمين تريد انما
اجابت : هو الحب والحب اعمى

اتشمت من عودتي خاسرة
فقلت فديتك من نافرة
جنيت عليها ولم تجن ذنبا
وقمت تسمين ذللك حبا
لك الله من بنت حواء قلبا
يقرب صبا فيبعد صبا

فنصبح في لجة زاخرة
ونحرم ثمت في الاخرة

فقلت : هنا عبرة بعد ذكرى
فهاك من العبر الغراخرى
فكم غادة تشبه الورد عطرا
راها فتى تلاء العين سحرا

فمدّ الي الغادة السافرة
فصدته عفتها القاهرة

ولكنه لم ينزل عاملا
وهل تدفع الزهرة الذابلا

له من بهاها ومن عرفها
فصدّ وجّدت الى حتفها

فروى منى القلب مما حلا
الى ان غدا حسنها ذابلا

.

هوى فاسق القلب والمقلتين
بشوك العفاف عن الجانبين

وقى الله انفسنا الطاهرة
وطوق اميالننا الثائرة

* * * *

* من مرثية نعمه يافث * (١)

١ ٩ ٢ ٣

متغيثا هو والخلود ظلالها
اولى به ان يدفنوه خلالها
ملء الحياة مرافقا اجيالها
فيزول اذ تعضي الحياة زوالها
شدّت سفوك الرحيل رحالها
فضل ولا هو موجب ادلالها
ان لم يكن حسب الرجال فعالها
ان لم تغد منها الحياة وآلها
واترك حياتا، لا عليها ولا لها
" هذى حياتي فاقتفوا اعمالها "

كم تحت هذى الارض من ميت ثوى
وعلى اديم الارض من هي مشى
حي لعمر من يموت وذكّره
والميت من الف الخمول وذله
سر الخلود ما أثر تبقي اذا
واذا تفاضلت الرجال فما الغنى
كلا ولا النسب الكريم بنافع
لا خير في نعم رفعت بثوبها
نم يا كبير مهاجرى براحة
وابسم وحي مكرميك وقل لهم

* * * *

(١) الاسود ، ابراهيم - تنوير الازهان - المجلد الثالث ، ٤٠٧ - ٤٠٨

- | | | |
|-------|-----------------------------------|---------------------------------|
| ١ - | لا المجد في الرض يرضيني ولا النشب | ان لم يكن في بلادى المجد والنسب |
| ٢ - | ولا السعادة بين الناس تقنعنسي | ان كان من حظ قومي الضيم والنصب |
| ٣ - | لي ما لهم ، وعليهم ما عليّ اذا | صافاهم الصغوا ونابتهم النصب |
| ٤ - | تالله ما البعد ينسيني مودتهم | فالجسم مبتعد والقلب مقترب |
| ٥ - | ما انسى لا انسى يوم البين اذ وجعت | منا القلوب وكم الالسن الرهيب |
| ٦ - | لما وقفنا يلالي في محاجرنا | دمع ويسطع في اكبادنا لهيب |
| ٧ - | وشيعوني الى ان بنت فاحتجبت | عني بوادر زهوى عند ما احتجبوا |
| ٨ - | ان كان لي قبل موتي في الدنسى ارب | فمنيتي في بلادى ذلك الارب |
| . . . | | |
| ٩ - | لولا طموح الى العليا غربي | ما كنت عن ربهم والله اغترب |
| ١٠ - | انا الغريب فلا اهل ولا وطن | اذا انتسبت امام الناس وانتسبوا |
| ١١ - | ولا لواء اذا دق النفير مشى | يحميه من صيد قومي العسكر اللجب |
| ١٢ - | ومن يكون غريبا في موطنه | لا بدع ان انكرته الارض والشهب |
| ١٣ - | اطوى وقومي بلاد الله لا فشل | يفت من عزنا فيها ولا تعيب |
| ١٤ - | كأننا شعب اسرائيل نضرب فسي | تبه ونشرب بالكأس التي شربوا |
| ١٥ - | ضاقت بنا ارضنا وهي التي رحبت | قدما وسال عليها الدر والذهب |
| ١٦ - | كانت وللوحى فيها كل منزلة | وللمعارف فيها منهل عذب |
| ١٧ - | ما لي وللغفر بالماضي وقد درست | اثاره ومحتاياته الحقيب |
| ١٨ - | فليس يكسبني بين الورى نسبي | فخرا اذا لم يزنه مني الحسب |
| ١٩ - | ما الفضل اني لا فضل ولا ادب | وان زينة اهلي الفضل والادب |
| ٢٠ - | والفخر اما سمت بي للعلی رتب | لا ان سمت بجدوى للعلی رتب |
| ٢١ - | كم بين قولك : كنا سادة نجبا | وبين قولك : نحن السادة النجب |
| ٢٢ - | كنا وكنا ، فهل بعد الجدود لنا | الا مفاخر حالت حالما ذهبوا |
| ٢٣ - | الناس نحو الترقى مشيها خيب | ونحن نحو التلاشي مشينا خيب |

(١) مجلة المعارف - السنة التاسعة (١٩٢٦) مجلد الجزء الثاني : ١٢٨ .
هذه القصيدة نشر قسم منها في الديوان فرأيت او اورد ها مع الملحق كاملة نظرا لانه حذف منها جزء كبير .

- ٢٤ — ابقت لنا كتب مجد الجدود فما
٢٥ — صرنا وصار حمانا منزلا خربا
٢٦ — تمضي القرون ولا يخليه مغتصب
٢٧ — والجهل والدين والاهمال علتة
٢٨ — فينا الدوا وفينا الداء واعجبي
٢٩ — فأن طمحنا الى العليا نطلبها
٣٠ — ايه بني وطني والناس قاطبة
٣١ — هبوا الى المجد ولننشيء لنا وطنا
٣٢ — وليرفع العزم والاعمال سددته
٣٣ — فلنحي قومية كانت لنا نسبا
٣٤ — ومن يكون بلا قوم يدل بهم
٣٥ — ديني لنفسي ولكن قبله وطني
٣٦ — تالله لا نرتقي الا متى اتحدت
٣٧ — ولنكرم العلم ايا كان مصدره
٣٨ — لا دين للعلم في الدنيا ولا وطن
٣٩ — ولتستعد لغة الضاد التي دعيت
٤٠ — ان لم نكن كلنا في اصلنا عربا
٤١ — يا زائرا امي في دار رغبتها
٤٢ — متى بلغت بلادى وهي رابضة
٤٣ — والبحر دغدغ بالامواج شاطئها
٤٤ — فقل لقومي وراء البحر جالية
٤٥ — تراهم رقدا والدهر مرتقب
٤٦ — فليخدموا خدمة الاخلاص موطنهم
٤٧ — ان فاتها هبة الاعمال نخدمهم
- تبقى لاحفادنا من بعدنا كتب
يدب في ساحه من دائنا العطش
الا ليجتله بالسيف مغتصب^(١)
وليس علتة غارز ومنتصب
ونحن يأخذنا من حالنا العجب
فحقه الهدم ذاك المنزل الخرب
لرفع اوطانها قامت لها اهب
قوامه العلم لا الهندية القضيب^(٢)
فوق السماكين لا الاقوال والخطيب
يضم اشتاتنا ما فاتنا النسب
فلا يشرفه دين ولا لقضب
ودينه الوفاق والاخلاص لا الشغب
تلك المآذن في الاوطان والقبب
فأنه للتآخي والعلى سبب
فالعلم كالنور لم تحصر به ثرب
ام اللغات شبابا بردها قشب
فنحن تحت لواها كلنا عرب
وحليك العلم والتهديب والادب
بين الجبال يحليها الندى الرطب
وعانقتها عناق العاشق السحب
تهفو اليهم وفي اشواقها عتب
واهملوا امرهم والامر مضطرب
يروا جوالينا قامت بما يجيب
بها هنالك فالاموال ما تهب*

* الابيات التالية لم ترد في الديوان (٣٠) : ١ - ٢٤ ، ٣٧ ، ٤٠ - ٤٧ .

(١) هذا البيت ورد فقط في الديوان (٣٠) .

(٢) جاء هذا البيت في الاصل كما يلي :

هبوا الى المجد ولننشيء لنا وطنا

قوامه العلم لا الخطية القضيب

* الشاعر المنتحر * (١)

١ ٩ ٢ ٤

- ١ — مائت انت ؟ ماذا دهاك ؟ لماذا مت والعمر في اوان افتـرارـه ؟
- ٢ — شبح الموت مرعب يبعث الهـول ويصبـو كل الى اديـرارـه
- ٣ — كيف احبته ؟ وماذا تصبـاك فأسرعت في اختيار جـوارـه
- ٤ — باسم لاغتـناقه ومشـوقا للقاء وموجبا من فـرارـه
- ٥ — اهي الروح فيك جازت الـى حد تكل العقول عن اظهـرارـه
- ٦ — ام هو الجسم ضاق عن ضم نفس حرة حطته فوق اقتـدارـه
- . . .
- ٧ — لست ميتا بل انت حـي وان التقى عليك المـات ظل اصـرارـه
- ٨ — انما المرء خالـد بالذى يبقـيه في العالمين من آثـرارـه
- ٩ — كم توارى القبور حـيا وكـم يمشي على الارض ميت لم تـوارـه
- ١٠ — انما القبر راحة الجـسم من آلامه والفؤاد من اكـدارـه
- ١١ — ووجود الانسان في الكون مـر وكذاك الخلود من اسـرارـه
- . . .
- ١٢ — كبرى يا قبور جاءك ضيف هو غير الاحياء في اطـوارـه
- ١٣ — يذهب الناس مرغمين الى القبر وقد جاء بمـل اختيـرارـه
- ١٤ — شاعر لا يرى الحياة سوى ليل بهيم والموت من اسـرارـه

- ١٥ - وخطيب القى على منبر الموت دروسا كبيرة بانتحساره
 ١٦ - هجر العيش باحتقار فهل في العيش شيء يدعولغير احتقاره
 ١٧ - كل ما يحويه هم فهم كل ما يحويه
 ١٨ - ان عمر الشقاء عمر طويل ومصيب من يعتني باختصاره
 ١٩ - ليس عار في الانتحار مشين فهو خير من البقاء وعاره (١)

* * *

* مقتبل السردار * (٢)

١ ٩ ٢ ٥

وضج من السخط وادى الملوك وزمجر فرعون من لحده
 وكاد الصعيد باهرامه يثور على الظلم من وجده
 ويمشي ابو الهول في موكب فراعنة المجد من حشده
 جرى النيل يزيد في سلكه ومار المقطم في عقده
 ليحتج للارض او للسماء عليكم وهذا مدى جهده

. . .

ايامة النيل صبرا (وخلّي عدوك يسرف في كيده)
 فلم ار كالظلم يبعث عنزم الضعيف (ويقدح في زنده)

* * *

(١) طرأ تغيير كبير على هذه القصيدة النواردة في الديوان (٣٥) لهذا رأيت ان اثبت هنا نصها الاصلي . جاء مطلع القصيدة في الديوان كما يلي :
 ما دعوت البيان حتى عصاني مذ درى بانقطاع عمر هزازه
 يا لشعري يرثي ضياع قوافيه وعودى يبكي على اوتساره
 ثم وردت نصوص الابيات ٩ و ١٢ - ١٦ ، و ١٨ - ١٩ فقط .

الشعر القصص *
(١) ١٩٢٥

ماذا جنى الشعر حتى	جزيته الخير شرا ؟
لم يجن والله ذنبنا	ولا اتى قط وزنا
لكن هو الجور طبع	فسي الغانيات استقرا
يقتلن روحا وجسما	فكيف يرحمن شعرا

.....

انالك الحسن حلوا	فسمته الموت مرا
وزان قدك حتمسى	سبي العيون واغرى
وزاد جسمك ظرفنا	وزاد طرفك سحرا
وكم وقى الجيد بردا	وكم وقى الراس حرا

.....

قد كان راسك روضا	به فاصبح قفرا
وصرت تحكين غننا	من الزهور تعمري
وكان شعرك شعرا	فصار بالقص نشرا
ضيعته وهو تبس	من ذا يضيع تبرا

.....

اذا بكيت عليه	بكاء خنساء صخرا
فشاعر كان يوحى	الى شعرك شعرا
وما نظرت اليه	الا تخيلت خمرا
فكنت من غير شرب	اميل وجدا وسكرا

.....

وما انحنيت عليه	الا تليست عطرا
ولا تموج يومنا	الا تمثلت بحرا

ولا تشففت فيــــه
الا وقبــــل عنــــي

.....

ما عاد شعرك ليلا
ولم يعد ابنــــوسا
ولا خيوط شــــماع
ولا شران غــــرام

.....

تحمــــرين شفاها
وتلبــــسين حلــــى او
لكي تتيهــــي علــــى
فكيف ترمين تاجــــا

الانـــــــراب

لديــــك ســــرا وجهــــرا
رجليــــك يطلــــب عذرا

ولا جبينــــك فجــــرا
في الجيد طوق درا
بمبــــم الشــــمس اذرى
يصطاد عينا وفكــــرا

غنجا وتطلين نحرا
تبليــــن بالضيق خــــصرا
بالحمــــن فخرــــا
اولا نهيــــا وامــــرا

* من رثاء المنفلوطي * (١)

١٩٢٦

وناح عليه نيلها وغديرها
وفي ارض لبنان اسى يستثيرها
يعيد صداها تجدها مسيرها
يشع بانوار الهداية طورها
على جنبات النيل فيها زهورها
ففي مصر مهد العلم كان نشورها
وقد ظاهرتها حين عز ظميرها
فكل بلاد الضاد جرحى صدورها
وتجربى مآقبيها وترخي شعورها *
اذا لم تصعد كواها سعيها
تودع نجم غيبته قبورها
فليس الى غير الظلام مصيرها
وقد مات - موت الخالد - اميرها
سوى دولة هذا الفقد كبيرها
وولى فقد يخلو لحين سرورها
على حين قلت في البنين نسورها

بكت مصر في الوادى الظليل هزاره
ففي الوطن السوري حزن يعضه
وتسمع في بر الجزيرة انسة
وما مصر الا كعبة عريسة
زهت ثمرات الفكر فيها كما زهت
لكن اقدت آداب يعرب حقبه
لقد عززتها حين ذل عزيزها
فأن حرحت صدر الكنانة رمية
دعوها امام النعش يعلو زفيرها
ففي صدرها غصات حزن ولوعة
لها كل يوم في المدائن وقفة
كواكب غارت كوكبا اثر كوكب
دعوها فهذا اليوم والله يومها
فما لغة الضاد التي نحن حندها
تولى الى حين زمام سرورها
يعصر غدا فيه كثيرا بغاها

* * * *

(١) المقتطف - المجلد ٧٦ : ٢٩٩

* هذا البيت وما يليه مأخوذ من كتاب تنوير الاندھان لابراهيم الاسود - المجلد الثالث : ٤٠٩

* عرائس الشعر عودي * (١)

١ ٩ ٢ ٧

وكل ملحمة كانت بديـــــوان
يكفيك مني طول العمر ادماني
القيه عني من آن الســـــي آن
ليس الزمان علينا وحده الجاني
لم يلق منا سوى عباد اوـــــان
مستعبدين بارواح وابـــــدان
انواره وهي ليست غير نيـــــران
غدا ، فلا كان ذاك الهادم الباني
في آخر الشهر كانت محض خســـــران
الا لتدهننا في آخر الثاـــــني
فابن الغنى فيه وابن الفقر ســـــيان
قبل المنايا علينا بيض اكلـــــان
من القلوب كستها بالدم القاـــــني
وفي قوافيه انجيلي وقرآـــــني
بهيكـل خالد في هيكـل فـــــان

فكل قافية كانت بملحـــــمة
مهلا مشاغل يومي ساعة ، وقـــــي
حنام نيرك مشدود الى عنقـــــي
تغنى الحياة ولا تغنى مطامعـــــنا
يا للتجارة صارت بيننا صنمـــــا
نقضي ونحن وقوف في هياكلهـــــا
وعجلنا الذهبي - المال - تبهرنا
يبني لنا اليوم آمالا ليهدمـــــها
نعد في الشهر ارباحا اذا حسبت
وآخر الشهر لا تعضي مصائبـــــه
ليس الغنى غير حلم (وهو يقظة
(يستل بيض امانينا لينسجـــــها
(في كل قطعة مال عندنا قطع
الهبـت شعري ففي ابياته حرمـــــي
وشدت هيكـله في اضلعي فـــــاذا

* * * *

وقال في فنجان وقع على الارض من يد قرينة خاله جورج معلوف

ما هوئى الفنجان مختاراً فـلـو	خبروه لم يفارق شفتيهـا
هي القته وذا حظ السـذـى	يعتدى يوماً بتقبيل عليهاـا
لا ولا حطمه اليأس فهـا	هو ييكى شاكياً منها اليهـا
والذى ابقاء حيا سـالـمـا	امل العودة يوماً ليديهـا (١)

* * * *

* في وصف تمثال * (٢)
(١٩٢٨)

حياتك تمثال اصم ابكم	لو يملك النطق الاصم الابكم
هو رمز معرفة الجميل وحسبه	في صمته ان الوفا يتكلم
انظر اليه فكل نقش السـنـ	لشكر فيه وكل حرف مبسم
يا موطننا رتع الغريب بجنـة	فيه فلا يشقى ولا يتظلم
لو اننا صغنا لك التمثال مـنـ	ذهب ووشـت جانبـيه الانجـم
ما كان يمكننا وفاءك منـة	سعد الشقي بها واثرى المعـدم
لكن لها في قلب كل مهاجـر	صنم يصلي عنده ويسـلم

* * * *

(١) البدوى المثلث — شاعر في طيارة : ٢١

(٢) مجلة الاثار — المجلد الخامس (١٩٢٨) الجزء السادس : ٢٨٤

* تحية الى ملاك * (١)

١٩٢٩

يا ملاكا للطهر في مقلتيهـ	رعدة تملأ النواظر سـحرا
في محياك سبح الله قلبي	صورة الله انت حسنا وطهرا
ما فراخ الحمام تهزج في العشر	وتلهو عليه زقا ونقـسـرا
مثلك اليوم تملأين زوايـا	البيت زهوا فيرقص البيت بشرا
لك من امك الملاحة في الخلق وفي	الخلق فارفعي الرأس فخـرا
ولك اللطف من ابيك وهـذـى	سورة اللطف في محياك تقـرا

* * * *

* تهنئة بـزواج * (٢)

١٩٢٩

ذكر الحى صداحه فصبا الى	جناته ومشى الى ادواحه
ولو ان عودته اليه تأخرت	لمشى الحى شوقا الى صداحه
هو بلبل خضنت جوانحه الهوى	افما ترى خفقانه بجناحه
صادته ساحرة العيون فما شكها	بنواحه ، لكن شدا بصداحه
قالوا لحاظ الغيد جارحة فمن	جعل اللواظ بلسم لجراحه
ما زال يصبو للجمال يزنيـه	ادب الى ان نال زين ملاحه

. . . .

يا بلبلا يغزو القلوب بشـددـه	وبدائع الايات كل سلاحـه
عهدان بينهما ترى ، فمـودـع	تقتاده ، ومسلم باقـاحـه

(١) مجلة الشرق البرازيلية — السنة الثانية (١٩٢٩) العدد ٣١ : ٣١
يخاطب فوزى المعلوف في هذه القصيدة اديث ابنة خاله جورج معلوف في حفلة تنصيرها
وكان الشاعر عرابها .

(٢) مجلة الشرق البرازيلية — السنة الثانية عدد ٢٤ : ٢٤
قيلت هذه القصيدة بمناسبة زفاف خال الشاعر شاهين معلوف على اديبه عون .

ودع زمان عزوبة في خلـــــــــــــــــه
يلهبونا ونظننا نلهو بــــــــــــــــه
ونظننا متحررين بظــــــــــــــــلــــــــــــــــه
لما نظرنا في رصيد حسابــــــــــــــــه
فاستقبل العهد الجديد ببــــــــــــــــسه
يا حبذا اسر الزواج فمن ينــــــــــــــــل

. . . .

لله مجلسنا وفيه للصفــــــــــــــــا
شعت به الغيد الحسان وشــــــــــــــــعشت
فالغيد كل السحرفي احداقها
فالنغتنه بسحره وبســــــــــــــــكره

من كاذب الامل ما في راحــــــــــــــــه
يا ويلنا من جدــــــــــــــــه ومزاحــــــــــــــــه
فأذا بنا مستعبدون بساحــــــــــــــــه
اربت خسائره على ارباحــــــــــــــــه
للمقبل البسام من افراحــــــــــــــــه
ما نلتــــــــــــــــه لم يرض بك سراحــــــــــــــــه

روح مرفقة على ارواحــــــــــــــــه
خمر لها في الليل لون صباحــــــــــــــــه
والخمر كل السكر في اقداحــــــــــــــــه
حتى يلم الليل ذيل وشاحــــــــــــــــه

* * * *

المصادر والمراجع

فهرس المحتويات

المصادر والمراجع العربية (١)

١

١ - ابوسعدي ، الاب جبرائيل - فوزى المعلوف - منشورات مجلة الرسالة المخلصة ،

دير المخلص ، ١٩٤٥ .

٢ - ارسلان ، شكيب - ترجمة رواية آخر بني سراج لشاتوبريان - ط ٢ ، مطبعة المنار بصرى ،

(١٩٢٤) .

٣ - الاسود ، ابراهيم - تنوير الازهان في تاريخ لبنان - ج ٣ ، بيروت ١٩٣٠ .

ب

٤ - بستانى ، الفرد - تحقيق نبذة العصر في آخر بني نصر - منشورات مؤسسة الجنرال

فرنكو للابحاث العربية الاسبانية بمراكش ، ١٩٤٠ .

ج

٥ - حسين ، طه - حديث الاربعة - ج ٣ ، دار المعارف بصرى ، ١٩٦٢ .

خ

٦ - الخيام ، عمر - الرباعيات - ترجمة أحمد الصافي النجفي ، بيروت .

د

٧ - داغر ، يوسف اسعد - مصادر الدراسة الادبية - ج ٢ - مطبعة دير المخلص - صيدا

(١٩٥٠ - ١٩٥٦) .

٨ - داود ، انس - الطبيعة في شعر المهجر - الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة .

٩ - الدهان ، سامي - قداماء ومعاصرون - دار المعارف بصرى ، ١٩٦١ .

س

١٠ - سجل النهضة العلمية - من عام ١٩١٢ - ١٩١٤ - الكلية الشرقية ، زحلة .

ع

١١ - علي ، محمد كرد - خطط الشام - ج ٤ ، مطبعة الترقى ، الشام ، ١٩٤٩ .

١٢ - عودات ، يعقوب (البدوى المثلث) - شاعر الطيارة - دار المعارف بصرى ، ١٩٥٣ .

ك

١٣ - الكتاب المقدس - سفر التكوين - الطبعة البروتستانتية .

(١) جاء في بعض الهوامش ذكر بعض المراجع التي لم اقتبس منها شيئاً ، وانما لفت اليها الانتباه للتوسع .
لهذا لم اورد اسماءها في باب المصادر والمراجع .

- ١٤ - كتاب الكلية الشريفة - سنة ١٩٠٤ - ١٩٠٥ - رحلة .
- ١٥ - كحالة ، محمد رضا - معجم المؤلفين - ج ٨ - مطبعة الترقى - دمشق (١٩٥٧ - ١٩٦١) .
- ١٦ - مطران ، خليل - ديوان الخليل - ج ٢ ، مطبعة دار الهلال ، مصر ١٩٤٨ .
- ١٧ - القدسي ، انيس - الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث - ط ٣ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٤ .
- ١٨ - معلوف ، عيسى اسكندر - ذكرى فوزى - مطبعة رحلة الفتاة ، رحلة ١٩٣١ .
- ١٩ - معارضات قصيدة يا ليل الصب للحصري القيرواني - مكتبة العرب ، مصر ١٩٢١ .
- ٢٠ - دواني القطوف في تاريخ بني معلوف - المطبعة العثمانية ، بعبدا ١٩٠٧ - ١٩٠٨ .
- ٢١ - سيرة حياته - من منشورات مجلة الرسالة المخلصية ، دير المخلص ، ١٩٦١ .
- ٢٢ - معلوف ، رياض - شعراء المعالفة - المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٢ .
- ٢٣ - معلوف ، فوزى - الديوان - دار الريحاني للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٥٧ .
- ٢٤ - على بساط الريح - مطبعة الفنون ، ربوذي جنيف ، ١٩٢٩ .
- ٢٥ - ابن حامد - منشورات مكتبة الاندلس ، ط ٢ ، ١٩٥٧ .
- ٢٦ - المعري ، ابو العلاء - سقط الزند - دار صادر ودار بيروت ، بيروت ١٩٥٧ .
- ٢٧ - المعري ، ابو العلاء - اللزومات - ج ١ - ٢ ، تحقيق وشرح ابراهيم الاعرابي ، مكتبة صادر ، بيروت ١٩٦٢ .
- ٢٨ - مناهل الادب العربي - فوزى المعلوف - رقم ٥٣ ، مكتبة صادر ، بيروت ١٩٥٣ .

ن

- ٢٨ - الناعوري ، عيسى - ادب المهجر ، دار المعارف ، مصر ١٩٥٩ .

هـ

- ٣٩ - هلال ، محمد غنيمي - الرومنتيكية - مطبعة نهضة مصر ، القاهرة .
- ٤٠ - هيكل الذكرى - منشورات العصبة الاندلسية ، سلا بلولو ،

(١٩٤٨)

و

- ٣٩ - الوهابي ، خلدون - مراجع تراجم ادب العرب - ج ٤ ، مطبعة المعارف ، بغداد ،

(١٩٦٢)

المجلدات

- ١ - الادب - مجلة مخطوطة اصدرها فوزى المعلوف عام ١٩١٤ .
- ٢ - الآثار - المجلد الثاني ، ١٩١٢ - ١٩١٣ .
- المجلد الثالث ، ١٩١٣ - ١٩١٤ .
- المجلد الرابع ، ١٩٢٧ .
- المجلد الخامس ، ١٩٢٨ .
- ٣ - الرسالة المخلصة - السنة الثالثة ، ع ١١ ، ١٩٥٧ .
- ٤ - ملحق مجلة السيدات والرجال - عدد خاص بفرح انطون ، ١٩٢٢ .
- ٥ - الشرق البرازيلية - السنة الثانية ، ع ٢٤ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٤١ ، ٤٢ ، (١٩٢٩ - ١٩٣٠) .
- السنة الرابعة ، ع ٦٥ ، ١٩٣١ .
- السنة السابعة ، ع ١٦ ، ١٩٣٤ .
- السنة الثامنة ، ع ١٢ ، ١٩٣٥ .
- السنة الثانية عشرة ، ع ٤ ، ١٩٤٠ .
- ٦ - الضاد - السنة الخامسة ، عدد حزيان ، وتغوز ، وآب ، ١٩٣٥ (عدد خاص بفوزى المعلوف) .
- السنة التاسعة والعشرون ، عدد ايار ، وحزيان ، ١٩٥٩ .
- ٧ - الكتاب - المجلد الخامس ، السنة الثالثة ، ع ٣ ، ١٩٤٨ .
- ٨ - الكلمة - السنة الثانية عشرة ، ع ٦ ، ١٩٣٧ .
- ٩ - المعارف - لصاحبها وديع نقولا حداد - السنة الرابعة ، ع ٥ ، ١٩٢١ .
- السنة الخامسة ، ع ١٤ ، ٢٥ ، ١٩٢٢ .
- السنة التاسعة ، مجلد الجزء الثاني ، ١٩٢٦ .
- ١٠ - القنطف - المجلد الخامس والسبعون ، ع ٤ ، ١٩٢٨ .
- المجلد السادس والسبعون ، ع ٣ ، ١٩٢٩ .
- المجلد الثامن والسبعون ، ع ٣ ، ١٩٣١ .
- ١١ - المورد الصافي - المجلد الثاني عشر ، ع ٢ ، ١٩٢٧ .
- المجلد الخامس عشر ، ع ٢ ، ١٩٣٠ .

الصحف

- ١ - جريدة الجريدة - ع ٢٤٦٧ ، ٨ كانون الثاني ، ١٩٦٠ .
- ٢ - المكشوف - السنة الثالثة ، ع ١١٤ ، ٢٢ ايلول ، ١٩٣٧ .
- " " " " ع ١١٥ ، ٢٩ ايلول ، ١٩٣٧ .

- د -

المصادر الاجنبية

- 1- AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF ET SON OEUVRE (LIBRAIRIE ORIENTALE ET AMERICAINE) PARIS, 1939 .
- 2- BROCKELMANN, C. - GESCHICHTE DER ARABISHEN LETTERATUR - ZWEITER SUPPLEMENTBAND, III LEIDEN, 1942.
- 3- SHAKESPEAR, WILLIAM - HAMLET - (GINN & COMPANY), INTERLENEAR ED.